تأسيس مملكة البرتغال

السياسة الخارجية

لألفونسو هنريكز ملك البرتغال

(١١٢٨-١١٨٥م / ٥٢٢-٥٨١هـ)

دكتور محمد محمود أحمد النشار

مدرس تاريخ العصور الوسطى

بكلية الآداب - جامعة طنطا

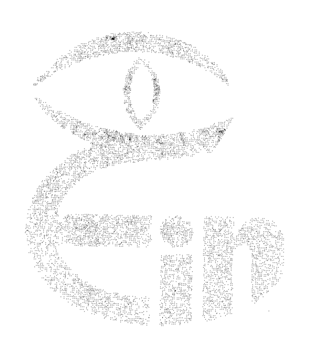
الطبعة الأولى

١٩٩٥



عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES



الناشر :

عين للدراسـات والبـحـوث الإنسـانيـة والإجـتـمـاعـيـة
EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES
٦ شارع يوسف فهمي - اسباتس - الهرم - تليفون : ٣٨٥١٢٧٦

المشرف العام : دكتور قاسم عبده قاسم

تصميم الغلاف : محمد أبو طالب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾

صدق الله العظيم

شكر

أتقدم بوافر الشكر إلى كل الهيئات التى قدمت لى يد العون فى إنجاز هذا البحث ، وأخص بالشكر المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد ومديره الأستاذ الدكتور / أحمد مرسى المستشار الثقافى فى أسبانيا ومعاونيه الأستاذ / محمد عصمت عبد العزيز، والأستاذ / هانى المعداوى ، والأستاذ / حسين لبيب لرعايتهم وتسهيل مهمتى فى أسبانيا ، كما أتقدم بوافر الشكر إلى المركز الثقافى الأسبانى بالقاهرة ومديره السنيور / ادريان رودريجو ، كما اتقدم بوافر الشكر إلى المكتبة الوطنية بمدريد ومكتبة المعهد الأسبانى العربى بمدريد ومكتبة الاكاديمية التاريخية بمدريد والأرشيف التاريخى بمدريد ومكتبة كلية التاريخ والجغرافيا بجامعة مدريد المركزية ومكتبة كلية الآداب بجامعة لشبونة ، بالإضافة إلى العديد من المكتبات الأخرى فى مدريد ، بجانب المكتبات المصرية وعلى رأسها دار الكتب المصرية ، ومكتبة جامعة القاهرة ، ومكتبة الجامعة الامريكية ، فلكل العاملين بهذه المكتبات الشكر والتقدير .

د . محمد محمود النشار

المحتويات

مقدمة

موضوع البحث - أهميته وسبب اختياره - الناحية المنهجية فى الموضوع

حظى تاريخ المسلمين فى شبه الجزيرة الايبيرية خلال العصور الوسطى ، بجانب كبير من عناية المؤرخين المسلمين المحدثين ، واستعرضوا أخبار موجزة عن أحوال الممالك المسيحية بها من خلال تاريخ حروب المسلمين ضدهم ، فلم تفرد دراسات قائمة بذاتها لهذه الممالك المسيحية ، التى لايتسنى دراستها إلا من خلال أمهات الكتب بشقيها المسيحى والإسلامى ، وعلى ضوء ذلك يمكن إعادة تقييم كثير من الاحداث المتعلقة بهذه الممالك .

وجدير بالذكر أن مملكة البرتغال لم تلق اهتماما لدى مؤرخى الإسلام لتاريخها بالدراسة والبحث ، رغم ما أحاطها من شهرة كبيرة ، لكونها المملكة الوحيدة التى بقيت بعيدا عن اتحاد الممالك الأسبانية ، فضلا عن إنجازاتها الكبيرة فى شتى المجالات السياسية والاقتصادية والحضارية والدور الكبير الذى استطاعت من خلاله التأثير فى حضارة أوربا وخاصة أواخر العصور الوسطى .

وترجع الأصول الأولى لمملكة البرتغال إلى ولاية لوزيتانيا (لجدانية) ، التى كانت تشمل فى العصر القديم المساحة الواقعة جنوبى جليقية المحاذية لساحل الأطلنطى فيما بين مصبى نهر دويره ونهر وادى يانه . وكانت فى بداية الأمر كونتية صغيرة ذات طابع سياسى خاص ، يرجع الفضل فى تأسيسها ونشأتها إلى فرديناند الأول ملك قشتالة وليون (١٠٣٥ - ١٠٦٥ م) (٤٢٦ - ٤٥٧ هـ) ، عندما انتزع بعض أراضى لوزيتانيا ، الواقعة بين نهرى دويره ومنديجو وإلى مابعد قلمرية ، من المسلمين وجعلها ولاية مستقلة تحت اسم البرتغال ، وضمت فيما بعد إلى جليقية بعد وفاة الملك فرديناند الأول عام ١٠٦٥م/٤٥٧هـ .

وعندما أحاطت الهزيمة بالفونسو السادس ملك قشتالة فى موقعة الزلاقة على أيدى المرابطين سنة ١٠٨٦ م / ٤٧٩ هـ ، بدأ الخطر يتهدد سيادة المسيحيين الموجودين فى أسبانيا بسبب قوة ضغط المرابطين فى شبه الجزيرة الايبيرية ، وعندئذعبر كثير من الفرسان والكونتات - من جنوب فرنسا - جبال البرنيه لإغاثة إخوانهم فى الدين ومن بينهم هنرى البورجونى الذى أسدى أجل الخدمات إلى الملك الفونسو فى حروبه ضد المسلمين مما كان لذلك أكبر الأثر فى موافقته على زواجه من ابنته غير الشرعية تريزا ، ومنحه حكم

كونتية البرتغال كدوطة لهذا الزواج ، وكانت تضم حينئذ المنطقة الواقعة بين أسفل نهر التاجة ونهر منهو (مينه) . وجدير بالذكر ، أن البرتغال لم تكن حينئذكونتية مستقلة بذاتها وإنما كانت خاضعة لمملكة قشتالة - ليون ، تؤدى الجزية إليها ، ويتوارثها عقبه ، وعندما توفى الكونت هنرى فى عام ١١١٢م / ٥٠٥ هـ تولت أرملته دونيا تريزا الحكم بصفتها وصية على ابنها الفونسو هنريكز لصغر سنه حيث لم يبلغ من العمر حينئذ أكثر من ثلاث سنوات ولكن عندما شب انتقلت مقاليد الأمور إليه عام ١١٢٨م / ٥٢٢ هـ .

ويعد الفونسو هنريكز (انريكث) المؤسس الحقيقى لمملكة البرتغال ، وقد انتهج سياسة خارجية ارتكزت على ثلاثة محاور ، أولها توسيع رقعة البرتغال على حساب جيرانه المسلمين من خلال حركة الاسترداد ، ثانيها انهاء تبعية وتسلط مملكتى قشتالة وليون على مملكته ، وأخيرا من إمارة إلى مملكة مستقلة بذاتها . فكان لهذه السياسة أثر كبير فى نجاحه فى استرداد كثير من الأراضى الخاضعة للمسلمين .

ومن هذا المنطلق أدرك الباحث أهمية السياسة الخارجية للملك الفونسو هنريكز والدور الذى قام به لرفع شأن مملكته بين الممالك الأوربية المختلفة حينئذ حتى عده المؤرخون أكبر ملك صليبى فى شبه الجزيرة الايبيرية . كما أن المكتبة التاريخية تفتقر الى بحث مستقل قائم بذاته يعالج أحداث هذا الموضوع بشىء من التحليل والتفصيل ويضم شتات أخباره من واقع ماجاء فى بطون التواريخ الأجنبية والعربية ، فالمعروف أن هذا الموضوع لم يلق العناية الكافية من المؤرخين القدامى والمحدثين فى الشرق والغرب على السواء ، وكل ماكتب فيه نتف وشذرات مبعثرة فى مختلف المراجع من عربية وغير عربية لاتصلح أساسا لدراسة علمية دقيقة ، لذلك وقع اختيار الباحث على موضوع السياسة الخارجية لالفونسو هنريكزملك البرتغال (١١٢٨ - ١١٨٥ م / ٥٢٢ - ٥٨١ هـ) ، ليكون نواة عدة أبحاث تعمل على إثراء المكتبة التاريخية بصفة عامة ، ومكتبة تاريخ العصور الوسطى على وجه الخصوص .

ونظرا لأن موضوع البحث يتعلق بالجانبين الإسلامى والأسبانى البرتغالى ، فقد اقتضى ذلك الرجوع إلى العديد من الوثائق والمصادر والمدونات البرتغالية والأسبانية بجانب العربية ، حتى يكتمل الموضوع من كافة جوانبه .

ولكى يتحرى الباحث الدقة التامة فى الاطلاع على المادة العلمية وتحليلها والتعليق

عليها من خلال ماجاء بمصادرها المختلفة ، فقد اقتضى ذلك دراسة اللغة الأسبانية وحصل الباحث على دبلوم فيها من المركز الثقافى الأسبانى بالقاهرة بعد دراسة ثلاثة سنوات كاملة أعقبها السفر فى بعثة إلى أسبانيا والبرتغال لمدة عام ونصف أكمل خلالها دراسة اللغة الأسبانية . وعكف على دراسة اللغة البرتغالية فى مدرسة اللغات الرسمية بمدريد مما ساعد الى حد كبير على إخراج البحث فى صورته النهائية .

وتقسيمنا المنهجى لفصول الرسالة تقسيم زمنى وموضوعى فى آن واحد ، راعينا فيه التسلسل الزمنى للأحداث ، وينقسم إلى أربعة فصول ومقدمة وخاتمة . جاء الفصل الأول تحت عنوان « الأحوال السياسية لكونتية البرتغال قبيل عهد الفونسو هنريكز { إنريكز} » (١٠٩٤ - ١١٢٨ م / ٤٨٧ - ٥٢٢ هـ) وقد استعرض فيه الباحث الجذور الأولى لكونتية البرتغال ثم تولى الكونت هنرى البورجونى حكمها ، وسياسته من أجل تأسيسها وتنميتها ورفع منزلتها فى شبه الجزيرة الايبيرية ، وماكان من وفاته ، وتولى أرملته دونيا تريزا (دونيا تيريسا) الحكم وصية على ابنها الصغير الفونسو هنريكز ، واستمرارها على نفس سياسة زوجها ، حتى استطاع الأمير الفونسو هنريكز الاستيلاء على الحكم من والدته . واستعرضنا نشأته وحياته قبيل توليه الحكم .

أما الفصل الثانى وعنوانه « علاقة الفونسو هنريكز بملوك قشتالة وليون والبابوية » وقد تضمن سياسته تجاه الإمبراطور الفونسو السابع ملك قشتالة ، وكيف أنه رفض تبعيته له وحروبه ضده من أجل الدفاع عن استقلاله ، وكيف أعلن نفسه ملكا ، واستقلال مملكته بعد معركة أوريك فى سنة ١١٣٩ م / ٥٣٣ هـ ، ثم سياسته تجاه فرديناند الثانى ملك ليون ، وكيف أن النزاع بينهما كان من أجل مجال مناطق الاسترداد لكل منهما . أما عن علاقته بالبابوية فقد استعرضنا تأثير الاختلافات الجغرافية والأنثروبولوجية فى استقلال مملكة البرتغال ولذلك من خلال مطالبته الدائمة للبابوية بالاعتراف به ملكا واستقلال مملكته ، حتى نجح فى صدور المرسوم البابوى عام ١١٧٩م / ٥٧٤ هـ باستقلال مملكته وتلقيبه بلقب ملك .

أما الفصل الثالث ، وعنوانه « علاقة الفونسو هنريكز بدولة المرابطين ١١٢٨ - ١١٤٥/ ٥٢٢ - ٥٤٠هـ » يوضح كيف أن الفونسو هنريكز كان دائم النظر بقلق إلى حدوده الجنوبية ، ومعاناته من غارات المرابطين على أراضيه ، وما كان من رده وانتصاره

عليهم فى معركة أوريك سنة ١١٣٩ م / ٥٣٣ هـ .

أما الفصل الرابع والأخير وعنوانه « علاقة الفونسو هنريكز بالموحدين ١١٤٦ - ١١٨٥ م / ٥٤١ - ٥٨١ هـ » فقد تضمن موقف الملك الفونسو هنريكز من الثورة ضد المرابطين ، وعبور الموحدين ، وما تلا ذلك من حملاته الاستردادية جنوب نهر التاجة ، بالإضافة إلى علاقته بالخليفة أبى يعقوب يوسف .

أما الخاتمة فقد احتوت على أهم النتائج التى توصل إليها الباحث ، ومنها أن سياسة الفونسو هنريكز تجاه الإمبراطور الفونسو السابع ملك قشتالة كانت للحفاظ على استقلال بلده ، وقد استطاع أن يؤكد ذلك من خلال حروبه المستمرة ضد الإمبراطور واستطاع من خلال سياسته تجاه فرديناند الثانى ملك ليون أن ينهى دعوى السيادة التى تبناها تجاه مملكة البرتغال ، وانحصرت سياسته تجاه هذا الملك بالنزاع حول مجال مناطق الاسترداد لكل منهما ، بالإضافة إلى أنه استطاع من خلال سياسته وحنكته ودبلوماسيته الدقيقة أن يحصل على موافقة البابوية باستقلال مملكته ، وتوصل البحث أيضا إلى أن سياسته تجاه المرابطين هى سياسة دفاعية لانشغاله الدائم منذ توليه حكم البرتغال فى سنة ١١٢٨م / ٥٢٢ هـ بالحروب ضد ابن خالته الامبراطور الفونسو السابع فلم تكن لديه الفرصة الكافية ليوجه نظره ضد المرابطين على حدوده الجنوبية بنفس القدر من اهتمامه بتأمين هذه الحدود إلا أنه استطاع أن يحقق أكبر انجزاته فى فترة الشغور بين المرابطين والموحدين ، مستغلا ضعف المسلمين ، وتفرقهم فى شبه الجزيرة ، استولى على العديد من المدن والقلاع الإسلامية ، وإن كان قد حدث توازن - إلى حد ما - فى القوى بينه وبن الخليفة أبى يعقوب يوسف ، إلا أن الملك الفونسو هنريكز استطاع أن يحتفظ بالكثير من المكاسب التى أحرزها . نتيجة لطول حكم هذا الملك ، وما اتبعه من سياسة خارجية ، كانت الباعث الأول لتأسيس مملكة البرتغال واستقلالها .

وقد ذود البحث الرسالة بثلاثة ملاحق تتصل بموضوع البحث اتصالا وثيقا ، أولها شجرة نسب الملك الفونسو هنريكز ، التى اعتمد عليها كثيرا فى تأكيد أحقيته باستقلال مملكته . وثانيها خطاب الملك الفونسو هنريكز إلى البابا أنوسنت ، يعرض عليه دفع الجزية فى مقابل فرض الحماية عليه وعلى مملكته . والأخير مرسوم البابا اسكندر الثالث فى سنة ١١٧٩ م باستقلال ملكة البرتغال وفرض الحماية عليها .

وقد فرض علينا البحث تزويده بعدد من الخرائط ، توضح حدود مملكة البرتغال فى تواريخ مختلفة متزامنة مع تسلسل الأحداث التاريخية ، وأعقبنا ذلك بقائمة بأسماء المصادر والمراجع العربية والأجنبية ، التى اعتمد عليها الباحث واستعان بها فى جمع المادة العلمية المتصلة بموضوع البحث .

ويرجع الفضل فى إنهاء البحث وخروجه على هذا النحو ، إلى توفيق الله سبحانه وتعالى وإلى أستاذى الفاضل الأستاذ الدكتور أسامة زكى زيد أستاذ تاريخ العصور الوسطى ووكيل كلية آداب طنطا للدراسات العليا والبحوث والذى بذل معى جهدا فائقا ورعاية تامة وقدم لى ملاحظات قيمة وتوجيهات سديدة كان لها أكبر الأثر فى إخراج هذا البحث المتواضع على هذا النحو فاننى أدين له بالكثير وأحمل له كل التقدير والعرفان بالجميل ، كما أتقدم بوافر الشكر إلى السيد الدكتور حسين عطية والذى قدم لى ملاحظات وآراء قيمة ، كما أننى لا أنسى تقديم وافر الشكر والإعزاز والتقدير إلى العالم الجليل الفاضل الأستاذ الدكتور جوزيف نسيم يوسف الذى قدم لى الكثير من نصائحه وملاحظاته البناءة خلال جمعى للمادة العلمية . وإننى أشرف بالانتساب إلى مدرسته العلمية الأصيلة ، وفى الوقت نفسه أتقدم أيضا بوافر الشكر والإعزاز والتقدير إلى العالم الجليل الفاضل الأستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم رائد الدراسات التاريخية والأثرية لتاريخ المغرب والأندلس ، وصاحب الاتجاه الجديد فى توجيه الباحثين إلى دراسة تاريخ الممالك المسيحية فى شبه الجزيرة الايبيرية ، فهو الذى وجهنى لدراسة هذا الموضوع كما أتقدم بوافر الشكر والتقدير إلى أستاذى فى اللغة البرتغالية الدكتورة ماريا دى لوس أنخلز سانز خويز التى ساعدتنى كثيرا فى فهم اللغة البرتغالية وخاصة القديمة بجانب اللغة اللاتينية .

وفى الختام أرجو من الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت فى هذا العمل والله الموفق والمستعان .

* * * * * *

عرض وتحليل لمصادر البحث

يكتنف تاريخ العلاقات بين الممالك المسيحية فى شبه الجزيرة الايبيرية كثير من اللبس والغموض الشديدين ، وهناك العديد من الموضوعات الشائكة المعقدة فى هذا الميدان بحاجة إلى الدراسة والاستقصاء ، يأتى فى مقدمتها علاقة الفونسو هنريكز ملك البرتغال بمملكتى قشتالة وليون (١١٢٨-١١٨٥م / ٥٢٢ - ٥٨١ هـ) فلم يتطرق باحث إلى دراستها واستجلاء غموض حلقاتها (١) . وقد مرت المصادر المسيحية مرور الكرام على أحداث العلاقات بين البرتغال وقشتالة وليون لصعوبة تتبعها وترتيب حوادثها فى الوقت الذى أسهبت فيه ذكر أعمال الملك الفونسو هنريكز (انريكز) وحروبه ضد المسلمين ، ولعل ذلك مرجعه إلى أن مؤرخى هذه الفترة كانوا من رجال الدين ، فأهتموا بتركيز كتاباتهم حول علاقة الملوك المسيحيين بالمسلمين وحروبهم وما يتصل بذلك من كافة العناصر تمجيدا للمسيحية أما بالنسبة للعلاقات بين الملوك المسيحيين فانهم أشاروا إليها فى جمل غامضة وأخبار قليلة ، وتمثل ذلك واضحا فى علاقة الملك الفونسو هنريكز بمملكة قشتالة فهى غير واضحة وحلقاتها مفقودة وأخبارها قليلة لغاية وغير منسقة أو مرتبة ترتيبا زمنيا ، مما كان له أكبر الأثر على المؤلفات الحديثة والتى وقعت فى تخبط كثير واختلفت اختلافات كبيرة فى ترتيب أحداثها الزمنية .

وقد تطلبت طبيعة البحث الرجوع الى عدد غير قليل من المصادر ، عربية وغير عربية حتى يمكن التعرف على طبيعة السياسة الخارجية التى انتهجها الفونسو هنريكز تجاه أعدائه المسلمين وغيرهم من العناصر الأخرى ، وتتمثل أهم المصادر فى المصادر الأسبانية والبرتغالية والعربية ، هذا إلى جانب بعض الوثائق والمراسلات التى تم العثور عليها ، سدت فجوات عديدة فى جوانب البحث المختلفة ، ومن هذه المصادر ما هو معروف باسم حوليات برتغالية Annales Portugalenses وتحوى عدة مدونات أهمها مدونة القوط Chronica Gothorum التى عكف على نشر بعضها دافيد لوبز David Lopes فى المجلة التاريخية البرتغالية لجامعة قلمرية(٢) وقد أرفق بها دراسة تحليلية عن تلك المدونات ، وأورد أيضا برنداو مدونة القوط Cronica dos Godos فى مؤلفه عن الكونت هنرى ودونيا تريزا (٣) وهى على نظام حوليات وتستخدم التاريخ القيصرى (الذى وضعه يوليوس قيصر)(٤) وتبدأ بذكر دخول القوط إلى شبه الجزيرة عام ٣١١ م وتنتهى بعام ١١٨٤ م ، حصار أبى يعقوب يوسف لمدينة شنترين ، وترجع أهمية تلك المدونة فى أنها وضعت فى أواخر القرن الثانى عشر الميلادى (أواخر القرن السادس الهجرى) ،

فهى أقرب مصدر معاصر للفترة الزمنية موضوع البحث ، واقتصرت على وصف تاريخ منطقة لوزيتانيا وقد اعتمد عليها المؤرخون القدامى منهم والحديثون اعتمادا كليا ، كما تعد المصدر الأول لمعلوماتنا فقد اهتمت بذكر الأحداث البارزة فى عهد الملك الفونسو هنريكز دون الخوض فى التفاصيل كما اعتمدنا عليها اعتمادا كليا فى تحقيق الروايات المختلفة التى أشارت إليها المدونات الأخرى (٥) .

وهناك أيضا مؤلفات رودريجو خيمنث دى رادا (رودريك الطليطلى) رئيس أساقفة مدينة طليطلة Radrigo Jimenz deRada ، وأطلعنا على مؤلفين اثنين منهما الأول تحت عنوان Opera وهو شامل لجميع مؤلفاته (٦) وأهمها تاريخ أعمال الملوك الأسبان Historia de Rebus Hispaniae وهو مدون باللغة اللاتينية ولكن الباحث اطلع أيضا على النسخة المترجمة إلى اللغة الأسبانية الحديثة تحت إسم Historia de los hechos de España (٧) وترجع أهمية هذه المدونة فى أن صاحبها رودريك الطليطلى توفى عام ١٢٤٧م فكان معاصرا لأواخر حكم الملك الفونسو هنريكز ، ويعطى تفاصيل مفيدة جدا بالنسبة لتاريخ قشتالة وليون والممالك المسيحية الأخرى وكذلك بالنسبة لتاريخ الأندلس ، فاعتمد عليه جميع المؤرخين بوصفه مصدرا أساسيا لكتاباتهم لأنه استعان بكثير من المؤلفات العربية الأولية عن الأندلس ، وعلى الرغم من أن هذا المؤلف يشير إلى أحداث شبه الجزيرة الايبيرية بصفة عامة فانه يشير إلى نشأة مملكة البرتغال فى أخبار موجزة وتتميز معلوماته بالدقة ، وقد اعتمد الباحث عليه كثيرا وخاصة فى احداث الحرب الأهلية التى قامت بين الفونسو المحارب ملك ارجون واوراكا (أراكه) ملكة قشتالة وكذلك الحال بالنسبة لأخبار ملك قشتالة " الامبراطور الفونسو السابع " و " فرديناند الثانى " ملك ليون وقد أفاد هذا المصدر الباحث كثيرا فى عقد المقارنات والموازنات بين المعلومات التى أوردها ومثيلتها فى المدونات الأخرى بغية الوصول إلى الحقيقة .

وهناك أيضا مدونة فتح لشبونة Conquista de Lisboa aos Mouros (1147) (٨) وهى المصدر اوحيد الذى استعرض تفاصيل الاستيلاء على مدينة لشبونة واعتمد عليه جميع المؤرخين القدامى والمحدثين ، والمدونة عبارة عن رسالة مطولة أرسلها أحد

الصليبيين (المجهول لنا اسمه) المشاركين فى الحملة ضد مدينة لشبونة يصف فيها تفاصيل الحصار ويمجد زملاءه الذين شاركوا فيه ، فهى تتكون من سبعين ورقة وفيها تعرف الباحث على دور كل من البرتغاليين والإنجليز والنورماندين والألمان والفلمنك وعلى العمليات الحربية التى دارت أثناء الحصار ومع ذلك كان الباحث حذرا فى كل ما استقاه منها فعلى سبيل المثال عندما تعرض لوصف مدينة لشبونة وحصانة موقعها أوضح أن بها ستين ألف عائلة ويبلغ عدد سكانها مائة وأربع وخمسين ألف رجلا دون النساء والأطفال ويبلغ عدد رجالها المسلحين خمسة عشر ألفا فكان ذلك مثار دهشة الباحث فكيف تسنى للمؤرخ الصليبى حساب تلك الأرقام المبالغ فيها .. وقد جاءت روايته غير متناسقة ولا تتصف بالحبكة كما تتضح فى روايته شدة الحماس الدينى ، ومع هذا فقد ظهرت فى روايته بعض الأمور التى وضحت الهدف المادى من اشتراك الأسطول الصليبى مع البرتغاليين فى حصار لشبونة وعلى سبيل المثال عندما علم الصليبيون عن طريق إحدى الاشاعات بأن الملك البرتغالى سوف يقبل الهدنة مع سكان لشبونة فى مقابل دفعهم الجزية ، مما أغضبهم وأهاجهم حتى الوصل الأمر إلى استعدادهم لقتال الملك البرتغالى ونجح الملك الفونسو فى إزالة سوء الفهم وطمأنهم على مكاسبهم التى كانوا يسعون إليها من وراء مشاركتهم فى حصار المدينة ، كما أنه كان متأثرا بجنسيته الإنجليزية فالصق كل ما هو جدير بهم على حساب الجنسيات الأخرى المصاحبة لهم عند دخول الصليبيين لمدينة لشبونة وفى النهاية نستنتج من خلال كتاباته أنه كان شخصا مطلعا ، ومن قادة الحملة لأنه لا يتسنى لفارس عادى أن يطلع على نوايا القادة واتفاقياتهم مع الملك الفونسو هنريكز ، إلى جانب ما سبق يتضح من روايته أيضا عدم الحس التاريخى أو تنسيق المعلومات وترتيبها ترتيبا متسقا مع أحداث الحصار والخوض فى تفاصيل جانبية عديدة تؤدى إلى الخلط فى روايته .

ومن المصادر الهامة الأخرى والمعاصرة لتلك الأحداث تاريخ كومبوستلا Historia Compostelana وقام بكتابته رجال الدين فى أسقفية شانت ياقب باشراف رئيس الأساقفة ديجو جالمريز رئيس الحزب الجليقى - وأحد أطراف النزاع فى الحروب الأهلية -

والذين رغبوا في تسجيل تاريخ أسلافهم من رجال الأسقفية ، ويتضمن ما يقرب من ستمائة صفحة باللغة اللاتينية [٩] ، ويركز على الأحداث الجارية بين عامى ١٠٩٤ م و ١١٣٩م وعلى الرغم من أن المشرف على هذا العمل هو أحد أطراف النزاع فى الحروب الأهلية بين مملكة أرجون وقشتالة والبرتغال ، الأمر الذى جعله يؤثر على حياد الكتابة إلا أنه من أهم وأكبر مصادر تلك الفترة الزمنية ، فقد تعرض للأحداث بشكل واضح مما أدى إلى استفادة الباحث منها إفادة جمة فى فترة تعتبر من أكثر الفترات ظلاما فى التاريخ الأسبانى وهى الحروب الأهلية واعتمد عليها خاصة فى أخبار ريموند البورجونى كونت جليقية فى منطقة البرتغال وهزيمته فى ربيع ١٠٩٥م على يد المرابطين ، كما استفاد الباحث أيضا من إشارته لأحداث البرتغال وتحالفاتها التى قام بعقدها كل من الكونت هنرى وزوجته دونيا تريزا ، ونشأة الأمير الصغير الفونسو هنريكز وتاريخ حكمه الأول .

أما بالنسبة لمدونة الإمبراطور الفونسو السابع La Cronica de Alfonso El Emperador من أهم المصادر التى اعتمد الباحث عليها فهى مدونة باللغة اللاتينية ، قام بجمعها ويثى ميرانده فى مجموعة المدونات اللاتينية لحركة الاسترداد [١٠] ، وهى تشمل تاريخ الإمبراطور الفونسو السابع ، ترجع أهميتها فى أنها المصدر الوحيد الذى أشار إلى العلاقات بين الإمبراطور الفونسو السابع (ريموندير) والملك الفونسو هنريكز ، إلا أن كتاباته لم تسعف الباحث فى توضيح ابعاد تلك العلاقة إذ أنها ذكرت الحروب التى تمت بين الملكين مجتمعة دون فواصل زمنية مما أدى إلى اجتهاد معظم المؤرخين فى تصنيفها وترتيبها ترتيبا زمنيا يتسق مع الحوادث المتتابعة وقد تأثرت هذه المدونة بكونها مدونة لتاريخ الإمبراطور الفونسو السابع ، فبررت عقد معاهدة بالدبيز Valdevez ١١٤٠م بأن نبلاء البرتغال طلبوا من ملكهم إيقاف هذه الحروب بسبب عدم فائدتها لهم ولأجل توجيه جهودهم ضد المسلمين وأن الملك استجاب إلى نصيحتهم وقد أثبت الباحث الرأى المضاد وهو الأقرب إلى منطق الأحداث ويتضمن أن الانتصارات فى المبارزات الفردية كانت معظمها جانب البرتغاليين وأن رغبة الصلح جاءت من طرف الإمبراطور . وتتميز هذه المدونة بأنها سجل حافل لأحداث مملكة قشتالة فى عهد الإمبراطور الفونسو السابع

(ريمونديز) كما أفادت الباحث فى التعرف على موقف الإمبراطور الفونسو السابع من دونيا تريزا عند توليه الحكم فى سنة ١١٢٦م ونفس الموقف من ابن دونيا تريزا الفونسو هنريكز فى بداية حكمه .

أما بالنسبة لمصدر مملكة لوزيتانيا (لجدانية) Monarquia Lusitana .. (١١)فيعد من أهم وأشمل المصادر الخاصة بتاريخ مملكة البرتغال منذ القدم وخاصة فيما جاء بالجزء الثالث والرابع لأنطونيو برانداو Antonio Brandão .. (١٢) ويبدأ الجزء الثالث منذ عهد هنرى البورجونى حتى أواخر عهد الملك الفونسو هنريكز ، وقد اعتمدنا على فترة هنرى البورجونى ودونيا تريزا فى مدونة خاصة بها وهى قسم يتضمنه الجزء الثالث وفصل عنه تحت عنوان Cronica do conde D . Henrique , Doña Teresa E infante D. Alfonso.. (١٣) وترجع أهمية هذا المؤلف بان صاحبه تمتع بأصول ومناهج البحث الحديثة وقد فتحت له أرشيفات المملكة واطلع على المدونات القديمة ويتضح ذلك من سرده للأحداث من خلال عرضه للآراء المختلفة للأحداث مع تدعيمها باقتباس كامل من المدونات القديمة والوثائق التى أوردها كاملة بلغاتها الأصلية ثم يقوم بترجمتها وبعدئذ يبدأ فى تأييد أحد هذه الآراء مستندا على دراسته ومقارنته لها ، وأفاض فى سرد الأحداث التاريخية وأعطى تفصيلات أفادتنا فى معظم قضايا البحث ، ولكنه وضع مؤلفه تحت رعاية المملكة البرتغالية فظهر التحيز فى كتاباته لتاريخ ملوكها فيستفيض فى سرد أخبار المملكة ونشاط الملك الفونسو هنريكز ضد المسلمين على حساب تفصيلات علاقته بالممالك الأسبانية الأخرى مما يؤثر على عدم سد الفجوات التاريخية فاستطرد مثلا فى علاقة الملك الفونسو هنريكز بالمسلمين فى معركة أوريك واستعرض الآراء المختلفة حول موقعها وأحداثها وذكر المعجزات التى صحبتها معتمدا فى ذلك على الأرشيفات والمدونات وخاصة الأولى وأهمها « مدونة القوط » ولذلك اعتمد الباحث عليه فى نقاط عديدة من البحث مستفيدا من تحليلاته وآرائه فهو أقرب إلى المؤلفات الحديثة لولا عيبه فى خلط الحقائق بالأساطير وذلك مرجعه إلى العصر الذى كتب فيه .

إلى جانب ذلك يوجد عديد من المصادر الهامة التى تناولت تاريخ ملوك البرتغال

وعلى رأسها مدونة الملك الفونسو هنريكز Chronica del Rei D. Alfonso Henriques .. (١٤) للمؤرخ دوارتى جالفاو Duarte Galvão ولد فى عام ١٤٤٦م وتوفى عام ١٥١٧م وقد وضع مؤلفه تحت عناية ورعاية الملك خوان الخامس فكان لذلك أكبر الأثر فى تمجيده لتاريخ البرتغال وحذف ما يقلل من شأنها ، ويشمل تاريخ عام للملك الفونسو هنريكز واعتمد عليه المؤرخون التاليون خاصة انطونيو براندا وفى مؤلفه ملكة لوزيتانيا واستفاد الباحث منه كثيرا فى علاقة الملك الفونسو هنريكز بالمسلمين وفى عقد المقارنات مع المدونات الأخرى للوصول إلى الآراء الأقرب للحقيقة ، وأفادتنا أيضا بصفة خاصة فى التعرف على أحداث الفترة الأولى من استيلاء الملك الفونسو على الحكم سنة ١١٢٨م وسنوات حكمه الأولى ومواجهته مع ملك قشتالة الامبراطور الفونسو السابع برفضه لإعلان الخضوع الإقطاعى .

وإلى جانب تلك المصادر السالفة الذكر يوجد مصادر أخرى لا تقل أهمية ، خاصة المدونات البرتغالية وأهمها مدونة الملوك السبعة الأوائل للبرتغال Cronicas dos sete Primeiros Reis de Portugal ..(١٥) للمؤرخ كارلوس ى سيلفا Carlos da Silva وفيه يتعرض للبرتغال منذ نشأتها مع إشارته إلى تأسيس الكونتية على يد هنرى البورجونى ويتعرض للأسباب الحقيقية لحضور كل من هنرى وريموند البورجونيين إلى شبه الجزيرة ، ثم يستعرض تاريخ الملك الفونسو هنريكز وإن كان يسرد أحداثا فى بعضها غير حقيقية ، مثل اكتساب الأمير الفونسو هنريكز لكثير من الأراضى الإسلامية وصده لحملة الأمير على بن يوسف على قلمرية فى سنة ١١١٧م وأنه انتصر على المسلمين وطردهم وهذا ما يجافى الواقع كما اتضح فى فصول الرسالة - ورواية أخرى عن حملة لنفس الأمير الفونسو هنريكز فى سنة ١١٢٦م ضد الأراضى الإسلامية واستيلائه على بعض القلاع وهذا ما تنفيه الأحداث التاريخية ولا تؤكده جميع المصادر الأخرى فلم يكن لافونسو هنريكز قبل توليه الحكم أى نشاط ضد المسلمين وأول صدام كان فى معركة اوريك سنة ١١٣٩م ، ولكنه سرد لنا الكثير من الأحداث الهامة عن الملك الفونسو هنريكز منها « معركة اوريك » وتنظيم الجيوش وخط سير المعركة وأحداث الاستيلاء على

شنترين واستعانته بالصليبيين فى الاستيلاء على لشبونه وتتسم كتابته بنظرة تحليلية للاحداث وإن كان تشوبها الأساطير ، سمة العصر آنذاك .

وهناك مدونة خمسة ملوك برتغاليين Cronica de Cinco Reis de portugal (١٦) للمؤرخ باستو Basto والذى يستعرض تاريخ البرتغال منذ نشأتها واستعرض تاريخ الملك الفونسو هنريكز وتركيزه الاساسى على أعماله وحروبه ضد المسلمين وأفاد الباحث إفادة جمة فى الوقوف على صراع الملك الفونسو مع الإمبراطور الفونسو السابع ملك قشتالة فعلى الرغم من قلتها وعدم اتساق روايته ولكن شكل مع المدونات الأخرى نسيج تلك العلاقة ، منها على سبيل المثال عرض الملك الفونسو مملكته للبابا وقبوله دفع الجزية والخضوع الإقطاعي له وإجابة البابا له بذلك ، كما أفاد ذلك الباحث فى الوقوف على طبيعة الاحتكاك البحرى بين الموحدين والبرتغاليين ، ويشترك مع المدونات السابقة فى استعراض كثير من الأساطير .

كما استعرض الباحث أيضا مدونة ملوك البرتغال ... (١٧) Cronicas dos Reis de portugal للمؤرخ دوارتى نونيز دى لياو Duarte Nuñes de Leão وهى عبارة عن مجموعة من المدونات الخاصة بملوك البرتغال تبدأ بمدونة الكونت هنرى البورجوني والتى أفادتنافى مواقف كثيرة وإن كان يتبنى فكرة أن « خمنيز نونيز » والدة دونيا تريزا زوجة شرعية للملك الفونسو السادس وبالتالى ابنتها ابنة شرعية ويفسر ذلك - كما أشرنا - إلى محاولته استبعاد كل ما يحط من أصول ملوك البرتغال . ثم يستعرض كثيرا من أعمال الملك الفونسو ، والمدونة التالية عن الملك الفونسو هنريكز وأفاد الباحث كثيرا من تفصيلاته فى حروب الملك الفونسو ضد المسلمين وخاصة الحملات ضد شنترين ولشبونه وأيضا إشارات بسيطة عن علاقته بالملوك الأسبان وخصوصا فرديناند الثانى ملك ليون .

وهناك ملاحظة عامة على المدونات البرتغالية السابقة ، انها متشابهة فى ذكر الأحداث ولها نفس السمات من حيث اهتمامها بتمجيد ملوك البرتغال واسباغ كل ماهو حسن عليهم واستبعاد كل ما يسىء إليهم ، واستعرضوا كثيرا من أعمال الملك الفونسو هنريكز ضد المسلمين وإشارتهم القليلة جدا عن علاقته بالملوك الأسبان الآخرين ، ويبدو

أنهم اعتمدوا على أصل واحد فى روايتهم لأن اختلافاتهم فى سرد الأحداث قليلة والسمة الغالبة هو إيمانهم الكامل بالأساطير المخلوطة بالحقائق .

ومن المدونات الأخرى التى لا غنى عنها لباحث تاريخ البرتغال مدونتى قلمرية ولوزيتانيا فالأولى Chronicon Conimbricense وقد أوردها هنريكز فلورز فى مجموعة أسبانيا المقدسة España Sagrada (١٨) وتقع فى الجزء الثالث والعشرين وتبدأ منذ بداية الفتح الإسلامى حتى سنة ١٤٠٤م على نظام الحوليات شديدة الاختصار وأهميتها أنها تتبع فقط الأحداث ذات الصلة بمنطقة قلمرية أو بمعنى أدق منطقة البرتغال (لوزيتانيا) وهى باللغة اللاتينية وقد أفادت الباحث كثيرا فى تتبع أحداث حركة الاسترداد للملك الفونسو هنريكز وعلى الرغم من أن إشارتها مقتضبة إلا أنها ساعدت كثيرا لتتبع أحداث مدينة قلمرية والتى شهدت كثيرا من الأحداث وخاصة حصار الأمير على بن يوسف لها فى سنة ١١١٧م .

أما المدونة الأخرى وهى لوزيتانيا Chronicon Lusitano فأوردها هزيكز فلورز فى الجزء الرابع عشر وهى على نظام الحوليات ومدونة باللغة اللاتينية وتخص منطقة لوزيتانيا (البرتغال) وتبدأ أحداثها منذ دخول القوط أسبانيا عام ٣١١م حتى عام ١١٨٤م بحصار الخليفة أبى يعقوب يوسف لشنترين ومقتله وتتفق مع مدونة القوط فى الفترة الزمنية ولكن تختلف عنها فى بعض التفاصيل ، وكان اعتماد الباحث عليها فى تتبع غزوات الملك الفونسو هنريكز وحروبه ضد المرابطين والموحدين ، وقد أفادت الباحث كثيرا فى عقد المقارنات مع أحداث المدونات الأخرى ونجد أنها تعتمد اعتمادا كليا على مدونة القوط فى سرد حولياتها .

هذا عن أهم المصادر والمدونات الأوربية المعاصرة والمتأخرة زمنيا عن الفترة موضوع البحث .

أما المصادر العربية فيأتى فى مقدمتها « تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين » (١٩)لابن عبد الملك ابن صاحب الصلاة (٢٠)، ويتكون كتابة من ثلاثة أقسام ، يضم الأول معلومات استقاها من الرواة الذين تحدثوا

إليه منهم ابو القاسم بن أبى حرون وأبى محمد سيدراى بن وزير وأبى العلاء بن عزون ، أما القسم الثانى من تاريخه كان شاهد عيان له ، أما القسم الثالث فهو منقول عن بعض المؤلفين المعروفين كابن حيان وابن العربى أو عن بعض الوثائق الرسمية للدولة مما استأثر بها على سائر المؤرخين (٢١) ويعتبر هذ ا المؤلف مصدرنا الأول عن علاقة الملك الفونسو هنريكز بالموحدين وقد انفرد فيه دون جميع المؤرخين المسلمين والمسيحيين بأخبار العلج الجليقى جرانده (خيرالدو سيمبا فور) فأوضح تكتيكاته الحربية وكيف كان يختار الليالى المظلمة الحالكة الشديدة الريح ويقوم بغزواته على المدن والقلاع الإسلامية معدا سلالم للتسلق ، كما أشار إلى القلاع والمدن التى استولى عليها (٢٢) ، وكانت تفصيلاته لحصار الملك الفونسو هنريكز مع خيرالدو سيمبافور لمدينة بطليوس ، وتدخل الملك فرديناند ، كما انفرد هذا المؤلف بذكر غزوات البرتغاليين فى أراضى الأندلس ورد الموحدين عليها ، نذكر على سبيل المثال حملة نصارى شنترين التى قامت سنة ٥٦١هـ / ١١٦٦م ضد حصن طلياطة ورد أبى عبد الله حاكم اشبيلية الذى خرج بجيش ولحق بهم وهزمهم وأسرهم واستولى على غنائمهم (٢٣)، وكذلك الحال بالنسبة لخروج حملة عام ٥٦٣ هـ / ١١٦٧م بقيادة ابن مردنيش وخيرالد وسيمبافور وإغارتهم على مدينة رندة ثم تصدى أبو عبد الله والى غرناطة لها والانتصار عليها (٢٤).

وإلى جانب هذا المصدر الهام اطلع الباحث على كتاب « البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب » لابن عذارى (٢٥) بأجزائه الأربعة بالإضافة إلى القسم الثالث الخاص بتاريخ الموحدين – نشر ويثى ميرانده – ويضم أخبار مكملة للأجزاء السابقة وجدير بالذكر أن ميرانده عندما عثر على ذلك القسم لم يجد عليه اسم المؤلف فاضطر إلى نشره مع ترجمة له باللغة الأسبانية تحت اسم مدونة مدريد ، مجهول المؤلف El anonimo de Madrid وأنسبها إلى التواريخ المعروف بابن بسام فى اخبار ملوك الحضرة « المراكشية » ولكنه اكتشف بعد ذلك أنه يخص كتاب ابن عذارى فأعاد نشره كقسم ثالث لابن عذارى، وقد اعتمد ابن عذارى فى كتاباته على ابن صاحب الصلاة وقد استفاد الباحث تماما من هذا القسم الثالث فيما يتعلق بعلاقة الملك الفونسو هنريكز بالموحدين إذ انفرد المؤرخ بذكر

كثير من حلقات ذلك الموضوع وقد اعتمدنا عليه اعتمادا كليا عندما توقف ابن صاحب الصلاة فى السفر الثانى ٥٦٨هـ/١١٧٢م وفقد السفر الثالث الذى يلى التواريخ السابقة، فمنذ ذلك التاريخ حتى ٥٨١هـ / ١١٨٥م يعتبر كتاب ابن عذارى هو المرجع الأساسى وقد اعتمدنا عليه فى توضيح النشاط البحرى بين الموحدين والبرتغاليين ووضعها فى إطارها الصحيح بعيدا عن مبالغات المدونات البرتغالية حول ذلك النشاط ، هذا فضلا عن اشاراته المتفرقة العديدة عن العلاقة بين الملك الفونسو هنريكز والموحدين وكان أهم ما أورده حصار ابى يعقوب يوسف لمدينة شنترين ومقتله عام ٥٨٠هـ/١١٨٤م خاصة وأنه نقل عن ابن صاحب الصلاة من السفر الثالث المفقود لنا الآراء المختلفة فى سبب إصدار الخليفة أوامره بتحرك جيشه من جهة إلى أخرى بجانب الإفادة العامة من ابن عذارى لإلقاء الضوء على تحركات الموحدين فى غرب شبه الجزيرة الايبيرية .

ومن المصادر الهامة أيضا عن تاريخ المرابطين والموحدين كتاب « المعجب فى تلخيص أخبار المغرب »(٢٦) لعبد الواحد المراكشى (٢٧) وهو يشمل تاريخ دولة الموحدين والتى نشأ المؤلف فى كنفها وقد اعتمد عليه الباحث فى مواضع مختلفة متفرقة من علاقة الملك الفونسو هنريكز بالمرابطين والموحدين وذكره لغزواتهما وخاصة غزوات سير بن أبى بكر فى غرب الأندلس (٢٨)، ثم غزوة على بن يوسف ضد مدينة شنتمرية وتوضيحنا بأنه كان يقصد مدينة قلمرية وإن كان قد وضعها فى تاريخ غير صحيح ٥١٣هـ كما وضحناه ، ثم آراءه فى موقعة شنترين والتى قتل ابى يعقوب يوسف وقد ساعد هذا الكتاب الباحث فى عقد المقارنات المختلفة للوصول إلى المعلومات الصحيحة .

ومن المصادر الهامة الأخرى التى استفاد منها الباحث كتاب « الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس (٢٩) ، لابن أبى زرع (٣٠)، وهو من المصادر العامة عن تاريخ الأندلس ويختلف فى طريقته عن أغلب المؤلفات الإسلامية حيث يبدأ مؤلفة بتاريخ الدول ويبتدى بالبحث عن مؤسس الدولة ويستعرض ترجمته وأسباب قيامه على الدولة ثم ينتقل إلى ملوك تلك الدولة فيتكلم عن الأحوال التاريخية التى حدثت في عهد كل ملك على حدة ، وقد استفاد الباحث كثيرا من رواياته عن حصار

شنترين ومقتل الخليفة أبى يعقوب يوسف سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م وروايته المفصلة وتفسيره لأمر الخليفة بانتقال الجيش من موضع ونزوله إلى مكان آخر وما سبق من المصادر العربية فهى المصادر الأساسية لتاريخ الموحدين .

وإذا انتقلنا إلى جانب المراجع الأوربية فهى متنوعة بين البرتغالية والأسبانية والإنجليزية والفرنسية والألمانية ورجعنا إلى كم هائل منها ويأتى فى مقدمتها كتاب تاريخ البرتغال Historia de portugal (٣١) لاكسندر هرقلانو Alexandre Her-culano وهو من أهم المؤلفات التى عالجت تاريخ مملكة البرتغال ويشمل تاريخها منذ الجذور الأولى للمملكة حتى عهد الملك الفونسو الثالث وكان أول نشر له عام ١٨٤٢م إلى ١٨٥٣م واعتبره كثير من المؤرخين مصدرا من مصادر التاريخ البرتغالى الرئيسية وتتميز بالمنهج العلمى السليم ، وقد اتبع مؤلفه طريقة السرد المفسر والتعليق والمقارنة بين كثير من الأحداث التاريخية التى تضمنها الكتاب ولذا فقد اعتمد الباحث عليه فى كثير من المواضع مثل تفاصيل الحروب الأهلية وتوضيح دور كل من هنرى البورجونى ودونيا تريزا فى هذه الحروب ، وقد خصص المؤلف الجزء الثالث من الكتاب للحديث عن فترة حكم الملك الفونسو هنريكز فاستفاض فى سرد علاقته بالمسلمين بينما شح فى سرد علاقته بالممالك الأسبانية ، ويرجع ذلك إلى صمت المصادر الأولية عن هذا ، وقام المؤلف بإزالة الغموض من حول كثير من الأحداث فى تاريخ البرتغال وعلى سبيل المثال حديثه عن معركة أوريك فخمن موقعها وحقق أطرافها وأحداثها وهناك ملاحظة جديرة بالاهتمام هو أنه يظهر من سرده استعانته بالمؤلفات العربية فى شتى المواضع .

وإلى جانب ذلك المؤلف اطلع الباحث على كتاب التاريخ السياسى لإمبراطورية الموحدين Histroria politica del Imperio Almohade (٣٢) وكاتبه ويثى ميرانده Hu-ici Miranda وهو يعتبر أهم المراجع التى أرخت لتاريخ الموحدين ، ولا غنى لباحث فى تاريخ الأندلس عنه ، فويثى مشهود له بأبحاثه العديدة المتنوعة وإعادة تقديمه للمدونات والمصادر المسيحية والإسلامية للباحثين وإفادته لنا كانت عامة عن علاقة الملك الفونسو هنريكز بالموحدين فكان اعتماده فى معلوماته على المصادر الإسلامية فى المقام الأول .

وهناك أيضا كتاب الفونسو السابع (٣٣) Alfonso VII , Emperador الإمبراطور للمؤرخ ركويرو Recuero وهو دراسة تاريخية عن الإمبراطور الفونسو السابع ، اعتمد مؤرخه فى دراسته على الوثائق وكان يتبع تحركاته من خلالها وعلى الرغم من ذلك كان يشوبها أحيانا كثير من الأخطاء لأنه ليس بالضرورة وجود وثيقة للملك بتاريخ معين فى مدينة معينة وجود الإمبراطور فى نفس هذا المكان والتاريخ المعينين وما يعيبه أيضا أنه كثيرا مايدخل فى قضايا فرعية يقطع بها تسلسل الأفكار واتساقها فكان اعتمادنا عليه فى علاقة الملك الفونسو هنريكز بالإمبراطور الفونسو السابع ملك قشتالة .

وهناك العديد من المراجع الأوربية بجانب الأبحاث التاريخية المتنوعة فى الدوريات المختلفة التى اعتمد عليها الباحث فى استخلاص وجهات النظر ومساعدته فى توضيح ماغمض من الأحداث التاريخية واستفادته التامة من تحليلات هذه الأبحاث والاستنتاجات .

أما بالنسبة للمراجع العربية فيأتى فى مقدمتها كتاب عصر المرابطين والموحدين لمحمد عبد الله عنان وهو أعم وأشمل مؤلف عن تاريخ المرابطين والموحدين وهو الأساس لأى باحث فى تاريخ هاتين الدولتين ، وقد استفدت فى بعض مواضع البحث وكان هو المرجع الأول الذى أنار لنا فكرة عامة عن الملك الفونسو هنريكز قبل البدأ فى بحثه وجمع مادته وقد اعتمد المؤلف كثيرا على الترجمة من المؤلفات الأجنبية فكان ينقلها كاملة بعد تنسيقها والتعليق عليها ، وكان متأثرا فى كتابته بنظام يوسف أشباخ فى فى مؤلفه «تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين » (٣٤) والأخير أفادنا كثيرا على الرغم من الأخطاء العديدة التى وقع فيها على سبيل المثال نهاية ابن قسى واختلافه فى روايته عن رواية جميع المصادر التى تناولت هذا الموضوع وأيضا خطأه فى سرد تواريخ غير حقيقية لبعض الأحداث التاريخية مثل تعاون الفونسو هنريكز مع ابن قسى بقيامه بحملة إلى جنوب الأندلس والتقائه فى مواقع عديدة مع المسلمين وإحراز النصر عليهم وهذا ما يتنافى مع حقيقة الأحداث .

ومن بين المراجع العربية الهامة التى استفدت منها كتاب « التاريخ السياسى لمدينة

بطليوس الإسلامية »[٣٥] للدكتورة سحر السيد عبد العزيز سالم ، فاستفاد الباحث منه أحداث إغارة الفونسو هنريكز على مدينة بطليوس فى ٥٥٦هـ/ مايو ١٦٦١م فضلا عن تحديد التاريخ الصحيح لحصار نفس المدينة فى رجب ٥٦٣هـ وليس رجب ٥٦٤هـ بجانب تفاصيل الحصار وبعض المواضع المتفرقة من أحداث غرب الأندلس .

هذا عرض نقدى تحليلى لبعض مصادر البحث ومنابعه من أوربية وعربية وبيان ما أفدناه منها عساه يساعد القاء الضوء على السياسة الخارجية للملك الفونسو هنريكز ملك البرتغال (١١٢٨ - ١١٨٥م/٥٢٢-٥٨١هـ) ، وخلصنا من ذلك أن سياسته كلها انصبت حول تأسيس واستقلال مملكة البرتغال .

الهوامش :

١ - بالبحث فى أكثر مكتبات أسبانيا مثل المكتبة الوطنية بمدريد ، وكذلك مكتبات البرتغال فضلا عن مكتبة كلية الآداب بجامعة لشبونة اتضح عدم وجود بحث قائم بذاته حول ذلك الموضوع .

٢ - Revista Portuguesa de Historia , T3 , Coimbra 1974 pp . 81-128 .

٣ - Brandão , Cronica do Conde D . Henrique , D. Teresa E Infante D . Alfonso ; Porto 1944 .

٤ - التاريخ القيصرى ازيد من التاريخ الميلادى ٣٨ عاما .

٥ - ليس لها مؤرخ محدد ولكنها عبارة عن تسجيل للأحداث البارزة والتى لاتتعدى سطر أو بضعة أسطر عن كل حدث أو بمعنى أدق على نظام الحوليات شديدة الاختصار .

٦ - وأهمها مدونات الرومان وقبائل الجرمان والأسبان والعرب . Opera , Universidad 1974

٧ - Madrid 1982 .

٨ - Lisboa 1936 .

المؤلف مجهول وفى الواقع أن كثيرا من المدونات مجهولة المؤلف واننا أشرنا إلى بعض التفاصيل عن بعض المؤرخين الأوربيين عندما عثرنا على ذلك .

٩ - España Sagrada , T 20 , Madrid 1765 .

١٠ - Las Cronicas Latinas de la Reconquista , T2 .

قد وضعها أيضا هزيكز فلورز فى مجموعة أسبانيا المقدسة: España Sagrada الجزء الواحد والعشرون .

١١ - Parte 3 , Lisboa 1973 .

١٢ - ولد المؤلف فى الكباكة Alcobaca ٢٥ ابريل سنة ١٥٨٤ ونشأ على التربية الدينية وأصبح راهبا فى دير الكباكة ، وقد وضع مؤلفه تحت رعاية فيليب الثالث ملك البرتغال وتوفى سنة ١٦٣٧ .

١٣ - Porto , 1944 .

١٤ - Lisboa , 1906 .

١٥ - Lisboa, 1952 .

١٦ - Vol. 1 , porto, sld.

١٧ - Porto 1975 .

١٨ - وهى مكونة من خمسة وخمسون جزءاً .

١٩ - السفر الثانى ، تحقيق وتقديم : عبد الهادى التازى ، بيروت ، ١٩٦٤ .

٢٠ - هو عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم المكنى بأبى مروان ويعرف بابن صاحب الصلاة ويعنى صاحب الصلاة الذى يؤم الناس فى صلواتهم وكان من أدباء عصره وكتابه وكان معاصرا لأحداث تلك الفترة ومرافقا لحملات أمير المؤمنين أبى يعقوب يوسف فى غزواته ضد الممالك المسيحية فى شبه الجزيرة الايبيرية ، وخاصة شنترين والتى قتل فيها الخليفة اعتمد عليه ابن عذارى فى أخبارها من السفر الثالث المفقود ، ثم توفى ٥٩٤ هـ / ١١٩٨م ولمزيد من التفاصيل راجع مقدمة الكتاب لمحقق عبد الهادى التازى ص ١٠ - ٢٨ .

٢١ - نفس المؤرخ والكتاب السابق ، ص ٤٣ - ٤٤ .

٢٢ - ابن صاحب الصلاة ، ص ٣٧٢ - ٣٧٤ واعتمادا على معلوماته كتب دافيد لوبز David Lopes بحثه " السيد البرتغالى خيرالدو سيمبافور

Cid Potugues : Geraldo Sempavor , Revista Portuguesa de Historia , t1 Coimbra 1940 .

٢٣ - ابن صاحب الصلاة ، ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

٢٤ - نفس المصدر ، ص ٣٥٦ - ٣٥٩ .

٢٥ - ابن عذارى ، هو أبو العباس أحمد بن عذارى المراكشى المتوفى بعد ٧١٢هـ / ١٣١٢ م .

٢٦ - تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

٢٧ - هو محى الدين عبد الواحد بن على المراكشى ٥٨١ هـ / ٦٤٧ هـ .

٢٨ - انظر ص ٨٥ - ٨٦ .

٣٩ - حرره وعلق عليه محمد الهاشمى ، الجزء الثانى ، الرباط ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م

٣٠ - هو أبو الحسن على بن عبد الله ابن أبى زرع المتوفى ٧٢٦ هـ .

٣١ - اعتمدنا على طبعتين مختلفتين الأولى طبعة فى ثلاث مجلدات واستخدمنا منها الجزء الأول طبعة Lisboa 1980 أما الطبعة الثانية فى عشرة أجزاء استخدمنا الجزء الثالث الخاص بالملك الفونسو هنريكز Lisboa 1983

٣٢ - نشرة فى جزئين تطوان Tetuan 1956 ومن هذا المؤلف استخلص بحثه عن الموحدين فى البرتغال

Los Almohades em Portugal , La Separta dos Anales II Seire , Vol . 5 Academia Portugesa de Historia , Lisboa 1954 .

٣٣ - Leon 1979 .

٣٤ - ج ١ ، القاهرة ١٩٤٠ ، ج ٢ ، القاهرة ١٩٤١ ، ترجمة وتعليق محمد عبد الله عنان .

٣٥ - رسالة ماجستير آداب الأسكندرية ، ١٩٨٤ م .



الفصل الأول

الأحوال السياسية لكونتيه البرتغال
قبيل عهد الفونسو هنريكز
(١٠٩٤ - ١١٢٨ م / ٤٨٧ - ٥٢٢ هـ)

الفصل الأول
الأحوال السياسية لكونتية البرتغال
قبيل عهد الفونسو هنريكز
(١٠٩٤ - ١١٢٨ م / ٤٨٧ - ٥٢٢هـ)

الجذور الأولى لنشأة كونتية البرتغال - تأسيس فرديناند الثانى كونتية البرتغال - حضور هنرى البورجونى وابن خاله ريموند إلى شبه الجزيرة الايبيرية ، وأثر ذلك على كونتية البرتغال - اختلاف المؤرخين حول تاريخ استرداد المسلمين مدينة لشبونة - إسناد الملك الفونسو السادس حكم كونتية البرتغال إلى هنرى عام (١٠٩٤م - ٤٨٧هـ) وأثر ذلك على الأوضاع السياسية السائدة فى أسبانيا - حدود كونتية البرتغال عند بداية حكم هنرى لها - اختلاف المؤرخين حول حول تقييم الشكل القانونى لكونتية البرتغال أثناء حكم هنرى لها - الإجراءات التى إتخذها هنرى بعد توليه حكم البرتغال - زواج أوراكا ابنة الفونسو السادس من ملك أرجون وأثر ذلك على كونتية البرتغال - هجوم المرابطين على البرتغال واستردادهم شنترين وشنترة عام ١١١١م / ٥٠٤هـ - وفاة هنرى البورجونى عام ١١١٢م - ٥٠٥ هـ وأثر حكمه على البرتغال - البرتغال تحت حكم دونيا تريزا ودورها فى الحروب الأهلية السائدة فى مملكة قشتالة - موقف الفونسو السابع ملك قشتالة من كونتية البرتغال - قضية العلاقة غير الشرعية بين تريزا وفرديناند بيريز الجليقى - ثورة الابن واستيلائه على الحكم (١١٢٨م / ٥٢٢هـ) - الفونسو هنريكز حاكما للبرتغال - نشأته ، حياته .

تميز تاريخ منطقة لوزيتانيا (لجدانية) بالقسم الغربى من شبه الجزيرة الايبيرية عبر العصور بكثير من مظاهر التطور السياسى والحضارى الذى مر بالمنطقة . وكان أهلها يتمتعون بخواص تتميز عن سائر الأسبان فى شرق الجزيرة ووسطها [1]. وقد عاش أهالى

لوزيتانيا ردحا طويلا من الزمن فى كفاح مستمر ضد قوى الاحتلال المتعددة التى سيطرت على المنطقة فى فترات متتالية ، من فينقيين وقرطاجنيين ، ورومان[٢] وسويفيين وآلان ووندال [٣] حتى استتب الأمر نهائيا لقبيلة القوط الغربيين [٤] فسيطروا عليها وظلوا يحكمونها حتى وصول الجيوش الإسلامية إلى شبه الجزيرة الايبيرية واستيلائهم على لوزيتانيا عام ٧١٤م/٩٤هـ بقيادةعبد العزيز بن موسى بن نصير [٥]، وذلك عدا المنطقة الصخرية القاحلة التى تسمى الصخرة [٦] ، ففر إليها بلاى[٧] مع عدد قليل من أتباعه أمام الزحف الإسلامى ، وقد أشارت المصادر المسيحية [٨]، أنهم جمعوا شتاتهم من كل ناحية وهاجموا القوات الإسلامية بجوار كهف كوفا دونجا Covadonga وحققوا انتصار كبيرا عليهم ، وقد بالغت الروايات فى وصف هذا الانتصار واعتبروه بداية حقيقية لانتصارات الأسبان [٩]. غير أننا نرى أن هذه الموقعة لم تكن بذات الأهمية التى صورتها الروايات المسيحية .

وقد سجل التاريخ شهادة ميلاد كونتية البرتغال [١٠]، عندما استرد الملك فرديناند الأول ملك قشتالة وليون (١٠٣٥ - ١٠٦٥م / ٤٢٦ - ٤٥٧ هـ) من المسلمين أراضى لوزيتانيا الواقعة بين نهرى دويرة ومنديجو وأهمها لاميجو « لميق » وبازو « بيزيو Vi-seo » [١١] وقلمرية وكون منها الكونتية ، وعين ششند المستعرب حاكما عليها[١٢] واستمرت الأحوال بها على ما هى عليه فى عهد خليفته الملك الفونسو السادس (١٠٦٥ - ١١٠٩م / ٤٥٧ - ٥٠٢ هـ) . ولذلك نشأت كونتية البرتغال نتيجة لتفاعل مجموعة من العوامل السياسيتوالجغرافية معاً ، لأن طبيعة حركة الاسترداد والصراع المستمر بين المسيحيين والمسلمين ، واتساع مساحة الأراضى المستردة من المسلمين جعلت من الصعوبة بمكان أن تكون هناك حكومة مركزية واحدة بل نشأت عدة مراكزوإمارات حربية تابعة للحكومة المركزية فى ليون . فكانت كونتية البرتغال إحدى هذه المراكز ولكن بمضى الزمن

اختلفت حدودها من وقت لآخر طبقا لتمدد وانكماش حركة الاسترداد .

وكـان وضع ملوك الطوائف السيء فى بلاد الأندلس من حـيث التنازع والتنافس والحروب بينهم سببا هاما لبداية حلقة جديدة فى تاريخ حركة الاسترداد ولتطور سياسى كبير فى شبه الجزيرة الايبيرية . فانتهز الملك الفونسو السادس هذه الفرصة واستولى على مملكة طليطلة عام ١٠٨٥م/٤٧٨ هـ ، ولكنه لم يهنأ بهذا الفوز طويلا لهزيمته المنكرة أمام جيوش المرابطين فى موقعة الزلاقة عام ١٠٨٦م / ٤٧٩هـ (١٣)، فتعالى عندئذ صراخ الملك الفونسو السادس فى كل أنحاء الغرب الأوربى طالبا النجدة ، فاستجاب لهذا النداء مجموعة من البارونات والفرسان الفرنسيين من مقاطعتى بورجونيا ونورمانديا وتجهز جيش قوى فى عـام ١٠٨٧م/ ٤٨٠هـ بقيادة الدوق ايدو الأول دى بورجونيا (إيو ديس بورك) Eudes Borel والفيكونت ريموند دى تولوز (الكونت ريمون دى سان جيل أو الصنجيلى) والفيكونت جالرمو دى مولون . واتجهوا جميعا إلى شبه الجزيرة الايبيرية للدفاع عن طليطلة (١٤) ولكنهم غيروا خطتهم واتجهوا ناحية تطيلة (١٥) وحاصروها بدون جدوى حتى اضطروا فى النهاية إلى فك الحصار والعودة إلى فرنسا (١٦).

وقد أشار بعض المؤرخين المحدثين إلى أن الكونتين البورجونيين هنرى وريموند (١٧) كانا ضمن فرسان هذه الحملة ، وآثروا البقاء فى أسبانيا على العودة إلى فرنسا مع بقية الفرسان (١٨)، ولكن البعض الآخر من المؤرخين لم يوافق على هذا الرأى بل اختلفوا فى تحديد تاريخ وصولهما إلى شبه الجزيرة الايبيرية (١٩) فى الأعوام الواقعة بين ١٠٧٩ و ١٠٩٧ م ، ويرى الباحث فى ضوء هذا الاختلاف أن الكونت ريموند وصل مع الحملة عام ١٠٨٧ م / ٤٨٠ هـ ، بدليل وجود توقيعه على إحدى الوثائق الصادرة فى ابريل سنة ١٠٨٧ م / محرم سنة ٤٨٠ هـ بصفته شاهدا عليها(٢٠) أما بالنسبة للكونت هنرى فاننا نرى عدم وصوله قبل عام ١٠٩٤م / ٤٨٧ هـ بدليل أن المصادر البرتغالية لم تشر إلى أى

دور قام به فى شبه الجزيرة قبل هذا التاريخ [٢١].

على أية حال ، كان حضور الكونتين هنرى وريموند البورجونيين إلى أسبانيا يرتبط بعوامل عديدة يأتى فى مقدمتها الرغبة الملحة فى تكوين اقطاعية يمحو بها هنرى البورجونى على وجه الخصوص وضعه الممقوت فى المجتمع الإقطاعى لكونه بدون أرض[٢٢] وقد تم له ما أراد بزواجه من دونيا تريزا الأبنة غير الشرعية لألفونسو السادس ملك قشتالة فى أواخر عام سنة ١٠٩٤ م أواخر عام ٤٨٧ هـ [٢٣]، وذلك بعد أن تزوج ابن خاله الكونت ريموند البورجونى من دونيا اوراكا الأبنة الشرعية لملك قشتالة الفونسو السادس فى سنة ١٠٩٣م / ٤٨٦هـ [٢٤] وتوليه حكم جليقية والبرتغال معا . هذا إلى جانب شدة الحماس الدينى للكونت هنرى فى القتال ضد مسلمى الأندلس واستجابته لدعوة الرهبان الكلونيين لهذا الغرض [٢٥]، أولئك الذين أرسوا دعائم الأديرة الكلونية داخل شبه الجزيرة الايبيرية وعملوا على إذكاء الروح الصليبية ضد المسلمين بارشاد من البابوية وتحمسها المستمر لقتال المسلمين فى شبه الجزيرة الايبيرية [٢٦]. وفضلا عن هذا وذاك كان لزواج الملك الفونسو السادس من الملكة البورجونية كونستانس، أكبر الأثر فى توثيق أواصر الود والصداقة بين البلدين مما شجع الكونت هنرى فى اتخاذ قرار الرحيل من فرنسا والاستقرار داخل الأراضى الأسبانية [٢٧].

كيفما كان الحال ، يعد دخول الكونتين هنرى البورجونى وريموند أراضى شبه الجزيرة الايبيرية ، بداية لمرحلة جديدة فى تاريخ كل من قشتالة والبرتغال ، ولعل ذلك يتضح عندما خشى المتوكل أمير بطليوس من تدخل المرابطين فى شئون إمارته واحساسه بالخطر المحدق به ، طلب المساعدة من الملك الفونسو السادس عام ١٠٩٣م / ٤٨٧ هـ [٢٨] مقابل تنازله عن مدن لشبونة وشنترين وشنترة [٢٩] وعندئذ لم يتردد ملك قشتالة فى الرد على حاكم بطليوس بالموافقة وجهز جيشا قويا لهذا الغرض فى نفس الوقت أسند مسئولية الإشراف على هذه المدن الإسلامية الثلاث - بعد أن تسلمها - إلى الكونت

ريموند البورجونى فأمر بتعزيزها بحاميات قوية من القوات المسيحية (٣٠). ولكن ما لبث أن أعد القائد المرابطى سير بن أبى بكر جيشا كبيرا - بعد أن قضى المرابطين على سلطان بنى الأفطس فى بطليوس أوائل مارس سنة ١٠٩٤م / صفر ٤٨٧ هـ - لاسترداد المدن التى تنازل عنها المتوكل إلى الملك الفونسو ، وقد اتفق المؤرخون المسلمون والمسيحيون على تاريخ استرداد المسلمين لمدينتى شنترين وشنترة بينما اختلفوا فى تاريخ استرداد لشبونة ، فالبعض ذكرها ضمن أحداث عام ١٠٩٤م / ٤٨٧ هـ (٣١) بينما أرخ ذلك البعض الآخر ضمن أحداث ١١١١م / ٥٠٤ هـ (٣٢) ، ولكننا نؤيد الفريق الأول فى رأيه لأنه ثابت من خلال المصادر التاريخية المعاصرة لهذه الفترة الزمنية أن الكونت ريموند البورجونى بعد أن أختار شنترين عاصمة لكونتية البرتغال جمع جيشا كبيرا وسار به فى اتجاه لشبونة فى ربيع ١٠٩٤م / ٤٨٧ هـ وفرض الحصار حولها ولكنه انهزم وأجبر على الإنسحاب (٣٣)، كما أن مؤرخ كتاب « تاريخ كومبوستلا » قد أدرج حادثة استيلاء المسلمين عليها ضمن أحداث عام ٤٨٧/١٠٩٤هـ فضلا عن ذلك فاننا لم نعثر بين مصادر تلك الفترة الزمنية على مايشير إلى بقاء لشبونة تحت سيطرة المسيحيين بعد عام ١٠٩٤م / ٤٨٧ هـ ولذلك يمكن أن نرجع هذا الاختلاف إلى خلط المؤرخين بين أحداث استيلاء المرابطين على لشبونة عام ١٠٩٤م / ٤٨٧ هـ واستيلائهم على شنترين وشنتره عام ١١١١م / ٥٠٤ هـ (٣٤).

على أية حال ، بعد هزيمة ريموند البورجونى عام ١٠٩٤م / ٤٨٨ هـ واستعادة المسلمين لشبونه ، قرر الملك الفونسو السادس فصل كونتية البرتغال عن جليقية وإسنادحكمها إلى هنرى البورجونى كدوطة لزواجه من ابنته غير الشرعية تريزا ، عام ١٠٩٤م/٤٨٨ هـ(٣٥) على أن تظل الكونتية خاضعة لإشراف كونت جليقية (٣٦).

وعلى الرغم من أن حدود كونتية البرتغال كانت تختلف من وقت لآخر تبعا لتغير الأحداث السياسية فى المنطقة فكانت حدودها على وجه التقريب عندما تولى الكونت هنرى حكمها ، تبدأ فى الشمال من ناحية نهر منهو (مينه) إلى نهر ليميا بينما كان خط الجنوب متغيرا طبقا لأحداث حركة الاسترداد فكان وقتئذ إلى الجنوب قليلا من خط

نهر مونديجو وتشمل حينئذ أقاليم ماوراء الجبال Tras - os - Montes ومدن بورتو برتقال وباوز (وبيزيو) ولاميجو ومليق وبراغا وقلمرية وشنترين وشنتره [٣٧].

وقد اختلف المؤرخون فى شكل هذه المنحة التى أنعم بها الملك الفونسو السادس على الكونت هنرى البورجونى ، فذكر البعض أنها منحه وراثية استقلالية لاتخضع لسيطرة أى ملك [٣٨]، بينما أجمع معظم المؤرخون على أنها سلمت إلى الكونت هنرى كهبة إقطاعية مرتبطة بالواجبات والالتزامات الإقطاعية [٣٩]، ويؤيد الباحث هذا الرأى الأخير لأن كونتية البرتغال كانت تخضع لنفس شروط الالتزام المفروضة على الكونتيات الأخرى التابعة لملك ليون وخلفائه من بعده [٤٠] وهى أن يكون حاكمها مجبرا على دفع مبلغ معين كل سنة إلى سيده الملك ، ومده بثلاثمائة فارس فى حروبه ضد المسلمين كما كان عليه حضور اجتماعات كورتيس [٤١] . المملكة ، واذا اخل بتنفيذ هذه الواجبات ينتزع منه الإقطاع وتعود مرة أخرى إلى التاج الملكى [٤٢]، وكانت أحكام هذه الهبة الإقطاعية وراثية تطبق على جميع حكام البرتغال ممن يخلفون هنرى البورجونى فى الحكم . بنفس الحقوق والواجبات المعمول بها [٤٣]، ومما يؤيد هذا الرأى أنه طوال فترة تولى هنرى البورجونى حكم كونتية البرتغال من أواخر عام ١٠٩٤م/٤٨٧هـ حتى عام ١٠٩٧م/ ٤٩٠هـ كان خاضعا لإشراف ريموند كونت جليقية [٤٤]، ويخضع الاثنان معا لسلطة ملك ليون ، وهذا يتنافى تماما مع كون الهبة استقلالية .

كيفما كان الأمر ، بدأ الكونت هنرى حكمه باتخاذ بعض الإجراءات الهامة جاء فى مقدمتها اختيار مدينة جويمارس Guimarães عاصمة للكونتية وهى تقع على بعد ثلاثة أميال شرق مدينة براغا ، وتتمتع بمركز هام فى لوزيتانيا (الجدانية) القديمة من حيث موقعها ، وحصانتها ، فقد شيدت فى وادى خصب بين نهرين صغيرين يعرفان بآبى Ave وبيزكلا Vizcla[٤٥] كما أن بعد هذه المدينة - إلى حد ما - عن الحدود الجنوبية للكونتية قد جنبها التعرض لهجمات المسلمين ، ثم أحاط الكونت هنرى نفسه بعدد هائل من بارونات البرتغال وأخذ يقربهم منه ، وعينهم فى الوظائف الرئيسية ومنحهم الإقطاعيات [٤٦] كما أظهر اهتمامه وعطفه على جماعة الرهبان الكلونيين الفرنسيين

وجعل لهم مكانة بارزة فى بلاطه لأهميتهم الكبيرة فى الربط بين أسبانيا وفرنسا فضلا عن نفوذهم القوى فى أسبانيا . فعين بعضهم أساقفة للمراكز الأسقفية الهامة فى البرتغال مثل قلمرية وبراغا وبازو ولاميجو ، كما أنشأ العديد من الأديرة الكلونية ومنحها امتيازات عديدة (٤٧).

وكانت زوجته دونيا تريزا تحكم نيابة عنه بهمة ونشاط أثناء غيابه عن الكونتية وكان هدفها دائما تدعيم روابط الصلة بين النبلاء وبلادهم البرتغال وخلق شعور قومى قوى بين الأهالى ، وقد ظهرت هذه السياسة بوضوح أثناء سفر زوجها هنرى البورجونى إلى بيت المقدس للحج عام ١١٠٣م/٤٩٦هـ (٤٨).

وقد ظلت الأمور مستقرة فى كونتية البرتغال إلى حد ما تحت رئاسة حاكمها هنرى البورجونى ، ولكن حدث ماعكر صفوه وأربك أموره بسبب ميلاد الأمير سانشو ابنا غير شرعى للملك الفونسو السادس عام ١٠٩٦م / ٤٨٩ هـ (٤٩)، من إحدى محظياته وتدعى زايده Zaida وهى عربية الأصل (٥٠) ، فأدرك الكونت هنرى عندئذ وابن خاله الكونت ريموند أن مصالحهما مهددة ، فتحالفا معا ضد أى خطر قد ينشب ويهددهما من جراء ذلك . وقد انضم إليهما جماعات الرهبان الكلونيين لأنهم كرهوا أن يخلف الملك الفونسو السادس وريثا من أصل عربى ، فأسهموا فى تسوية الأمور بين الكونتين هنرى وريموند وقسموا المملكة بينهما فى حضور ديجو جالمريز (٥١) وتحت اشراف هيو رئيس الدير الكلونى(٥٢)، وقد انتهوا فى عام ١٠٩٧ م ، ٤٩٠ هـ إلى اتفاق سرى بينهم(٥٣) ينص على أن يمد هنرى يد المساعدة إلى ريموند البورجونى ليتبوأ عرش مملكة قشتالة وليون بعد وفاة الملك الفونسو السادس فى مقابل أن يمنح الكونت هنرى حكم مدينة طليطلة بجانب حكمه لكونتية البرتغال ، فضلا عن ثلثى كنوز طليطلة بينما يحصل ريموند على الثلث الباقى (٥٤) ، وإذا تعذر تحقيق هذا الاتفاق يمنح هنرى حكم جليقية تعويضا عن ذلك (٥٥).

على أية حال كان هنرى البورجونى فى بداية حكمه متشددا تجاه المسلمين بسبب ازدياد نشاطهم فى الأندلس واستعادتهم لكثير من المدن المسيحية وعلى رأسها لشبونة وتطلعهم

للاستيلاء على طليطلة (٥٦)، وتهديدهم للبرتغال مما دفعه إلى تكوين جيش كبير توجه به لتوطيد الحدود البرتغالية (٥٧)، وعندما وصل إلى قلعة مالجون Malagon بالقرب من المدينة الملكية Cuidad Real التقى فى معركة ضارية بجيش المرابطين بقيادة على بن الحاج (٥٨) وانهزم فى ١٦ سبتمبر سنة ١١٠٠ م ذى القعدة سنة ٤٩٣ هـ (٥٩)، ولكن سرعان ما نجح فى رد اعتباره بعد عامين وأنزل بالمرابطين خسائر فادحة فى معركة أروكا Arouca وأسر عدد كبير منهم ثم واصل مسيرته إلى مدينة لاميجو وقمع بها تمردا كبيرا قام به سكان المدينة من المسلمين (٦٠).

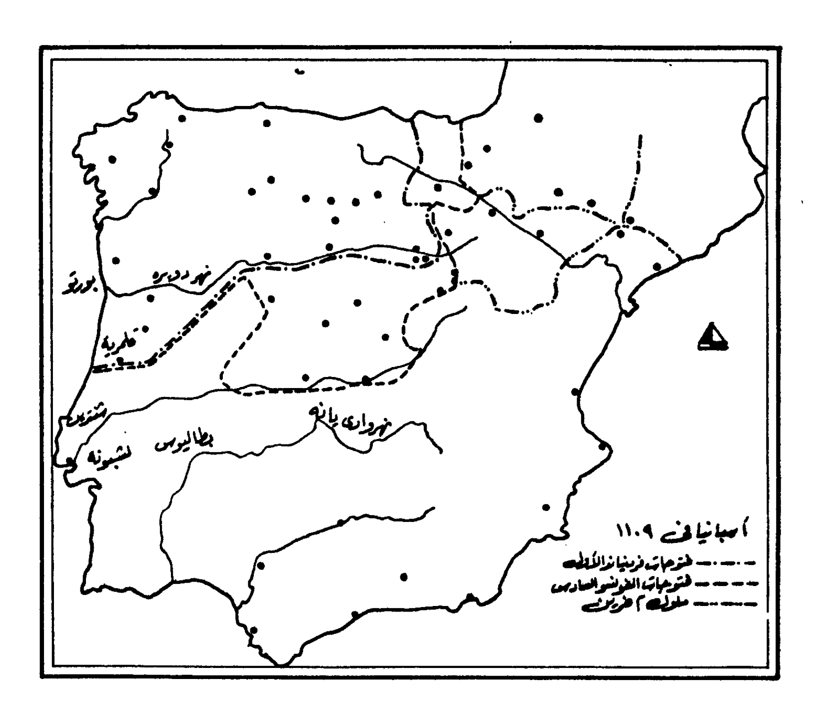
وقد أكد بعض المؤرخين أن الكونت هنرى البورجونى قد غادر شبه الجزيرة الايبيرية متجها إلى بيت المقدس عام ١١٠٣م/٤٩٦هـ بنية الحج ، واستمر بها مدة عامين (٦١) بينما أكد البعض الآخر منهم أن سفره كان بسبب رغبته فى المشاركة فى الحروب الصليبية القائمة بالشرق (٦٢)، وأنه اشترك بالفعل فى إحدى معاركها ضد المسلمين (٦٣) وإننا نؤيد الرأى الأول لأن البابوية منعت اشتراك الأسبان فى حروب الشرق (٦٤)، ولو كان الكونت هنرى قد خالف تعليمات البابوية لصدر ضده التبويخ (٦٥)، وهذا مالم نعثر عليه فى شتى المصادر الأوربية .

وقد عانى الكونت هنرى البورجونى كثيرا من القلاقل والاضطرابات السائدة فى مملكة قشتالة منذ عام ١١٠٥م / ٤٩٨هـ عندما أعلن رسميا أحقية الأمير سانشو فى وراثة عرش المملكة حتى وفاة الملك الفونسو السادس عام ١١٠٩م/ ٥٠٣هـ . هذا فضلا عن ازدياد نفوذ ريموندا البورجونى (٦٦)، وسيطرته على مقاليد الأمور منتهزا فرصة مرض الملك الفونسو السادس وصغر سن الأمير سانشو ، فأدى ذلك الوضع إلى ازدياد حدة النزاعات والانقسامات بين القساوسة والعلمانيين مما شجع الكونت هنرى البورجونى على أن يبذل جهدا كبيرا من أجل الحصول على نصيب فيما يتركه الملك الفونسو السادس بعد وفاته ، لأن كونتية البرتغال لم تعد تكفى لاشباع طموحاته ، ولذلك كان الكونت هنرى يقيم فى بلاط الملك الفونسو السادس أكثر من بقائه فى كونتيته ، لمتابعة مجرى الأحداث(٦٧) ، وقد ساعدته الظروف كثيرا بوفاة الكونت ريموند البورجونى عام ١١٠٧م

/ ٥٠٠ هـ (٦٨) ، فأصبح الطريق مفتوحا أمامه لإحراز المزيد من المكاسب . وقد ازداد هذا الأمل لديه فى العام التالى عندما وصله خبر مقتل ولى العهد الأمير سانشو فى موقعة اقليش ضد قوات المرابطين أثناء محاولاتهم استرداد بعض القلاع المسيحية (٦٩).

على أية حال دعا الملك الفونسو السادس نواب مملكته للاجتماع فى ليون مع حكام الولايات ورجال الدين والأشراف والفرسان ونواب الطبقة الوسطى للنظر فى أمر وراثة عرش المملكة ، وانتهى الرأى إلى الموافقة على أن تتولى أوراكا حكم مملكة قشتالة وليون وأشتوريس ويمنح ولدها الفونسو ريموندير كونتية جليقية مع بقائها تحت سلطة قشتالة ، بينما يمنح الكونت هنرى البورجونى صهر الملك الفونسو السادس إمارة البرتغال كتابع لعرش قشتالة ، وقبل أن يدعى المجلس للانفضاض ، اقترح بعض الأعضاء زواج أوراكا من الفونسو المحارب ملك أرجون لأنه يعد الرجل الوحيد القوى فى أسبانيا المسيحية الذى يمكن الاعتماد عليه فى توحيد مملكتى قشتالة وأرجون لما فيه خير المسيحيين (٧٠) ، وقد تضمن الاقتراح أيضا أنه إذا لم تنجب أوراكا منه يؤول أمر مملكة قشتالة إلى ولدها الفونسو ريموندير (٧١). ولكن هذا الاقتراح لم يجد استجابة من بعض أعضاء المجلس الآخرين ، بحجة أنهم لايرغبون حاكما من خارج المملكة واقترحوا زواجها من الكونت دون جومز كاند سبينا Comez de Candespina (٧٢) وكان فى مقدمة المعارضين لهذا الاقتراح الكونت هنرى الذى تحطمت آماله ومساعيه بذلك الاقتراح ، وأعلن عدم رضائه عن نصيبه وترك بلاط ليون غاضبا من الملك الفونسو ، بعد أن علم بموافقة الملك على زواج أوراكا من الملك الفونسو المحارب(٧٣).

وقد انتهى الأمر بزواج أوراكا من الملك الفونسو المحارب ملك أرجون بعد وفاة الملك الفونسو السادس مباشرة عام ١١٠٩م/٥٠٣ هـ (٧٤) ولكن سرعان ما دب النزاع بين الزوجين بسبب اختلاف شخصيتهما ، فأوراكا كانت تتسم بالكبرياء والطموح وحب تملك السلطة (٧٥) . بينما كان زوجها فظا وعنيفا لايرغب أن تشاركه الحكم "(٧٦) ولذلك اتخذت عدة إجراءات للقبض على زمام الأمور فى قشتالة فأقالت جميع الرجال من مناصبهم ، الذين اعتقدت إن ولاءهم للملك يفوق ولاءهم لها (٧٧) فاستشاط زوجها الملك



الخريطة السياسية لشمال شبه الجزيرة فى سنة ١١٠٩

Reilly : Under King Alfonso

الفونسو المحارب غضبا ، وأسرع بجيشه الى قشتالة فى عام ١١١١م / ٥٠٤ هـ وعمل على توطيد سلطته على كل الأراضى ، وملأ الحصون بالجنود الأرجونيين (٧٨) ، ثم اتجه إلى حصار الملكة أوراكا فى قلعة كاستلار Castelar التى احتمت بها وحاصرها وسجنها فى تلك القلعة ، ثم أعلن الحرب ضد بعض الأساقفة والرهبان ، وكل من عارض زواجه كما أنه سجن كل أساقفة بالنسيا Palencia وأوسما وأورنس وطردهم من اسقفياتهم (٧٩).

وعندما علم الكونت هنرى البورجونى بكل هذه الأمور ، انتابته الحيرة وآثر التريث وعدم تأييد أحد من الطرفين ، حتى تتضح له حقيقة الأمور ، وانتظار ماتسفر عنه أحداث المستقبل (٨٠) ، ولكن انفراد المؤرخان الأقدم ابن الكرديوس والحديث لاكارا ، دون غيرهما من بقية المؤرخين الآخرين يذكر اشتراك قوات الكونت هنرى مع الملك الفونسو المحارب فى فبراير ١١١٠م ، شعبان ٥٠٣ هـ فى حصار تطيلة وخاضا معركة كبيرة فى بلتيرة Val-tierra بالقرب من تطيلة وانتصرا على قوات أمير سرقسطة المستعين بالله الذى قتل فى المعركة (٨١).

وجدير بالذكر أنه كان لتطور الأحداث التاريخية المتلاحقة دور كبير فى تحديد موقف هنرى البورجونى من كلا الطرفين المتنازعين ، فالجليقيون أعلنوا تولية الأمير الفونسو ريمونديز ملكا على جليقية فى ١٧ سبتمبر سنة ١١١١ م / ربيع الأول ٥٠٥ هـ (٨٢) فى نفس الوقت الذى نجح فيه النبلاء المؤيدين للملكة أوراكا فى فك سجنها من قلعة كاستيلار (٨٣) وبدأ حزبها يسيطر على مقدرات الأمور مما جعل الكونت هنرى يخشى على مصالحه ، فقرر الانضمام بقواته إلى جانب الملك الفونسو المحارب (٨٤) فى مقابل حصوله على مدن فى غرب ليون وهى استورقة وسمورة وبالنسيا Palencia وبجانب إقطاعية أوكا ، على أن يكون تابعا له فى حكم هذه المدن (٨٥) وبذلك يكون الملك الفونسو المحارب قد استطاع أن يضمن وقوف الكونت هنرى إلى جانبه دون تأييد خصمه الملكة أوراكا . وقد اتحد الجيشان معا الأرجونى والبرتغالى ضد جيش الكونتات Condes والتقى الفريقان المتحاربان فى معركة ضروس فى ٢٦ أكتوبر سنة ١١١١م / ربيع الآخر

سنة ٥٠٥ هـ (٨٦) بالقرب من سيبولبيدو Sepulvedo عند حقل دى اسبينا Campo de la Espina (٨٧) وانتهت المعركة لصالح الفونسو المحارب ، وقتل القائد جومز جونثالت دى كاند سبينا - قائد قوات الملكة - واضطرت أوراكا إلى الفرار من ميدان المعركة مع الكونت بدرو جونثالت دى لارا ، والتجأت إلى مدينة بورجوس (برغش) Burgos (٨٨)، ثم انتقلت منها إلى قلعة مانزون (منتشون) Manzon de Campo (٨٩) بعد أن علمت بعزم الملك الفونسو بالسير إليها (٩٠) .

وقد أرسلت حاشية أوراكا ونبلاؤها وفدا برئاسة فرديناند جارثيا ابن عم الملكة إلى الكونت هنرى البورجونى لاستمالته إلى جانبهم ضد الملك الفونسو المحارب فى مقابل تقسيم المملكة مع أوراكا وإسناد قيادة الجيش إليه (٩١)، فوافق ووقع على وثيقة الاتفاق بين الطرفين فى بالنسيا Palencia (٩٢) وافقت الملكة أوراكا بمقتضاها على منح هنرى البورجونى سمورة وقلعة سيا Cea مع سلسلة من المدن تقع بين سمورة وسانبريا Sa-nabria من الشمال طلبيرة (٩٣) وقورية ومن الجنوب (٩٤) وآبيلا (أبلة) Avila وآربلا Arevela وألميدو Olmedo وتطيلة (٩٥) من الدويرة بالجهة الشرقية . هذا فضلا عن قلاع تورو Toro ومدينا Medina (٩٦) ونصيبه من ممتلكات فى جبال أوكا Montes de Oca التى فصلت ريوخا عن أراضى بورجوس (٩٧) وعندئذ انضم الكونت هنرى البورجونى بقواته إلى جيش أوراكا وتوجهوا معا الى قلعة بينفيل Penofiel مقر الملك الفونسو المحارب وجيشه وحاصروها دون طائل ، مما دفع الجيشين البرتغالى والقشتالى إلى القيام بنهب وتخريب الأراضى المحيطة بالقلعة (٩٨).

وفى خلال تلك الأحداث وصلت دونيا تريزا زوجة الكونت هنرى من قلمرية ، وأخذت تحثه على تنفيذ الاتفاق الذى أبرمه مع أختها أوراكا بتقسيم المملكة بينهما ، وأصرت بالحاح لعلمها بقوة خداع أختها صاحبة اللسان المداهن حتى قالت " وكيف يكون العرف فى لغات المتملقين " (٩٩). وقد صدق ظن دونيا تريزا فى أختها الملكة أوراكا فعندما طالبها الكونت هنرى بتنفيذ بنود الاتفاقية المبرمة بينهما أخذت تماطله ، لما كانت تخفيه فى نفسها من قرار الصلح مع زوجها الملك الفونسو المحارب مفضله الاشتراك معه فى

الحكم على تنفيذ اتفاقها السابق بتقسيم المملكة مع الكونت هنرى .

ولهذا استدعت الملكة أوراكا أحد مستشارى زوجها ويدعى جاستون دى بيل Caston de Biel وأفصحت له عن السر فى رغبتها فى الصلح مع زوجها [١٠٠]، وكان ذلك فى الوقت الذى توجه فيه الكونت هنرى ليتسلم المدن المعنية بالأمر ، ولكنه أدرك أن الملكة أوراكا أرسلت أوامرها السرية بعدم تسليمها إليه ، والسماح لزوجها الملك الفونسو المحارب بالدخول فيها [١٠١].

وجدير بالذكر ، هناك وثيقتان متعارضتان فى المضمون حول واقعة تسلم الكونت هنرى البورجونى الممتلكات من الملكة أوراكا تسليما فعليا من عدمه ، فالوثيقة الأولى أوردتها مدونة ساهاجون [١٠٢] وهى تنفى تماما تسلم الكونت هنرى لأى من الممتلكات المعنية بالأمر ، بينما تضمنت الوثيقة الأخرى نصا يفيد أن الكونت هنرى قد وافق على منح أحد نبلائه ويدعى ديجو برموديز وزوجته أراضى أوكا Oc,a [١٠٣] .

وبعد تحليل دقيق لهاتين الوثيقتين نوء ماجاء بمدونة ساهاجون . أما بالنسبة لما جاء فى مضمون الوثيقة الثانية فلا يعنى ذلك أن الكونت هنرى قد تسلم بالفعل بعض الممتلكات من الملكة أوراكا وأنه ربما تكون موافقته على منح ديجو برموديز أراضى أوكا قد صدرت على أساس ماسيكون لثقته من تنفيذ أوراكا لوعدها له ، ولأنه لم يكن يخطر على ذهنه اتمام الصلح بين الملكة وزوجها الفونسو المحارب بعد الصراع المرير الذى دار بينهما .

على أية حال تأثر الكونت هنرى كثيرا بغدر الملكة أوراكا ، فسرعان ماتوجه على رأس جيشه إلى كاريون (قرمون) Carrion فى عام ١١١١م / ٥٠٥ هـ وحاصرالملك الفونسو المحارب وزوجته الملكة أوراكا - بعد عقد الصلح بينهما - ولكن لم يطل وقت الحصار فاضطر الكونت هنرى إلى فكه ورجع بجيشه الى قلمرية [١٠٤]، لأنه أدرك أن القوات المصاحبة له غير كافية للصمود فترة طويلة ، فضلا عن نقص الإمدادات والتموينات وآلات الحصار كما أنه توقع وصول نجدات إلى الملك الفونسو المحارب من المناطق المجاورة تعجز قواته عن مقاومتها ولكن سرعان مالاح بريق من الأمل أمام الكونت هنرى بعد تمرد

وثورة الحزب ضد الملكة أوراكا لصلحها مع زوجها ، فطلب الجلالقة من الكونت هنرى البورجونى التعاون معهم ضد الملكة فلبى النداء ، وانضمت القوات البرتغالية بقيادته إلى الجيش الجليقى تحت قيادة بدرو فرويلز دى ترابا .

Pedro Froilaz de Trava (١٠٥)وسار الجيشان فى طريقهما لحصار الملكة أوراكا وزوجها فى ساهاجون عام ١١١١م/٥٠٥ هـ ، ولكن الحصار انتهى بغير طائل ، وعاد الجيشان مرة أخرى إلى بلادهما (١٠٦) بسبب حصانة قلعة ساهاجون وصعوبة اقتحامها والخوف من وصول نجدات من أطراف مملكتى قشتالة وأرجون لنجدة الملكين .

ويبدو أن الملكة أوراكا قد شعرت بعد هذه التطورات بالأسف الشديد لعودتها إلى زوجها لأنها فقدت شعبيتها ، وخاصة من أنصار الحزب الجليقى ، ووجدت أنها ستخسر كثيرا من وراء ذلك وأن زوجها لن يسمح لها بمزاولة سلطتها الملكية ونشاطها السياسى بالقدر الذى تطمح فيه ، فقررت التخلى عن تأييده مرة أخرى وانضمت إلى حزب ابنها فى جليقية فى نوفمبر سنة ١١١١ م جمادى الأول ٥٠٥ هـ (١٠٧)، وقد ترتب على ذلك أن نادى ديجو جالمريز رئيس أساقفة شانت ياقب فى كومبوستلا بتعيين ابنها الفونسو ريمونديز ملكا على ليون وجليقية (١٠٨)، ثم اصطحب الملك الطفل والوصى عليه دون بدرو دى ترابا ، وخرج على رأس قوة كبيرة إلى مدينة ليون للاحتفال بتتويج الطفل الصغير ملكا ، ولكن عندما علم الملك الفونسو المحارب بذلك قطع عليهم الطريق ، واشتبك معهم فى معركة ضروس انتهت بهزيمة الجليقيين ووقوع بدرو دى ترابا فى الأسر ، غير أن ديجو جالمريز نجح فى الفرار بالطفل وأمه الملكة أوراكا وتوجهوا جميعا إلى جليقية ومنها إلى قلعة منتشون Manzon للاحتماء بها ، ولكن طاردهم الملك الفونسو المحارب بقواته واستطاع أن يستولى على القلعة ويأسرهم فى ديسمبر سنة ١١١١ م جمادى الآخر ٥٠٥هـ(١٠٩)، ثم عاد وأطلق سراحهم فيما بعد لتهدئة الأمور بين الطرفين (١١٠).

وقد تلاحقت الأحداث فيما بعد بشكل سريع ، وحرص كل من الطرفين المتصارعين (الفونسو المحارب وزوجته أوراكا وأتباعها) على أن يضم الكونت هنرى البورجونى إلى جانبه ، فحاول الملك الأرجونى للمرة الثانية أن يغريه بتنفيذ قرار منحه مدن استورقه

وسموره فى مملكة ليون [١١١] ، أما أوراكا فقد لوحت له باقام تنفيذ الاتفاق السابق والخاص بتقسيم المملكة بينهما [١١٢] وكان الكونت هنرى عندئذ فى حاجة إلى التفكير العميق وإعادة حساباته مرة أخرى بما يتفق مع الصالح العام لكونتية البرتغال ، فقرر أخيرا الانضمام إلى الملكة أوراكا على الرغم من صعوبة التعامل معها وغدرها المعهود .

وقد استؤنفت المعارك الحربية بين الطرفين المتصارعين مرة أخرى فى ربيع ١١١٢م / ٥٠٥ هـ فتوجه الملك الفونسو المحارب بقواته إلى مدينة استورقة ، وحاصر الملكة أوراكا بها ولكن الحصار طال لشدة مناعة المدينة [١١٣] مما هيأ الفرصة للحزب الجليقى أن يلم شتات قواته بقيادة رئيس الأساقفة ديجو جالمريز لنجدة الملكة المحاصرة فى استورقة ، وقد انضمت إليهم قوات برتغالية أعدها الكونت هنرى لهذه الغرض . ونجحت القوات المتحالفة فى قطع المؤن عن الأرجونيين مما اضطر الملك الفونسو المحارب إلى رفع الحصار [١١٤].

وجدير بالذكر أن انشغال الكونت هنرى البورجونى فى أحداث الحرب الأهلية فى قشتالة وليون طوال الفترة السابقة خير معين لازدياد نشاط المرابطين فى الأندلس فأتاح لهم فسحة من الوقت لجمع شملهم والاستعداد لمواجهة القوى المسيحية فى أسبانيا وفى مقدمتها البرتغال . . فكان على بن يوسف [١١٥] ، قد أمر بمواصلة الحرب ضد المسيحيين فى أسبانيا دون توقف ، وتشديد الضغط على الممالك المسيحية بها [١١٦] وخاصة فى غرب شبه الجزيرة الايبيرية لاسترداد مدينتى شنتره وشنترين ، وقد نجح بالفعل فى إثارة العرب المقيمين فى شنتره ضد الحامية المسيحية بها ، مما ساعد على وقوعها فى أيدى المرابطين عام ١١٠٩ م / ٥٠٣ هـ . ولكن سرعان ماتمكن هنرى البورجونى من اخماد هذا التمرد ، والاستيلاء على المدينة مرة أخرى فى نفس العام [١١٧] ورغم ذلك لم يكف المرابطين عن نشاطهم المكثف ضد المدن المسيحية فى أسبانيا ففى شهر أغسطس عام ١١١٠م / المحرم ٥٠٣ هـ عبر على بن يوسف إلى الاندلس واستولى على كثير من القلاع مثل مدريد (مجريط) ووادى الحجارة ، ولكن أثناء حصاره مدينة طليطلة استعصت عليه ولم يستطع الاستيلاء عليها فاضطر إلى توجيه نشاطه إلى غرب شبه الجزيرة الأيبيرية ، بعد أن خربت قواته المنطقة [١١٨] . فخرج سير بن أبى بكر على رأس جيش

كبير فى سنة ١١١١ م / ٥٠٤ هـ متجها ناحية نهر تاجه بنية الاستيلاء على مدينتى شنتره وشنترين ، وتشير بعض المصادر الإسلامية فى هذا الصدد أن الجيش المرابطى استولى وهو فى طريقه إلى هاتين المدينتين على مدن يابرة وبطليوس (١١٩)، ولكننا لانؤيد ذلك لأن هاتين المدينتين كانتا أصلا فى أيدى المرابطين منذ انتزاعهما من بنى الأفطس عام ١٠٩٤ م / ٤٨٧ هـ ولم يثبت اطلاقا خضوعهما للحكم المسيحى (١٢٠) ، وقد استطاعت قوات سير بن أبى بكر الاستيلاء على مدينة شنترة وشنترين فى مايو ١١١١ م / شوال ٥٠٤ (١٢١)بعد أن قتلوا عددا كبيرا من أفراد حاميتها وأسروا البعض الآخر مما كان له أكبر الأثر عند المسلمين ، لأن هاتين المدينتين من أعظم مدن الغرب وأكثرها مواردا(١٢٢) . فضلا عن أن غالبية سكانها من المسلمين ، وعندئذ أصبح الكونت هنرى البورجونى فى موقف لايحسد عليه ، ففى الوقت الذى كان فيه المرابطين يهددون كونتيته وتملكوا بعض ممتلكاته فى الجنوب ، نجده منصرفا فى الحرب الأهلية القائمة بين الملك الفونسو المحارب وزوجته الملكة أوراكا بجانب انشغاله بتمرد سكان قلمرية (١٢٣)، مما جعله عاجزا عن اتخاذ القرار السليم فى مواجهة هذه الأوضاع وكل ما فعله أنه أرسل إحدى النجدات إلى شنترين ولكنها وصلت بعد أن سقطت المدينة . وكان سير بن أبى بكر قد اكتفى بما أحرزه من انتصارات وعاد أدراجه ، وعندئذ قرر الكونت هنرى تأجيل المواجهة مع المسلمين لوقت آخر ، ولكن القدر لم يمهله ، إذ وافته المنية فى استورقه ٣٠ من ابريل سنة ١١١٢ م / شوال ٥٠٥ هـ تاركا ابنا صغيرا هو الفونسو هنريكز (١٢٤) .

وقد اختلفت الروايات حول سبب وفاته فأرجعه البعض إلى إصابته بالحمى (١٢٥). بينما أرجعه البعض الآخر إلى نجاح الملكة أوراكا فى أن تدس له السم فى الطعام لتصبح زوجته تريزا وصية على الأمير الصغير " الفونسو هنريكز "(١٢٦) واننا لانستبعد هذا الرأى خاصة وأن المؤرخ لوقا التوى وصف وفاته بطريقة مروعة (١٢٧)، وكان عمر الفونسو هنريكز عند وفاة أبيه يتراوح بين الثالثة والسابعة تبعا لاختلاف المؤرخين فى ذلك (١٢٨).

وهكذا طويت صفحة هامة فى تاريخ البرتغال نجح من خلالها الكونت هنرى البورجونى

فى أن يكون خير مثال لفارس العصور الوسطى ، وأن يستغل امكاناته المتنوعة لصالح كونتيته استغلالا جيدا ، فكان منبتا لبذور فكرة تأسيس كونتية البرتغال ، واستقلالها .

بعد وفاة الكونت هنرى تولت أرملته دونيا تريزا حكم كونتية البرتغال بصفتها وصية على ابنها الصغير الأمير الفونسو هنريكز . وقد اختلف المؤرخون حول مدى شرعية بنوتها للملك الفونسو السادس فأشار معظمهم إلى أن أباها كان متزوجا من نساء عديدات ، بلغ عدد الزوجات الشرعيات خمسا وهن على التوالى اجنيس (أنيبس) Ines والملكة كونستانس البورجونية وبرتا Berta وايزابلا وبياترس (١٢٩) وكان بجانب هؤلاء الزوجات عدد من المحظيات أشهرهن المدعوة زايدة العربية وأنجب منها ابنه الوحيد الأمير سانشو ، الذى قتل فى معركة اقليش عام ١١٠٨ م / ٥٠١ هـ وفق ما أوضحناه من قبل (١٣٠) أما المحظية خيمينا نونيز Gimenze Nunez (X imena Nunez) فقد أنجب منها ابنتين الأولى ألفيرا (ألبيره) زوجة الكونت ريموند دى تولوز ، والثانية تريزا التى تزوجها هنرى البورجونى (١٣١).

وقد اعتبر بعض المؤرخين البرتغاليين هذه المحظية الأخيرة زوجة شرعية للملك الفونسو السادس وتمثل الزوجة السادسة (١٣٢)، وذلك خلاف ما ذكره المؤرخون الآخرون أمثال رودريك الطليطلى ودون بلايو اسقف أوبيدو وساندوبال والكسندر هرقلانو المؤرخ البرتغالى . إذا اعتبروها زوجة غير شرعية (١٣٣) وأننا نؤيد هذا الرأى الأخير لأنه إذا كان الأمر عكس ذلك فلماذا أوصى الفونسو السادس بوراثة عرشه لابنته أوراكا دون أختها تريزا وهى أكبر سنا منها .

والسبب فى أن بعض المؤرخين البرتغاليين المتأخرين زمنيا عن أحداث تلك الفترة قد أقروا بأن خيمينا نونيز زوجة شرعية للملك الفونسو السادس ، إنما يرجع فى الحقيقة إلى أنهم متعصبين لملكهم بحكم نشأتهم فى بلاط ملوك البرتغال ، فأرادوا إضفاء نوع من الشرعية على ملوكهم حتى لايقلل الاعتراف بأنها زوجة غير شرعية من مجد البرتغال والحط من أصل ملوكها ، وبناء على ذلك فان ابنتها تريزا تعتبر بدورها ابنة غير شرعية لأبيها .

كيفما كان الحال ، كانت دونيا تريزا تشارك زوجها فى حكم الكونتية وإدارتها ، مما أكسبها خبرة كبيرة فى الحكم أثناء غيابه عن الكونتية بصفة عامة وخاصة عندما قام برحلته إلى بيت المقدس فى الفترة الممتدة من ١١٠٣ إلى ١١٠٥ م ، ٤٩٦ - ٤٩٨ هـ فأثبتت جدارتها فى الحكم . ويتضح ذلك بصورة جلية بعد وفاة زوجها هنرى البورجونى ، وأثناء فترة وصايتها على ابنها القاصر الفونسو هنريكز كانت محل احترام نبلائها ، ونجحت فى خلق الشعور القومى لديهم (١٣٤) . والاهتمام فى نفس الوقت بباقى طبقات المجتمع البرتغالى ، فشجعت المواطنين فى مدنهم وأخذت تحثهم على ضرورة الاحتفاظ بحصونهم فى أحسن صورة ، والاستعداد الدائم للحرب فى أى وقت تحت قيادة عدد من القادة الأكفاء المختارين منهم بدلا من أولئك النبلاء الوارثين لمناصب القيادة (١٣٥)، وكانت تنظر إلى البرتغال كإمارة مستقلة وترغب فى مد حدودها الشمالية على حساب جليقية ، وهى تختلف فى ذلك الأمر عن زوجها لأنه كان يطمع فى ضم حكم جليقية إلى كونتية البرتغال (١٣٦)بعد أن فقد الأمل فى وراثة ملك الفونسو السادس أو على الأقل حكم مملكة ليون ، أو الجزء الغربى من شبه الجزيرة الأيبيرية . ولعل السبب فى اختلاف وجهتى النظر بين الزوجين يرجع الى صعوبة تحقيق آمال الكونت هنرى خاصة بعد زواج الملك الفونسو المحارب ملك أرجون من أوراكا ملكة قشتالة وليون ونشوب الحرب بينهما .

وكانت شبه الجزيرة الايبيرية وقتئذ تعج بالفوضى والاضطرابات الناجمة عن استمرار الحرب الأهلية وكثرة الأحزاب الساسية بها . فكان هناك ثلاثة أحزاب متعارضة ، الأول يؤيد ملك أرجون وهو أشدها قوة بسبب سيطرته على أهم حصون قشتالة . والحزب الثانى ينضوى تحت لواء الملكة أوراكا ويؤازره معظم رجال الدين فى قشتالة وليون وجليقية . أما الحزب الثالث والأخير فهو حزب الأشراف المعارض لحكم الملكة وزوجها ملك أرجون ، ويأمال فى أن يسند حكم قشتالة إلى الملك الطفل الفونسو ريمونديز ملك جليقية (١٣٧).

وكانت دونيا تريزا تسير على نهج سياسة زوجها الكونت هنرى البورجونى فتحالفت مع أختها أوراكا فى مقابل أن تحتفظ بمدن سمورة وقلاع عديدة فى الاكتسرا مادورا وسلمنقة (شلمنقة) والمنطقة الممتدة من توى حتى أورنس(١٣٨) ، ويرجع سبب إصرار

تريزا على التمسك بهذه المنطقة الأخيرة بالذات أنها مفتاح الاتصال بين البرتغال وجليقية وليون[١٣٩] وقد وافقت أوراكا على مطالب أختها حتى تضمن تأييد قوات البرتغال لها فى صراعها ضد زوجها الملك الفونسو المحارب ، بعد أن تعقد الموقف وفشلت كل محاولات التوفيق بينهما ، خاصة بعد أن نقض الأخير معاهدة تقسيم الممتلكات بينهما واستولى على بعض المدن والقلاع الداخلة فى نصيب الملكة أوراكا مما أدى إلى غضب الملكة وحزبها ، وجعلهم يعلنون أن أوراكا هى الملكة الشرعية لقشتالة [١٤٠]، وقد أعقب ذلك إعلان رئيس أساقفة شانت ياقب ديجو جالمريز بطلان زواج أوراكا والفونسو المحارب للقرابة الشديدة بينهما [١٤١].

وقد وجدت دونيا تريزا الفرصة سانحة لتوسيع الشقاق بين هذين الملكين حتى يزداد التنافس بينهما من أجل اجتذاب تأييدها ومساندتها لهما فيعود عليها بالنفع والمكاسب العديدة فأرسلت رسولا إلى الملك الفونسو المحارب للتحالف معه ضد أى أعمال عدائية قد تحدث من جانب أختها الملكة أوراكا . وفى نفس الوقت أخذت تثير الشكوك فى قلبه ناحية زوجته وتوحى له بأنها تحاول قتله بالسم [١٤٢] وأخذت تستعد حربيا وتحشد قواتها من أنحاء الكونتية[١٤٣] انتظارا لما قد يطرأ من أحداث معادية لها .

وقد ازدادت الأمور سوءا بالنسبة لأوراكا عندما صدر قرار البابا عام ١١١٤م / ٥٠٧هـ ببطلان زواجها من الملك الفونسو المحارب [١٤٤] مما دفع الأخير إلى رفض هذا القرار وأعلن الحرب على قشتالة ونجح فى الاستيلاء على ولاية ريوخا [١٤٥] وتأكيد سيطرته على الجانب الشرقى من مملكة قشتالة المتاخم لمملكة أرجون ، ولم يكن هناك رد فعل مباشرة من قبل الملكة أوراكا أمام هذا العدوان الموجه إلى بلادها بسبب صراعها مع أنصار الحزب الجليقى ، المؤيد فكرة تتويج ابنها الفونسو ريمونديز ملكا على جليقة ضد رغبتها وكان على دونيا تريزا عندئذ أن تراقب مسرح الأحداث جيدا ، لتنتهى إلى رأى فى تأييد أى من الجانبين فيما يعود على كونتية البرتغال بالنفع والمكاسب العديدة ، وبمجرد أن فتحت باب المساومات تنافس الطرفان المتنازعان فى تقديم أفضل الشروط لاستمالة البرتغال إلى جانبه . فعندما اجتمعت دونيا تريزا مع أختها فى أوبيدو فى أحد

احتفالات عام ١١١٥م / ٥٠٩هـ أنعمت عليها بلقب ملكة البرتغال مما سيكون (١٤٦) له أكبر الأثر مستقبلا على دعوة كونتية البرتغال للاستقلال عن مملكة قشتالة وليون .

وفي غمار تلك الاحداث تلقت الملكة تريزا في عام ١١١٦ م / ٥٠٩ هـ عرضا مغريا من الكونت بدرو فرويلز دى ترابا الوصي على الأمير الفونسو ريمونديز وديجو جالمريز رئيس أساقفة شانت ياقب يتضمن مساعدتها على تأكيد سيطرة كونتية البرتغال على منطقتي توى وأورنس ، وبعض المناطق الأخرى في الحدود الشمالية للبرتغال مقابل تخليها عن التحالف القائم مع أختها أوراكا ومساعدتهم في الغاء وصايتها على ابنها الفونسو ريمونديز وتعيينه ملكا منفردا على جليقية فاستجابت الملكة تريزا لهذا العرض وتحالفت جيوشها مع الجيش الجليقي وحاصروا الملكة أوراكا في قلعة سوبروسو Sobero-so ورغم شدة الحصار فقد نجحت الملكة أوراكا في الهروب إلى مدينة ليون (١٤٧) .

وجدير بالذكر ، أن الأحداث الأخيرة التي شهدتها شبه الجزيرة الايبيرية قد شجعت المرابطين كثيرا في تشديد هجماتهم على الممالك المسيحية الأسبانية بدءا من عام ١١١٦ م / ٥١٠ هـ إذ قام أحد قواد المرابطين ، ويدعى براسيمى Brasimi – حسب ماذكرته المدونات المسيحية – بشن هجوم عنيف على مدينة ميراندا Miranda واستولى عليها بعد قتل عدد كبير من أهلها المسيحيين ثم واصل طريقه حتى وصل مدينة سانتا يوليا Santa Eulolia واستولى عليها وعلى غيرها من القلاع الأخرى القريبة من قلمرية مثل قلعة سورى Soure ثم فرض على قلمرية حصارا شديدا ولكن دون طائل لشدة مقاومة سكلنها وكفاءة قادتها وجنودها (١٤٨).

واننا نرى أن المقصود بهذه الحملة هي تلك التي قادها على بن يوسف عام ١١١٧م / ٥١١ هـ على قلمرية لأنه بالبحث والدراسة لم نعثر على من ينطبق عليه اسم Brasimi ولو بالتقريب (١٤٩) ، فضلا عن أن تاريخ المرابطين ينفى تماما أحداث تلك الحملة لانشغالهم باسترداد حزر البليار وبعض مدن شرق ووسط شبه الجزيرة الايبيرية (١٥٠)، أما ما ذكرته المصادر المسيحية من أخبار حملة عام ١١١٦ م / ٥١٠ هـ فلا يعدو أكثر من خلط وتكرار لما سبق ذكره فيما بعد عام ١١١٧ م / ٥١١ هـ (١٥١).

على أية حال عبر على بن يوسفأمير المرابطين إلى الأندلس على رأس قواته فى مايو ١١١٧ م / فى المحرم ٥١١ هـ (١٥٢) لدفع روح الجهاد لدى الاندلسيين وللقيام بغزوة ضد الممالك المسيحية الأسبانية ، منتهزا فرصة اضطراب أمورهم واشتعال الحرب الأهلية بينهم، وقد رأى أن يبدأ الهجوم على البرتغال دون غيرها من الممالك المسيحية الأخرى ، لأن الاستيلاء عليها سيكون بالأمر اليسير بسبب انشغال حاكمتها تريزا بالحرب الأهلية(١٥٣) وقد انضمت إليه قوات كبيرة من المسلمين فى قرطبة (مجاهدوها وفقهاءها)(١٥٤) ومطوعة غرناطة وبعض المدن الأندلسية الأخرى (١٥٥) فتوجه إلى التاجة مارا بلشبونة وشنترين ثم توغل فى أراضى البرتغال حتى وصل فى يونيو من نفس العام إلى مدينة قلمرية وحاصرها (١٥٦)، ويشير المؤرخون المسيحيون إلى أنه أثناء عبوره إلى قلمرية أثخن فى تلك الأنحاء قتلا وتخريبا وهدم كثيرا من القلاع وفى مقدمتها قلعة سورى Soure والتى تعد بمثابة خط دفاعى لمدينة قلمرية (١٥٧).

عندما علمت دونيا تريزا بنبأ تحرك جيش المرابطين ناحية كونتيتها أسرعت إلى قلمرية وحصنتها واستغاثت بحلفائها الجليقيين ، وخاصة الكونت بدرودى ترابا الوصى على الفونسو ريموندیز فأرسل ابنه فرديناند بيريز ، لمساعدتها وليباشر التحصينات ووسائل الدفاع عن المدينة (١٥٨) وقد اتفقت المصادر البرتغالية على أن الحصار بدأ فى ١٠ يوليو ١١١٧ م / صفر ٥١١ هـ(١٥٩) واستمر حتى أوائل شهر أغسطس من نفس العام (١٦٠) وعندما أدرك على بن يوسف صعوبة اقتحام المدينة اضطر إلى فك الحصار وعاد مرة أخرى إلى أشبيلية (١٦١) هذا فى الوقت الذى أعلن فيه كل من المؤرخين ابن أبى زرع والسلاوى أن المرابطين بقيادة على بن يوسف قد نجحوا فى فتح مدينة قلمرية ولكن الباحث يعارض ذلك بشدة ويرى أن هذين المؤرخين قد خلطا فى ذكر الأحداث بين هذه الواقعة وفتح مدينة شنتمرية والدليل على ذلك أن كلا منهما قد ذكر أخبار غزوة قلمرية بنفس تفاصيلها معتبرا أنها ضد شنتمرية (١٦٢) هذا فضلا عن أن رواية ابن عذارى قد اتفقت مع جميع المصادر الأسبانية والبرتغالية على أن على بن يوسف لم يفتح قلمرية ، وانما اضطر إلى فك الحصار المفروض حولها بعد ثلاثة أسابيع وفى نفس الوقت يضيف ابن عذارى أن بعض قادة المرابطين قد انفصلوا عن جيشه فى طريق عودتهم وقاموا بشن هجمات ضد بعض القوات المسيحية وأحرزوا عليها انتصارا كبيرا ثم عادوا محملين بالغنائم (١٦٣).

كيفما كان الأمر فقد ازدادت تعقيدا فى زحمة هذه الأحداث المثيرة داخل كونتية البرتغال ، ودخلت فى طور جديد أنذر باقتراب خطر كبير عليها وعلى مملكة قشتالة بسبب انشغال دونيا تريزا بحب جديد مع الكونت فرديناند بيريز الجليقى ، وكذلك الحال بالنسبة لأختها الملكة أوراكا فكانت تعيش أيضا قصة حب مع الكونت بدرو دى لارا ، مما أدى إلى سخط واشمئزاز نبلاء وفريسان كل من تريزا وأوراكا وتخليهم عنهما والتفافهم حول نجليهما (١٦٤) . وفى نفس الوقت وقف رجال الدين المسيحى فى البرتغال ضد دونيا تريزا ، فقاد بايو منديث Paio Mendes أسقف براغا مظاهرة عنيفة ضمت الساخطين والمتذمرين من رجال الدين والنبلاء وعامة الشعب يطالبون بضرورة انهاء العلاقة الأثيمة بين تريزا وفرديناند بيريز (١٦٥)فاضطربت الأحوال فى البلاد وأنذرت بقيام حرب أهلية خاصة بعد أن ألقت تريزا القبض على أسقف براغا وألقته فى السجن ولكن البابوية أجبرتها على إطلاق سراحه (١٦٦).

وقد اختلف كثير من المؤرخين حول علاقة دونيا تريزا بالكونت فرديناند بيريز الجليقى ، فأشار البعض إلى أنها كانت غير شرعية (١٦٧)بينما أشارت المدونات البرتغالية إلى أنها كانت زوجة له (١٦٨)ولكن الباحث يؤيد الرأى الأول لأن المدونات البرتغالية أرادت إضفاء نوع من الشرعية على علاقتها تمجيدا لملوك البرتغال وعدم الحط من شأنهم ونسبهم وهو ما ألفت عليه هذه المدونات فى الفترة الأخيرة . أما بالنسبة للوثائق التى كانت تلقب فرديناند بلقب كونت البرتغال واعتمدت عليها هذه المدونات البرتغالية ، فهناك وثائق أخرى معاصرة لنفس الفترة الزمنية تدعوه بكونت ترستامارا Conde Trastamara وتؤكد بأنه كان متزوجا من دونيا سانشا جونثالث دى لارا (١٦٩)، ولذلك فاننا نرى أن العلاقة بينه وبين دونيا تريزا كانت غير شرعية ولعل مايدعم صدق مانراه أنا لم نعثر على وثائق تقرر صراحة أنه كان زوجا لها فضلا عن أنه توجد وثيقة مؤرخة فى ٢٢ مايو سنة ١١٢٢ م ربيع الأول سنة ٥١٦ هـ تتضمن منح مدينة سيا Seia إلى فرديناند بيريز كهبة اقطاعية له (١٧٠) .

وبناء على ذلك يمكن القول أنه نتيجة للجهود الكبيرة التى بذلها فرديناند بيريز فى

الدفاع عن كونتية البرتغال ، ولقوة العلاقة التى تربطه بدونيا تريزا ، منحته الأخيرة حكم قلمرية وبورتو(١٧١) وزوجت أخاه برمود بيريز Bermudo Peres من ابنتها أوراكا ثم أسندت إليه حكم بازو (١٧٢). مما سيكون لذلك أكبر الأثر على تذمر البرتغاليين فى المراحل التالية من سيطرة النبلاء الجليقيين على كثير من الأمور فى كونتية البرتغال .

على أية حال ، يبدو أن الغارات التى وجهها المرابطين ضد الممالك الأسبانية ساعدت على تهدئة الأمور بين بعض حكام هذه الممالك ، فتوقفت الحروب بين أوراكا والملك الفونسو المحارب بعد أن رضى كل منهما بما تحت يديه من ممتلكات فى شبه الجزيرة الايبيرية . وفى نفس الوقت حدث تقارب بين الملكة أوراكا وأعضاء الحزب الجليقى تحت قيادة ديجو جالمريز رئيس أساقفة شانت ياقب ، واتفقت معهم على الهجوم ضد كونتية البرتغال لاستعادة منطقتى توى وأورنس (١٧٣) انتقاما من أختها دونيا تريزا لكونها السبب فى استمرار القلاقل والاضطرابات فى جليقية عندما تحالفت مع بعض النبلاء بها ضد السلطة الحاكمة فى البلاد(١٧٤) فتحركت قوات الملكة أوراكا فى صحبة ديجو جالمريز رئيس أساقفة شانت ياقب فى سنة ١١٢١ م / ٥١٥ هـ ووصلوا نهر المنهو بالقرب من مدينة توى وهناك فوجئوا بالقوات البرتغالية على أهبة الاستعداد لمواجهتهم فى الضفة الشمالية لنهر المنهو ، فالتحم الجيشان فى معركة حامية انتهت بانتصار قوات أوراكا وانسحاب تريزا إلى قلعة لانوسو (١٧٥) Lanhoso للاحتماء بها مع عشيقها فرديناند بيريز ، ولكن مالبث وأن نجح فرديناند فى الاتصال سرا برئيس الأساقفة ديجو جالمريز حليف أوراكا واستمالته إلى جانبه، وعقد معه اتفاقات سرية(١٧٦) لصالح كونتية البرتغال ولعل سبب هذا التقارب بين الرجلين إنما يرجع إلى أن فرديناند دى بيريز ينتمى إلى جليقية وكان ابناً للكونت بدرودى ترابا - الوصى على الفونسو ريموند يز - والصديق الشخصى لرئيس الأساقفة ، وفى نفس الوقت أحد زعماء الحزب الجليقى ، وفى الحال أستأذن رئيس الأساقفة من أوراكا للعودة إلى مدينة سانتياجو دى كومبوستلا لمتابعة قضايا مستعجلة ، وهامة تمس أسقفيته ، فأضاع بذلك على أوراكا الفرصة التى ظلت تنتهزها لإخضاع أختها تريزا تحت سيطرتها (١٧٧).

وقد أجمع كثير من المؤرخين على أن أوراكا اقتحمت قلعة لانوسو وأسرت أختها ، ولكن عندما انسحب رئيس الأساقفة من جبهة القتال للعودة إلى أسقفيته توقعت أوراكا إثارته للقلاقل والاضطرابات فى جليقية ، فاضطرت إلى التفاوض مع أختها دونيا تريزا [١٧٨] وعقدت معها معاهدة سلام منحت بموجبها الملكة أوراكا أختها تريزا أراضى كثيرة فى أقاليم سمورة وتورو Toro [١٧٩] وسلمنقه (شلمنقة) وأبيلا (أبلة) . وسمحت لها بموارد تلك الأراضى بالإضافة إلى ما يتحصل من توى واورنس . وتعهدت دونيا تريزا فى مقابل ذلك أن تدين بالولاء والطاعة للملكة أوراكا طبقا للقوانين الإقطاعية ، وأن تتعاون معها ضد جميع خصومها من المسلمين والمسيحيين دون أحد من الأشراف الثائرين ضدها [١٨٠].

وبعد أن اطمأنت أوراكا إلى استقرار الأوضاع عادت مع قواتها الى جليقية ، وعندما وصلت إلى ضفاف نهر المنهو سمحت بعبور قوات رئيس الأساقفة بكامل أسلحتهم ، ثم أمرت بحجزه فى قلعة سيرا Cera [١٨١] مما أدى إلى قيام ثورة عامة ضد الملكة فى مدينة شانت ياقب دى كومبوستلا ، تزعمها الكونت بدرو فرويلز دى ترابا ، وعندما سمع البابا كالستين (سلستين) الثانى[١٨٢] ، بما حدث ثار ، وهدد باصدار قرار الحرمان . ضد أوراكا إذا لم تطلق سراح رئيس الأساقفة ، فى نفس الوقت استعد الجليقيون بقيادة الوصى الكونت بدرو فرويلز والأمير الفونسو ريموندير للصدام مع الملكة أوراكا ، فاضطرت أمام كل هذه الضغوط إلى اطلاق سراحه [١٨٣].

ولم تستمر الملكة أوراكاكثيرا فى الحكم بعد هذه الأحداث إذ وافتها المنية فى مارس ١١٢٦ م / صفر ٥٢٠ هـ [١٨٤]، وخلفها ابنها الفونسو ريموندير الملقب بالفونسو السابع، ولكنه ورث تركة مثقلة بكثير من المشاكل ، أهمها سخط بعض فئات الشعب وتمردهم ضده فى مناطق مختلفة مثل اشتوريا وجليقية وليون وذلك على الرغم من أنه الابن الوحيد الشرعى للملكة أواكا ووريثها فى الحكم[١٨٥] . فتوجه عندئذ إلى ليون لينال تأييد نبلائها وخضوعهم [١٨٦]ثم توجه بعد ذلك للقاء خالته دونيا تريزا كونتيسة البرتغال عند ملتقى نهرى أوربيكو ودويره وعقد معها هدنة أنهى على أثرها كل المسائل

المتعلقة بينهما ، فيما عدا مسألة واحدة وهى إصرار دونيا تريزا على عدم الإعتراف بتقديم الولاء والطاعة له وبأداء الجزية المقررة على كونتيتها (١٨٧) ، كتابعة لتاج قشتالة وليون حسب وصية الملك الفونسو السادس ، فلم يشأ الفونسو السابع (ريموندير) أن يخوض غمار حرب جديدة ضد خالته وقتئذ وأرجأ ذلك إلى وقت آخر بعد أن ينتهى من جميع مشاكله الأخرى ، ثم توجه بعد ذلك إلى جليقية لكسب تأييد نبلائها (١٨٨)، وتحرك سريعا بقواته إلى حدوده الشرقية فى عام ١١٢٧ م / ٥٢١ هـ حتى وصل إلى بالنسيا حيث كان الفونسو المحارب ملك أرجون قد وصل إلى وادى تامارا Tamara بورجوس (برغش) وتقابل الجيشان على ضفتى وادى تامارا وعندئذ توسط بينهما الكونت جاستون دى برنى Gaston de Bearne حقنا للدماء وعقدا اتفاق تامارا تم بموجبه تنظيم العلاقات بين الطرفين كما تعهد الملك الفونسو المحارب بالتنازل عن القلاع التابعة لقشتالة (١٨٩) مثل بورجوس Burgos وكاريون (قرمون) Carrion وكاستروخريز Castrojeriz وبيافرنكا Villafranca وبلفورادو Belforado (١٩٠).

وفى سبتمبر عام ١١٢٧م / رمضان ٥٢١ هـ قرر الملك الفونسو السابع الاتجاه لإخضاع كونتيسة البرتغال وإجبارها على تقديم الطاعة له ، وكانت تريزا منذ أن تولى الملك الفونسو السابع (ريموندير) الحكم تنظر إليه بعين القلق ، مما دفعها إلى تحصين القلاع الجليقية الموجودة تحت سيطرتها وجميع خطوط دفاعه على الحدود البرتغالية الشمالية(١٩١) ، وقد استغرقت تلك الغزوة ستة أسابيع استطاع فيها أن يطرد البرتغاليين من جنوب جليقية ويرغم دونيا تريزا على التخلى عن مناطق توى وأورنس والاعتراف بالتبعية الإقطاعية له (١٩٢). وقد تم ذلك بموجب اتفاقية ريكوبادو Ricovado التى عقدها الطرفان فى سنة ١١٢٧ م / ٥٢١ هـ .(١٩٣) ومع ذلك لم يكن الملك الفونسو السابع مطمئنا من جانب خالته دونيا تريزا لأنه يعلم تماما أن أبنها الفونسو هنريكز هو صاحب الحق الشرعى فى حكم البلاد وأنه اوشك على اكتمال السن القانونية لتوليته الحكم ولذلك يجب أن يقسم الفونسو هنريكز له يمين الولاء والطاعة فتوجه بجيشه إلى جويمارس Guimarães (١٩٤)، مقر الأمير الفونسو هنريكز وفرض الحصار حولها لفترة غير طويلة

لأن ايجز مونيز الوصى على تربية الفونسو هنريكز خرج للقاء الملك الفونسو السابع وتعهد له بالموافقة على كل شروطه وفى نفس الوقت قدم زوجته وأولاده ضمانا لتنفيذ وعده[١٩٥] وعندئذ أمر الفونسو ريمونديز بفك الحصار وعاد إلى قشتالة [١٩٦]، ولكن بدأت الأمور بعد ذلك تتطور بشكل سريع داخل كونتية البرتغال ضد دونيا تريزا ، فازداد تذمر النبلاء البرتغاليين ورجال الدين ضدها ، وأخذوا يلتفون حول الأمير ألفونسو هنريكز بسبب تعنتها وإصرارها الشديد على الاستمرار فى علاقتها بالنبيل الجليقى مما فتح الباب أمام ازدياد نفوذ الجليقيين داخل كونتية البرتغال[١٩٧] فضلا عن اعتبارات أخرى يأتى فى مقدمتها أن الفونسو هنريكز بلغ الثامنة عشر من عمره فى عام ١١٢٨ م / ٥٢٢ هـ وأصبح مؤهلا لتولى حكم الكونتية بعد رفع وصاية أمه عليه . كما أن الأوضاع السياسية لشبه الجزيرة الايبيرية وقتئذ وطبيعة الصراع الدائر بين الممالك المسيحية والمسلمين كان يحتم أن يتولى حكم الكونتية فارس وأمير يتمتع بكفاءته الحربية وحب الشعب له ، وهذه الشروط لاتتفق مع حكم تريزا كامرأة ، انشغلت فى أواخر حكمها بعلاقتها الغرامية مع الكونت فرديناند بيريز على حساب المصالح العامة للكونتية .

على أية حال ، عندما تقدم نبلاء البرتغال ورجال الدين بمطالبهم إلى دونيا تريزا للتنازل عن الحكم لابنها الفونسو هنريكز رفضت الاستجابة لهم وأصرت على التمسك باستمرارها فى الحكم [١٩٨] مما دفع رجال الدين والنبلاء وعلى رأسهم المربى ايجز مونيز التوجه إلى الأمير الفونسو وإسداء النصح له بضرورة الاستيلاء على الحكم بالقوة[١٩٩] فاستجاب لهم وأخذ يجهز احدى القوى العسكرية فى الأراضى بين أب Ave وليما Lima فى شهر يونيو ١١٢٨ م جمادى الآخر ٥٢٢ هـ وتجمع كثير من النبلاء البرتغاليين والعائلات البرتغالية الشهيرة من مختلف المدن والقلاع [٢٠٠] واتجهوا جميعا بقيادة الأمير الفونسو هنريكز الى قلعة ساو مامدى São Mamede لأنها تاج لإحدى المرتفعات المهيمنة على مدينة جويمارس ، كما أن بابها الرئيسى يطل على الغرب حيث الحقول المتعرجة [٢٠١] مما يساعد السيطرة على مكان المعركة . وكانت تريزا عندئذ قد جمعت قواتها من بعض البرتغاليين ونبلاء جليقية وليون ، وقد أيدها الكونت فرديناند بقواته ،

وتلاقى الفريقان فى صباح يوم عيد القديس خوان الموافق ٢٢ يونيو سنة ١١٢٨ م جمادى الآخر سنة ٥٢٢ (٢٠٢) فى معركة شديدة انتصر فيها الفونسو هنريكز على أمه واتباعها(٢٠٣) حتى اضطرت تريزا إلى الانسحاب من أرض المعركة ولجأت إلى قلعة لانوسو Lanhoso بالقرب من جويمارس (٢٠٤) وفى رواية أخرى بأنها وقعت فى الأسر ومعها الكونت فرديناندى ترابا وسجنا معا فى قلعة لانوسو (٢٠٥). وكانت دونيا تريزا قد ارسلت رسالة سرية إلى ابن أختها تستنجد به فاستجاب الملك الفونسو السابع (ريموندين) فى الحال، ودخل أراضى البرتغال بحجة العمل على إنقاذ خالته تريزا(٢٠٦)، وتوجه إلى بال دى بيز (وادى بيث) Val de Vez (٢٠٧) والتقى مع قوات البرتغال بقيادة الفونسو هنريكز فى معركة حامية وانتهت بهزيمة الملك القشتالى الذى فقد فيها كثيرا من الجنود ما بين قتلى وجرحى، بينما أصيب هو بجرح فى أحد ساقيه ثم عاد مسرعا إلى طليطلة (٢٠٨) ومع ذلك لم يستسلم الملك الفونسو السابع للهزيمة بل أخذ يستعد للثأر فاتجه على رأس جيشه لحصار جويمارس التى تحصن فيها الأمير الفونسو هنريكز (٢٠٩)، ورغم طول مدة الحصار إلا أن الملك الفونسو السابع لم يحقق انتصارا يذكر بسبب مناعة الحصن من ناحية، ولأن الأحوال فى مملكة قشتالة آنذاك كانت تستدعى وجود الملك الفونسو السابع داخل مملكته، مما دفعه إلى ترك الحصار والعودة إلى بلاطه، دون أن يحقق هدفه المنشود (٢١٠).

وجدير بالذكر أن تدخل الملك الفونسو السابع فى شئون البرتغال هذه المرة لم يكن يهدف لنجدة خالته تريزا، وإنما إثبات وجوده والضغط على الفونسو هنريكز ليقر له بالتبعية الإقطاعية، ولكن الأحداث أثبتت أن الفونسو هنريكز رفض تماما الإقرار بسيادة مملكة قشتالة على كونتيته، وقد اتضح ذلك بصورة أكيدة عندما وجد الفونسو السابع الدعوة إلى كل الخاضعين له لاجتماع الكورتيس Cortes فى طليطلة عام ١١٢٩ م / ٥٢٣ هـ ومنهم الفونسو هنريكز ولكنه رفض الحضور (٢١١).

وقد قرر الفونسو هنريكز درءا للأخطار الناجمة عن ظهور بعض عناصر المقاومة ضده التى استمرت حتى نهايات ١١٢٨ / ٥٢٢ هـ وبدايات العام التالى(٢١٢) أن يبعد أمه

وعشيقها عن الكونتية إلى جليقية وبقيت بها حتى وفاتها فى ١ نوفمبر سنة ١١٣٠ م / ذى الحجة ٥٢٤ هـ وحملت جثتها إلى براغا(٢١٣) ودفنت بجوار زوجها الكونت هنرى البورجونى فى كاتدرائية براغا . وعندئذ ازداد التفاف جميع البرتغاليين حول الفونسو معتمدين عليه فى تحقيق أحلامهم وآمالهم ولقبوه بأمير البرتغال (٢١٤).

ويعتبر الفونسو هنريكز من الشخصيات البارزة فى شبه الجزيرة الايبيرية وكان واحدا من أعظم الفرسان المشهورين آنذاك . ويرجع الفضل فى ذلك لمربى إيجز مونيز والذى تعهده منذ الصغر غرس فيه كل ما هو جدير بوريث كونتية كبيرة مثل البرتغال . ونظرا لأن محور بحثنا يدور حول الفونسو هنريكز فالأمر يتطلب إلقاء الضوء على شخصيته من كل جانب .

ولد الفونسو هنريكز فى مدينة جويمارس عاصمة كونتية البرتغال آنذاك (٢١٥)، وعمد فى نهر أورادو Iordão وقد اختلف المؤرخون فى تاريخ ميلاده . فحدده البعض وخاصة المؤرخون القدامى منهم بعام ١٠٩٤ م / ٤٨٦ هـ (٢١٦) بينما حدده فريق ثان بعام ١١٠٦م / ٤٩٩ هـ استنادا على ماجاء فى الوثائق من أنه كان يبلغ من العمر ست سنوات عندما توفي أبوه هنرى البورجونى فى عام ١١١٢م / ٤٨٧ هـ (٢١٧) أما الفريق الثالث من المؤرخون فذكر بأنه ولد عام ١١٠٩ م / ٥٠٣ هـ(٢١٨) وهناك رأى رابع يتخذ من عام ١١١٠م / ٥٠٤ هـ تاريخا لميلاد الفونسو هنريكز استنادا على ما ذكرته بعض المصادر بأنه كان يبلغ من العمر أربع عشرة سنة فى عام ١١٢٤م / ٥١٨ هـ (٢١٩). أما الرأى الخامس فى هذا الصدد يستنتج أن واقعة الميلاد قد تمت عام ١١١١م / ٥٠٥ هـ لأن بعض المصادر ذكرت أنه تم تعميده فارسا عام ١١٢٥م / ٥١٩ هـ وكان يبلغ من العمر حينئذ أربع عشر سنة (٢٢٠) والرأى السادس والأخير ذكرته مدونة القوط بأنه ولد فى سنة ١١١٣م / ٥٠٧ هـ (٢٢١).

ويرى الباحث عدم امكانية ميلاد الفونسو هنريكز عام ١٠٩٤ م لأن المورخ برنداو Brandão بعد أن فند أقوال المؤرخين رأى أن واقعة الميلاد قد تمت بين علمى ١١٠٦ م / ٤٩٦ هـ و ١١١٠م / ٥٠٤ هـ مرجحا عام ١١١٠م اعتمادا على ماذكره المؤرخ دون بدرو

فى مؤلفة Livero das Geracoes من أن الملك الفونسو هنوريكز توفى عام ١١٨٥م / ٥٨١ هـ عن عمر يناهز ستة وسبعين عاما [٢٢٢]. وبناء على ذلك يرى الباحث أن ميلاد الملك الفونسو هنريكز قد تم بين عامى ١١٠٩م - ١١١٠م / ٥٠٣ - ٥٠٤ هـ لأننا لم نعثر على ذكر لاسمه فى الوثائق قبل هذا التاريخ .

كيفما كان الأمر عين والده الكونت هنرى البورجونى أحد كبار النبلاء في البرتغال ايجز مونيز[٢٢٣] Egas Moniz وصيا على تربيته [٢٢٤].

وقد التصق بنشأته الأولى كثيرا من الأساطير والخيال بسبب ندرة المعلومات الواردة فى المصادر والوثائق عن أخبار نشأته وحياته الأولى ، وكل ماعثرنا عليه نتف وشذرات مبعثرة هنا وهناك مضافا إليها الأساطير والخرافات لإضفاء نوع من القداسة والبطولة إليه حتى اعتبره البرتغاليون قديسا في فترات متأخرة ، وتروى إحدى الروايات أنه عندما كان صبيا يلعب فى الجبال المحيطة بمدينة جويمارس ويقاتل الذئاب ، كانت تتوهج النار حوله دون أن تؤذيه أو تروعه [٢٢٥].

وكان الفونسو هنريكز طفلا عند وفاة أبيه تولت أمه الوصاية عليه فى حكم الكونتية ، أما مهمة رعايته وتربيته فقد استمر فيها الكونت ايجز مونيز فأخذ ينمى فيه كل الصفات التى تؤهله لوراثة الحكم حتى أصبح ماهرا فى كل فنون الفروسية ومتدربا على أساليب فنون الحرب والقتال ، فتم تعميده فارسا ١١٢٤م / ٥١٨ هـ على مذبح القديس سلفا دور فى كاتدرئية سمورة [٢٢٦]وفي نفس الوقت كان ملما بالقراءة والكتابة مكتسبا بعض الصفات الطيبة من رجال الدين التى قلما تتوافر فى ذلك الوقت ، وكان محبا للشعر والرومانسية ولأخبار الفروسية ، علاوة على ذلك كان نموذجا للرجل المسيحى فى التعصب لدينه [٢٢٧].

الهوامش :

١ - يطلق البرتغاليين أحيانا فى العصر الحديث على بلدهم اسم " لوزيتانيا " مما يدل على الارتباط الإقليمى بين هذه التسمية واسم " البرتغال " وان كانت حدود لوزيتانيا تفوق حدود البرتغال الحالية من حيث المساحة .

Nowel , c.E, A history of portugal , London , 1952 , PXII ; Gomez Y Guevara , Lusitania , Santiago de chile 1977 , pp . 1 - 30 ; Martins O , História de Portugal , N . D . Vol . 1 , pp . 19 - 23 .

وكانت مدينة بورتو (برتقال) Oporto عاصمة لإقليم لوزيتانيا فى القرن العاشر الميلادى والتى كان يطلق عليها العرب برتقال ، تقع على الضفة الشمالية لنهر الدويرة بالقرب من مصبه . ويتكون اسم المدينة من شقين ، الأول : Caya أو Caia أو Cale وهو اسم لإحدى القلاع الهامة الموجودة هناك والشق الثانى يسمى Oporto وهو أيضا اسم لميناء هام واقع على النهر ، وقد دمج الاسمان معا وأصبح Portucale ثم أطلق بعد ذلك هذا اللقب على تلك المنطقة بأسرها وأصبحت تعرف باسم أراضى البرتغاليين Territoruim Portugalense وقد اتفقت المصادر البرتغالية على إطلاق اسم البرتغال Portugal فى القرن العاشر الميلادى على مجموعة الأراضى الواقعة جنوب خط ليميا Limia حتى الحد الجنوبى المبهم والذى كان يتقدم بايقاع سريع مع حركات التعمير الجديدة ، وحركة الاسترداد . ولمزيد من التفاصيل أنظر :

- Silva , G . T , Cronicas dos sete primeiros Reis de portugal T1 , Lisboa 1952 , p.9; Tarapha , f , Chronica de España , Barcelona 1952 , p . 121 , CF . also : Merea , p . de portucale (Civitas) ao portugal de D . Henrique , porto 1944 , p.1; Rodriguez , J., Ramiro II Rey de leon , Madrid 1972 , p . 77 ; Livermore . H . v , Portugal , Univeristy press 1973 , pp . 24 - 25 .

٢ - Rodrigo , J.R. , Historia Romanorum , Opera , Universidad 1974 , - p . 291 , CF . also : Nowel , op . cit . , pp . 1 - 3 ; Sergio , A , Breve interpretacáo de Historia de Portugal , (N . D) pp . 5 - 7 .

Eppstein , J , Portugal , Queen Anne 1967 , pp . 30 - 34 .

العبادى ، تاريخ المغرب والأندلس ، الاسكندرية ، ص ٢٧ - ٢٩ .

٣ - Rodrigo, Historia Hunnoum , Vandalorum , Suevorum , Alanorum - et Silingurum , pp . 232 - 241 ; CF , also : Payne, S . G . 1949 , pp . 113 - 115 ; A history of Spain and Portugal , Wisconsin Press , 1949 , Livermor , A new history of portugal , Cambidge 1976 , pp . 22 - 25 .

أشباخ ، تاريخ الأندلس ، ترجمة محمد عبد الله عنان ، القاهرة سنة ١٩٤٠ ، جـ ١ ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

٤ - -Rodrigo, Historia Ostrogothorum , Opera , p . 266 ; Cronicon Al- beldense , las cronicas Latinas de la Reconquista , Traduccion por Huici Miranda , T1 , pp . 147 - 157 ; Cornicon , Compostelano , C . L . R , T 1 Valencia 1913 , pp . 81 - 83 .

٥ - ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ .

Cronica geral de Espanha de 1344 , (N . D)Vol . 2 , pp . 480 - 381 ; CF . also : Dominguez , J . G . , Invasão e conquista da Lusitania por Muca Ben Nocair E seu Filho Abdalaziz , Madrid , 1964 , p . 223 ;

- Anales comluteneses C . L . R , p . 41 . - ٦

المقرى ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، القاهرة ١٩٣٦ ج ٢ ، ص ٢٢٩ .

٧ - مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة ، بيروت سنة ١٩٨١ ، ص ٣٤ .

- Cronica de la corona de Aragon , Año 1919 , p . 1 ; Cronica de Sebastian , C . L . R . , T 1 pp . 207 - 208 .

بلاى تولى زعامة المسيحيين الفارين أمام الجيش الإسلامى وقد اختلفت المصادر فى جنسيته وذهبت فى ذلك مذاهب شتى ولمزيد من التفاصيل أنظر : حسين مؤنس ، بلاى وميلاد أشتريس وقيام حركة المقاومة النصرانية في شمال أسبانيا ، مجلة كلية الآداب ، القاهرة ١٩٤٩م ص ١ .

- Rodrigo , Historia de los hechos de España , Madrid 1989 p . 161 ; - ٨ Lucas , obispo de tuy , cronica España , Madrid , 1926 , pp . 272 - 273 ; cornica Alfonsina , C.R. A . L , Lron 1985 , pp . 53 - 56 .

٩ - مما يؤسف له أن المصادر المسيحية والمؤلفات الحديثة لم تحدد تاريخ هذه الواقعة ، وافادتنا ضمنا أنها تمت بين عامى ٧٣١ - ٧٣٧ م / ١١٣ - ١٣٩ هـ ولمزيد من التفاصيل عن الموضوع أنظر :

السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، الأسكندرية سنة ١٩٦١ ، ص ص ١٦٨ ، ١٦٩ ، أحمد مختار العبادى : تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٧٦ - ٧٧ على حبيبة ، مع المسلمين فى الأندلس ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ٤١٧ .

١٠ - ظهر اسم البرتغال لأول مرة ككونتية عندما قسمت مملكة اشتورياس بين أبناء الملك أردونيو الثانى فكانت منطقة البرتغال من نصيب راميرو الثانى (٩٢٦ - ٩٥٠ م) تضم عندئذ المنطقة الواقعة بين قلمرية ونهر المنهو (مينه) ووقع الاختيار على مدينة بازو عاصمة لهذه الكونتية .

Cronica de Sampiro , C . R . A . L . , Leon 1985 , p . 95 ; Cronica Najerense , Valencia 1966 , p . 73 ; CF . also : Emilio Saez , Ramiro II Rey de Portugal , R . P . H , T 3 , Coimbra 1946 , p . 275 ; Dominguez , Historia de Zamora , Zamora 1983 , p . 46 .

Lucas , Cronica de Espña , p . 279 ; El Cronicon del Monje Silense , - ١١ C.L.R T2 , pp . 129 - 135 ; Cronicon Complutense , C.L.R . , T1 p . 55 ; Cronicon de los Reyes Leoneses , C . L . R . , T 1 , p . 323 ; CF . also : Herculano , A , Historia de portugal T 1 , Lisboa , 1980 , p. 263 .

١٢ - ابن بسام ، الذخيرة ، في محاسن أهل الجزيرة ، بيروت سنة ١٩٧٩ م ، ق ٤ ، م ٤ ص ص ١٦٥ - ١٦٦ .

Pidal , El conde Mozararbe sisande Davidiz y la politica de Alfonso V1 Con Taifas , Al - Andalus , Vol 12 , 1947 ; pp . 30 - 39 .

١٣ - ابن بلقين ، مذكرات الأمير عبد الله ، القاهرة سنة ١٩٥٥ ، ص ١٠٤ - ١٠٦ ، المراكشى المعجب ، القاهرة سنة ١٩٦٣ ، ص ١٩٢ ، ابن الخطيب ، الاحاطة فى أخبار غرناطة ، القاهرة سنة ١٩٧٣ ، ج ٤ ، ص ٣٥٢ ؛ سحر سالم ص ٤٢٣ - ٤٢٦ .

Cronicon del cerratense , C.L.R , T 1, p . 93 ; Cronicon Burgense C.L.R. , T1 , p . 37 ; Anales compostelanos , C.L.R , T1 , p . 71 ; CF . also : Rivera Recio , Reconquista y Pobladores del antiguo Reino de Toledo , Toledo , 1967 , p . 17 .

١٤ - Brandão , Cronica , do conde D . Henrique de Teresa E Infante D . Alfonso Porto 1944 , pp . 20 - 21 ; CF . also : Defourneaux , M , Les Francais en Espagne aux XI et XII Siecles , Paris , 1949 , p . 196 . ; Livermore , H . V . , The origins of Spain and Portugal , London 1971 , p . 391 .

١٥ - وسبب تغيير خطتهم يرجع إلى أنه عندما علم الملك الفونسو بعودة يوسف بن تاشفين إلى المغرب بعث إلى الأمراء الفرنج يشكرهم ويخبرهم برحيل المرابطين ، فوضعوا انفسهم فى خدمة ابن ردمير - سانشو راميرز) ملك أرجون ابن عذارى ، ج ٤ ، ص ٤٨ ، الحلل الموشية ، ٥٣ - ٥٤ - اعنان : دول الطوائف ص ٣٣١ .

١٦ - Peres , D , Como nasceu Portugal , Porto 1931 , p . 57 - 58 ; Livermore , A new history of Portugal , Cambridge 1976 , p . 42 .

١٧ - يرجع نسب هنرى البورجونى إلى ملوك فرنسا حيث أنه حفيد روبرت الثانى ملك فرنسا (٩٩٦ - ١٠٣٤) وجده المباشر روبرت دوق بورجونيا (١٠٣٢ - ١٠٣٧ م) وانه الابن الثانى من أربعة أبناء للدوق هنرى

Defourneaux , op . cit . , pp . 136 - 137 ; Herculano , op . cit . , T1 , pp . 269 - 270 ; Benevides , F . E . , Rainhas de portugal T1 Lisboa 1878 , p . 61 .

انظر الملحق الأول جدول للنسب .

أما ريموند البورجونى فهو ابن جيوم دى جراند كونت بورجونيا (١٠٢٧ - ١٠٨٧ م) وعمته سبيلا هى والدة الكونت هنرى البورجونى .

١٨ - Defourneaux , op . cit , Loc . cit ; Herculano , op . cit , Loc cit ; Marques , o , History of portugal , Vol . 1 , Now York 1972 , p . 36 ; Reilly B.F . , The Kingdom of Leon - Castilla under Queen Urraca 1109m - 1126 , London , 1982 , p . 31 ; Rui , Edad Media , madrid , 1989 , p . 211 ; Jan Read , The Moors in Spain and portugal Totowd , New Gersey 1974 , p . 152 ; Peres op . cit . , Loc . cit .

١٩ - Herclanno , op cit . , T1 p . 268 ; Reilly , under Urraca, pp.13-14 ; Lozoya ; M , Historia de España , T2 , Barcelona 1977 , p . 410 ; Mackay , A . , Spain in the Middle Ages , New York , 1977 , p . 25 ; Cesar , V.J. , A Fundação da Monarquia Portuguesa , Batalha D Ourique , Lisboa 1927 , p . 11 .

٢٠ - Peres , op . cit . , p . 58 - 59 ; Herculano , op . cit . , Loc . cit ; Reilly- , Under Urraca , pp . 13 - 14 .

٢١ - Brandão , Cronica do conde D . Henrique , p . 49 ; Duarte , N.L - Chronica de conde D . Henrique , Cronicas dos . Reis de portugal , porto 1975 , p . 28 ; peres , op . cit . , Loc . cit ; Herculano , op . cit . , T1 , pp . 270 - 271 .

٢٢ - طبقا للنظام الإقطاعى السائد فى الغرب الأوربى يرث الابن الأكبر كل إقطاع أبيه وكان هنرى البورجونى الأبن الثانى لأبيه بعد أيدو الأول .

٢٣ - Brandão , op . , cit . p . 49 ; Duarte , op . cit . ; p . 28 .

CF . also : Herculano , op . cit . , Loc cit , Merea , op . cit . , pp . 33 - 34 ; Ballesteros , Historia , de España T2 ; Barcelona 1944 , p . 381 .

هناك وثيقة يتضح من خلالها بأنه كان متزوجا من تريزا وهى بتاريخ ١١ فبراير سنة ١٠٩٥ م .

Documento NI , Galindo , P . R . Tuy en la baja Edad Media, Siglos XII - XV , p.v.

٢٤ - Peres , op . cit . , p . 61 , Defourneaux , op . cit . , p . 196 ;Feige , P. Die Anfange des portugieschen Konigtums und seiner Landeskirche , Berlin 1978 , p . 160.

٢٥ - Chronicon Lusitano , E . S . , T14 , pp . 403 -404 ; Bishko The- clunigc priories of Galicia and portugal their Acquisition and adminis- tration , 1075 - 1230 , Studio Monastica VII , Abadia de Montserrat 1965 , pp . 177 - 178 .

٢٦ - Rivera Recio , op . cit . , p . 45 .

٢٧ - Cronica del obispo Don Pelayo , C . R . A . L . p 18 Florez , H , Memrias de los Reynas catholicas , Madrid , 1790 . , p . 186 .

٢٨ - كان يوسف بن تاشفين فى جوازه الثالث ١٠٩٠م/٤٨٣ هـ بدأ يخلع ملوك الطوائف بالأندلس بدأها بغرناطة ثم أتبعها بمالقة قرطبة وأشبيلية ثم ألمرية ثم بدأ سير بن أبى بكر فى الاتجاه إلى مملكة بطليوس بعد إنهاء معاهدته مع المتوكل أمير بطليوس .

ابن بلقين ، مذكرات الأمير عبد الله ، ص ١٧٤ ؛ ابن أبى زرع ، الروض القرطاس ، الرباط سنة ١٩٣٦ ، ج ٢ ، ص ٩٧ ؛ مؤلف مجهول ، الحلل الموشية ، الرباط سنة ١٩٣٠ م ، ص ٥٧ ؛ الضبى : بغية المتلمس ، مدريد سنة ١٨٨٤ ، ص ٣٢ ، ابن خاقان ، قلائد العقيان ، مصر سنة ١٢٨٣ هـ ص٣٧؛ ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج ٤ ، ص ٣٥٢ - ٣٥٣ .

٢٩ - ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج ٤ ، ص ٤٦ - ٤٧ ؛ عنان ، دول الطوائف ص ٣٦٧ - ٣٦٨ كان الفونسو السادس قد دخل شنترين ٣٠ أبريل ولشبونة ٥ مايو وشنترة ٨ مايو من نفس العام .

David , P , Etudes Historiques sur la Galica et le portugal du VI au XII Siecle , paris , 1947 . pp . 301 - 302 .

هذا ينفى ماذكرته المدونات المسيحية من أن الملك الفونسو استولى عليها عن طريق الغزو والفتح .

Cronica del obispo de Oviedo Don pelayo , C.R.A.L. , p . 179; Cronicon complutense , C . L . R . , T1 p . 55 ; Cronicon de los Reyes Leonesess , C . L . R t1 p.329 , Brandão , op . cit . , p . 46 .

٣٠ - Cesar , op . cit . , pp . 16 - 17 ; Livermore , A new history of Portugal , p . 43 ; Mattoso , A , Historia de Portugal , Vol . 1 , Lisboa , 1939 . p . 56 .

٣١ - Historia Compostelana , E . S , T20 . p . 360 ; CF . also : Peres , op . cit . , p . 63 ; Bosch , V.J , Los Almoravides , Tetuan 1956 , p. 160 ; Livermore , Portugal , p . 31 ; Valdeave-1llano Historia de España , Madrid 1973 , p . 377 ; Herculano , op . cit . , T1 , p . 271 ; Suarez , L . E . Historia de España , Madrid 1970 , p 202 , Stephens , H , Portugal London , 1891 , p . 18 .

Lozoya , op . cit ., p . 408 , Marques , op . cit . p . 34 .

٣٢ - السلاوى ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ ، ج ٢ ، ص ٢٩ ابن أبى زرع ، ج ٢ ، ص ٨٥ - ٨٦ .

Huici , A . M , Ali Ben Yusof Y sus empresas en Al - Andalus , Tamuda , Año VII , Tetuan 1959 , p . 89 ; Codera , F . Decadencia y Desaparcion , de los Almoravides en España , Zaragoza , 1899 , p . 119 . Martin y Dolores , Historia de Extremadura T2 , Badajoz , 1986 , p . 273 ; Mattoso ; op. cit . , p . 58 .

٣٣ - Historia Compostelana , E.S, T 20 , p . 360 ; Cesar , op . cit p . 17 - 18 .

٣٤ - يشير ابن أبى زرع بقوله " وفى سنة أربع وخمسمائة فتح الأمير سير بن أبى بكر مدينة شريش وبطليوس وبرتقال ويابرة والأشبونه وجميع بلاد الغرب " .

ابن أبى زرع ، ج ٢ ، ص ٨٥ - ٨٦ ؛ السلاوى الاستقصا ، ج ٢ ص ٥٩ ، والواقع أن الإشارة إلى الاستيلاء على برتقال وتعنى بورتو ، وهذا لم يحدث مطلقا بجنب أن بطليوس ويابرة كان قد استولى عليها المرابطين فى سنة ١٠٩٤ م / ٤٨٧ هـ .

٣٥ - Duarte , op . cit . p . 21 ; Galvão , D , chronica del Rei D . Alfonso Henriques , Lisboa , 1906 , p . 40 ; CF . also : Mattoso, Historia de Portugal , Vol . 1 . 56 .

٣٦ - Godin, O. L., Princes et Princesses de la Famille Royale de Portugal, Lisbonne, 1892, p1 ; Herculano, op. cit. Vol. 1. pp. 270 - 271

توضح احدى الوثائق المؤرخة بتاريخ ١٨ ديسمبر عام ١٠٩٤ م أن المنحة المقدمة من أحد نبلاء البرتغال ويدعى جارثيا أوردينو إلى دير أروكا Arouca تمت أثناء حكم الفونسو السادس فى طليطلة والكونت هنرى البورجونى فى قلمرية انظر : Brandão, op. cit., p. 52

كما أكدت وثيقة بتاريخ ٩ أغسطس ١٠٩٥ م أن الكونت هنرى كان تابعا لإشراف الكونت ريموند فى جليقية . Livermore, op. cit p. 43.

٣٧ - اختلفت كل المصادر والمراجع فى حدود كونتية البرتغال عند تولى هنرى البورجونى وماسبق ذكره كان نتيجة خلاصة جميع المصادر والمراجع والخرائط .

٣٨ - Duarte, op. cit. p, 21 ; Brandão op. cit., p. 55.

٣٩ - Primera Conica general de España, p. 650 ; Paez, Principios del Reyno de Portugal, Barcelone 1664, p. 83.

٤٠ - Herculano, op. cit, T1, p 27. cf. also : Stephens, op. cit., pp. 20 - 21 ; Benvides, op. cit. p. 62.

٤١ - الكورتيس Cortes هو مجلس برأسه الملك ويضم عظماء الدولة وأكابر النبلاء ورجال الدين ولم تكن الطبقة الوسطى تمثل بشكل مؤثر فى هذه المجالس لانها لم تكن بعد ذات أهمية تذكر وكانت مهمتها تعنى بتنظيم شؤون الدولة والكنيسة ، أشباخ ، ج ١ ص ١٣٥ - ١٣٦ .

٤٢ - Canovas, C. A ; Historia general de España, Maderid 1893, pp. 229 - 230 ; Chapman, C.E, A History of Spain, New York, 1931, p. 74.

٤٣ - كان هذا النظام هو السائد فى الامبراطورية الليونية خلال القرن الحادى عشر على طريق المبادى الإقطاعية ، وكثيرا ماكانت هذه الهبات تسمى بالحيازات ، لأنها كانت تسلم كحيازة من حق مانحها استردادها ، ويكون لصاحب الامتياز الحق فى توريثها إلى خلفائه .

٤٤ - Valdeavellano, op. cit., p. 378 ; Mattoso, História de portugal, VI, p. 56 ; Jan Read, op. cit., p. 152.

٤٥ - Brandão, op. cit ., p. 32 ; Denis, F, Historia de Portugal, Barcelone, 1845, p. 6 ; Payne, op. cit, p. 116.

٤٦ - Livermore, A new history of Portugal, p. 44,

٤٧ - Bishko, C. J, Count Henrique of Portugal cluny and the Antecedents of the Pacto Sucessorio, R. P. H, N8, Coimbra 1971, p. 180 ; Beirão, op. cit., p. 8.

٤٨ - Stephens , op . cit . , p . 22 .

٤٩ - Azevedo , R , Data critica do convenio entre os condes Raimundo do Galiza e Henrique de portugal R . P . H . T 3 , Coimbra 1947 , pp . 541 - 542 .

جانب الصواب بعض المؤرخين فى ذكر أن سانشو قد ولد فى سنة ١٠٩٩ م

Marques , op . cit . , p . 48 .

٥٠ - تعرف باسم زايده وهى ترجمة لاسمها Zaida الذى ذكرته المصادر الأسبانية وتشير بأنها ابنة المعتمد ملك أشبيلية الذى أهداها إلى الفونسو السادس ولكنها فى الحقيقة زوجة ابن المعتمد وكانت أسيرة عند الملك الفونسو السادس وفى رواية أخرى انها فرت من قرطبة بعد مقتل زوجها المأمون بن المعتمد إلى الفونسو ، ولمزيد من التفاصيل أنظر :

ليفى بروفنسال ، الاسلام فى المغرب والاندلس ، القاهرة سنة ١٩٥٦ م ، ص ١٥١ - ١٦٤ .

٥١ - David , Etudes historiques , p . 362 .

كان ابنا لحاكم قلعة برج الغرب Torres del oeste وكان شابا وقسيسا تمكن من جذب صداقة الكونت الجديد لجليقية ريموند البورجونى ، فعمل سكرتيرا وكاتبا خاصا له ، وفى سنة ١٠٩٤ أصبح ديجو وكيلا لأسقفية كومبوستلا وله دور رئيسى فى كثير من الأحداث التالية وفق ماسيتضح فيما بعد .

Lozoya , op . cit . , p . 411 .

٥٢ - هو أخ للكونت ريموند البورجونى وسوف يشغل منصب البابوية تحت أسم كلستين الثانى (١١٢٤ م / ٥١٨ هـ) .

٥٣ - Livermore , portugal , pp . 31 - 32 ; Lafunte , M , Historia general de España T1 , Barcelona 1879 , p . 318 .

٥٤ - المقصود بكلمة الكنوز تلك الذخائر والمقتنيات الثمينة التى سلبها الملك الفونسو السادس من أهالى مدينة طليطلة عام ١٠٨٥ بعد أن سيطر عليها وحفظها فى الكاتدرائية .

٥٥ - انظر : نصوص وثيقة الاتفاق والتعليق عليها فى :

Azevedo , Data critica , pp . 539 - 552 ; CF . also : Defourneaux , op . cit . , p . 198 ; Reilly , under urraca , p . 27 .

٥٦ - Anales Toledanos , C . L . R . T1 , P . 343 ; CF . also : Herculano , op . cit . , T1 pp . 275 - 276 ; Bosch , op cit . , p . 162 .

٥٧ - Reilly , B . F , The Kingdom of Leon - Castilla under King Alfonso VI , 1065 - 1109 , p 299 .

٥٨ - بالبحث فى كتب التراجم التى اطلعنا عليها لم نعثر على معلومات عنه وقد أشار ابن الكرديوس

إلى أن على بن الحاج قد خرج بجيش المرابطين من قرطبة وبالبحث فى كتاب مفاخر البربر ووجدت إسم أحد ولاة قرطبة يدعى ابن عبد الله ابن الحاج ووجدت أيضا اسما لأحد ولاة غرناطة يدعى الأمير على بن الحاج ويبدو أنه أحد قواد المرابطين آنذاك . أنظر : مؤرخ مجهول مفاخر البربر ، تحقيق ليفى بروفنسال ، الرباط سنة ١٩٣٤ م ، ص ٨١ - ٨٢ .

٥٩ - أشار ابن الكرديوس إلى ذلك بقوله " ثم خرج على بن الحاج من قرطبة ، وفى صحبته ابن سيحون فى عسكر ضخم غازين نحو جهة قشتالة ، فلقيهما الرنك بجموعه الغزيرة ، فأوقعوا به وقعة مبيرة وقرقروا الظليم بكل مكان " تاريخ الأندلس ، ص ١١١ .

انظر تفاصيل أيضا فى :

Cesar , op . cit . , p . 19 .

٦٠ - لم نجد فى المصادر العربية ذكرا لهذين الحدثين ولكن أشارت اليهما مدونة برتغالية ، ومن المعروف بأن المسيحيين عندما كانوا يستولون على المدن الإسلامية كان بعض الأهالى المسلمين يبقون تحت الحكم المسيحى ويمارسون شعائرهم ، وكان الملوك المسيحيون يستفيدون بهم فى كثير من الأمور الخاصة بالزراعة والصناعة والعمارة وكثيرا ماكانوا يتمردون ، ضد الحكم المسيحى ،

أنظر المدونة البرتغالية : Brandão , op . cit . , p . 101 .

٦١ - Herculano , op . cit . , T1 , p . 279 ; Beirão , op . cit . , p . 8 .

٦٢ - Duarte , op . cit , pp . 28 - 30 , CF also : Benevides , op . cit p . 63 . ; Serrão op . cit . p . 77 ; Stephens , op . cit , p . 21 .

٦٣ - Navarrete , M . F . Españoles en las cruzadas , Madrid 1986 , pp . 32 - 33 .

الواقع أن المصادر اللاتينية والعربية لتاريخ الحروب الصليبية لم تشر إلى هنرى البورجونى أو عمل من الأعمال الحربية التى ذكر أنه قد أداها فى الشام .

٦٤ - عندما بدأت دعوة البابا أوربان الثانى فى وقر كليرمونت سنة ١٠٩٥م للحروب الصليبية فانه منع اشتراك الأسبان وتعاقبت قرارات البابوات بهذا المضمون .

Brirão , op , cit , Loc , cit . , Herculano , op , cit . T1 , p . 279 ; Lafuente , op . cit . , 352 .

انظر أيضا عبد القادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ، بيروت سنة ١٩٦٩ ، ص ٤٨ أشباخ ، ج ١ ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .

٦٥ - حقيقة أن هنرى لم يكن أسبانيا ولكنه كان حاكما لاقليم أسبانى ومتزوجا من ابنة الملك الفونسو السادس .

٦٦ - Bishko , count Henrique , p . 172 ; Marques , op . cit . , p . 38 .

٦٧ - Primera Cronica General de España , pp . 650 - 651 ; CF . also : La-

fuente , op . cit . , p . 352 .

٦٨ - Historia Compostelana , E . S . , T 20 , p . 64 ; Sandoval F . p . Historia de los Reyes de Castilla y de leon Pamplona 1634 , p . 97 .

٦٩ - بعد أن تولى على بن يوسف حكم دولة المرابطين فى سنة ٥٠٠ / ١١٠٧ م ، أخذ على عاتقه شن الهجمات ضد الممالك المسيحية باستئناف القتال فولى أخاه الأكبر أبو الطاهر تميم ولاية الأندلس والذى توجه فى إحدى حملاته إلى حصار قلعة أقليش ، فأسرع الملك الفونسو السادس بارسال جيش كبير ومعهم ابنه سانشو ولى العهد ولديه حينئذ من العمر إحدى عشر سنة تشجيعا لجنوده ، ولكن كانت هزيمة القشتاليين ومقتل الأمير سانشو فى سنة ١١٠٨م / ٥٠١ هـ .

ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٤٨ ، ابن القطان ، نظم الجمان ، تحقيق محمود على مكى ، تطوان ، ص ٥ - ٩ ، السلاوى ، ج ٢ ، ص ٥٧ .

Anales Compostelanos , C . L . R . T 1 , p . 71 ; Anales Toledanos C.L.R. T1 p. 344. ويشير بعض المؤرخون أن بعض النبلاء قد خططوا لتعريضه للخطر للتخلص منه

أشباخ ، ج ١ ص ١٤١ ، عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية ، ص ٨٦ - ٨٧ .

Reilly , under urraca , p . 51 .

٧٠ - Cronica Latina de los Reyes de Castilla , p . 3 ; CF , also : Lacarra , J . m . Histria politica del Reino de Navarra , Vol . 3 Aranzadi , 1979 , p . 300 .

٧١ - Zurita , J , Anales de la corona de Aragon , T1 , Zaragoza 1976 , p . 116 .

أشباخ ، ج ١ ، ص ١٤١ .

٧٢ - Rodrigo , Historia de los hechos de España , p . 267 ; CF . also : Sandoval , op . cit . , p 99 ; Zurita , op . cit . , p . 117 .

٧٣ - Cronicas Anóimas de Sahagun , Zaragoza 1987 , pp . 38 - 39 ; CF . also : Peres , op . cit . , p . 94 .

٧٤ - Anales Toledaños , C . L . R . Tl , p . 344 , Anales Complutenese, C . L . R . , Tl , p . 51 .

٧٥ - Callaghan , A history of Medieval Spain , p . 216 .

٧٦ - Carlos , Crónica de los Reyes de Navarra , Pamplona , 1843 , P . 88 Brandão , op . cit . , p . 129 , CF . also : Castro , A , La realidad Historica de España , Mexico 1987 , p . 305 .

أشباخ ، ج ١ ، ص ١٥٨ .

٧٧ - Lacarra , Dos documentos interesantes Para la histoia de portugal ,
R . P . H . , T3 Comibra 1947 , p . 291 .

أشباخ ، ج ١ ص ١٥٨ .

٧٨ - Rodrigo , Historia de los hechos de España , p . 265 ; CF

٧٩ - Herculano , op . cit . , Tl . p . 293 ; Suarez , op . cit . , p . 210 .

٨٠ - ويتضح ذلك من أنه بعد نشوب الحرب توجه إلى فرنسا للبحث عن المساعدات وجمع الفرسان لأجل تحقيق مشاريعه ولكنه فشل فى مهمته وعاد بعدد قليل من الفرسان لينتظر عروض كل من الطرفين من أجل الانضمام إلى أحداهما دون الآخر .

Corincas anonimas de Sahagun . p . 39 ; CF also : Reilly , under Urraca , p . 76 ; Livermore , A new history of portugal , p . 45 .

٨١ - ابن الكرديوس ، ص ١١٧ ، راجع أيضا :

Lacarra , Alfonso El Batallador , Zaragoza 1978 , p . 42 .

المستعين بالله الثانى أحمد بن هود أحد ملوك الطوائف عند عبور المرابطين إلى الأندلس ودخل فى طاعتهم واعتبروه حاجزا بين المرابطين والمسيحيين ولمزيد من التفاصيل أنظر : ابن عذارى ، ج ٤ ، ص ٥٢ ؛ ابن الكرديوس ص ٨٩ - ٩٢ ، النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٢٢ ، ص ١٦٩ ، عنان : عصر المرابطين والموحدين ، جـ ١ ، ص ٨٨ .

٨٢ - Lozoya , op . cit . , p . 417 .

أشباخ ، ج ١ ، ص ١٦١ .

٨٣ - Herculano , op . cit . , Tl , p .304 ; Suarez , op . cit . , p . 211 .

٨٤ - Cróincas anónimas de Sahagun . p . 39 ; CF also : Reilly , under Urraca , p . 76 ; Livermore , A new history of portugal , p . 46 .

حدثت محاولات من الكونت / بدرو / دى لارا من أتباع الملكة مع الكونت هنرى من أجل انضمامه إلى جانب الملكة ولكن يبدو أن عرضهم لم يغريه بذلك .

Paez , op . cit . , pp . 89 - 90 CF also : Suarez , op . cit . p . 210 .

٨٥ - Corincas anonimas de Sahagun . p . 42 . Brandão , op . cit . , p . 129 . CF . also , Lacarra , Alfoso , El Batallador , p . 50 .

٨٦ - ناقض المؤرخ لاكار Lacarra نفسه فى تحديد تاريخ هذه المعركة فى مؤلفين من مؤلفاته فذكرها مرة فى بحثه « وثيقتين هامتين فى تاريخ البرتغال » فى ٢٦ أكتوبر سنة ١١١٠م وأيده فى ذلك بعض المؤرخين راجع :

Lacarra , Dos documentos , p . 296 ; Suarez , op . cit . , p . 211 , Livermore , A new history of portugal , p . 46 .

ثم عاد لاكارا مرة أخرى فى مؤلفاته عن الفونسو المحارب وذكرها فى ٢٦ أكتوبر سنة ١١١١ م .

Lacarra , Alfonso El Batallador , p . 50 : CF . also : Reilly , under urraca p . 74 .

وأننا نؤيد التاريخ الثانى ونجد أن معظم المصادر قد ذكرها فى سنة ١١١١ م .

٨٧ - Rodrigo , Historia de los hechos de España , pp . 267 - 268 . : Zurita , op . cit . , p . 123 ; Brandão , op . cit . , p . 130 :

Anales Complutenses , C . L . R , Tl , p. 71 .

٨٨ - بورجوس هى مدينة برغش وقد أشار اليها الحميرى بقوله « برغش فى بلاد الروم بالقرب من مدينة ليون ، وهى مدينة كبيرة يفصلها نهر وهى حصينة منيعة ذات أسواق وتجار وعدد وأموال " الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، القاهرة سنة ١٩٢٧ ص ٤٤ .

٨٩ - هى أحدى القلاع التى انتشرت فى أراضى ليون ، ونتيجة لطبيعة الحروب كانت تؤسس القلاع العديدة فى نقاط متقاربة لصد الهجمات .

٩٠ - Zurita , op . cit . , p . 123 ; CF . also : Lacarra , Alfonso El Batallador , p . 50 ; Reilly , under Uraca , p . 74 .

٩١ - Crónicas anónimas de Sahagun , p . 40 ; CF . also : Lacarra Alfonso El Batallador ; p . 51 .

٩٢ - قد عثر المؤرخ لاكارا فى أرشيف دير سان خوان دى لابينيا San Juan de la peña على وثيقة هذه الاتفاقية . أنظر : الوثيقة فى : Lacarra , Dos docoumentos , p . 302

٩٣ - يشير إليها الحميرى بقوله « بالأندلس أيضا ، بينها وبين وادى الرمل خمسة وثلاثون ميلا وهى أقصى ثغور المسلمين وباب من الأبواب التى يدخل منها إلى أرض المشركين وهى قديمة أزلية على نهر تاجة ، وهى مدينة كبيرة وقلعتها أرفع القلاع حصنا ... وبينها وبين طليطلة سبعون ميلا » . أنظر الحميرى : المصدر السابق ص ١٢٧ - ١٢٨ .

٩٤ - تقع بالأندلس بالقرب من ماردة وبينها وبين قنطرة السيف مرحلتان ولها سور منيع وهى أولية البناء ، واسعة الفناء من أحصن المعاقل " راجع الحميرى ، المصدر السابق ص ١٦٤ .

٩٥ - أشار الحميرى إليها بقوله « مدينة بالأندلس فى جوفى وشقة وبين الجوف والشرق من مدينة سرقسطة ويطيف بجنات تطلية نهر كالش وهى من أكرم تلك الثغور تربة ، يحوز زرعها ويدر ضرعها وتطيب ثمرتها ، وتكثر بركتها " . الحميرى ، المصدر السابق ص ٦٤ .

٩٦ - Lacarra , Dos docoumentos , pp . 295 - 296 . Lacarra, Alfonso El Batallador , p . 51 .

٩٧ - ومنح ممتلكات جبال اوكا إلى ديجو بيرموديز حفيد السيد الكمبيادور (الكنبيطور) والذى أقسم له يمين الولاء والطاعة . Lacarra , op . cit . , p 292.

٩٨ - Crónicas anónimas de Sahagun , p . 41 ; CF . also : Livermore , A new history of portugal , p . 46 .; Reilly , under urraca p . 75 .

٩٩ - وأشارت مدونة ساهاجون فى نفس الوقت على أن اتباع وفرسان دونيا تريزا البرتغاليين قد دعوها منذ تلك اللحظة بالملكة

Crónicas anónimas de Sahagun , p . 41 ; CF . also : Lacarra, Alfonso El Batallador , pp . 51- 52 .

١٠٠ - Crónicas anónimas de Sahagun , p . 41 ; Zurita , op . cit . , p . 121

١٠١ - Crónicas anónimas de Sahagun , p . 42 .

١٠٢ - Ibid .

١٠٣ - Lacarra , Dos documentos , p . 29.

هذه الأراضى تدخل ضمن الممتلكات المتفق عليها بين هنرى والملكة أوراكا .

١٠٤ - Crónicas anónimas de Sahagun , p . 49 ; CF . also : Lacarra , Alfonso El Batallador , pp . 52 ; Suarez , op . cit . , p . 211 .

١٠٥ - زعيم الحزب الجليقى والوصى على الأمير الصغير الفونسو ريمونديز ابن الملكة أوراكا ، وهو من العائلة المرموقة فى جليقية آل ترابا وابنه فرديناند بيريز عشيق دونيا تريزا .

١٠٦ - Zurita , op . cit . , p . 121 ; CF . Also : Lacarra , Dos documentos , p . 296 .

لم توضح المصادر معلومات أكثر من ذلك عن هذا الحصار .

١٠٧ - Livermore , A new history of portugal , p . 46 .

١٠٨ - Chapman . A history of Spain , p . 74 .

١٠٩ - Lacaeea : Alfonso El Batallador , pp . 53 ; Herculano op . cit . Tl , p . 305 .

١١٠ - تعتبر تلك الفترة من أظلم فترات المنطقة بسبب تشابك الأحداث وتعدد الأطراف المتنازعة فضلا عن ندرة المصادر من ناحية ، وقلة المعلومات الواردة من ناحية أخرى ، مما جعلت أحداثها يكتنفها الغموض والتشويش وعدم التسلسل الزمنى .

١١١ - Livermore , A new history of portugal , p . 46 .

١١٢ - Lacarra , Alfonso El Batallador , p . 54 .

١١٣ - Historia Compostelana , E . S . , T 20 . pp . 139 - 141 ; Rodrigo ,

Historia de los hechos de España , p . 266 .

١١٤ - أشباخ ، ج ١ ، ص ١٦١ .

١١٥ - هو ابن يوسف بن تاشفين ، تولى حكم المرابطين بعد وفاة أبيه فى المحرم ٥٠٠ هـ ، سبتمبر ١١٠٦ م) وكان مثل أبيه يتصف بالهمة والذكاء والعزم والرغبة فى السير على منهج أبيه فى الحكم .

ابن عذارى ، البيان ، ج ٤ ، ص ٤٨ ، الحلل الموشية ، ص ٦٩ - ٧٠ ؛ النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٢٢ ، عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، ج ١ ص ٥٧ - ٥٨ . ولمزيد من التفاصيل عن مشروعاته فى الأندلس أنظر بحث ويثى ميرانده بكامل صفحاته عن على بن يوسف ومشاريعه فى الأندلس .

Huici , Ali Ben Yusuf sus Empresas el Andalus

١١٦ - Bosch , op . cit . , p . 187 .

١١٧ - أشباخ ، خ ١ ، ص ٢٥١ ، راجع أيضا : Peres , op . cit , p . 100 .

١١٨ - ابن أبى زرع ، ج ٢ ، ص ٨٥ ، السلاوى ، ج ٢ ، ص ٥٩ .
أنظر أيضا :

Anales Toledanos , C . L . R . T 1 , p . 344 ; Cesar ; op . cit . p 22 .

١١٩ - ابن أبى زرع ، ج ٢ ، ص ٨٥ ، ٨٦ ، السلاوى ، ج ٢ ، ص ٥٩ .

اعتادت كتابات ابن أبى زرع والسلاوى فى كتابيهما المذكورين الخلط فى الأحداث فجاء على سبيل المثال ما ذكره كل منهما بأن المرابطين أستولوا على برتقال ولشبونة عام ٥٠٤ هـ وهذا خطأ لأن المدينة الأوي المقصود بها Porto وهى فى شمال كونتية البرتغال ولايمكن أن يكون المرابطين قد وصلوا إليها أما بالنسبة لمدينة لشبونة فكانت فى أيدى المرابطين منذ الاستيلاء عليها من بنى الأفطس عام ١٠٩٤ م / ٤٨٧ هـ .

١٢٠ - ابن بلقين ، مذكرات الأمير عبد الله ، ص ١٧٤ ، ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج ٤ . ص ٤٦ - ٤٧ .

١٢١ - ذكرت الحوليات البرتغالية بأن سقوطها كان فى ٩ يونيو ١١١١ م .

Summa Chronicorum , A . p . , R . P . H . , T 3 , p . 108 ; paez , op . cit . , p . 39 ; CF . also : Rilly , under Urraca , pp . 64 - 65 .

١٢٢ - ويتضح وصف ذلك الحصار من خلال الرسالة التى أرسلها سير بن أبى بكر إلى أمير المسلمين على بن يوسف والذى يصف الاستيلاء عليها ، بأن المرابطون هاجموها أو لا فاستعصت عليهم فضربوا حولها الحصار حتى سلمت وقتل من حاميتها عدد كبير ، واستسلم الباقون وأسروا سائر من بها وأنها من أعظم قلاع الغرب وأكثرها مواردا لوقوعها فى بسيط وافر الخصب . المراكش ، المعجب ، ص ٢٢٨ - ٢٣٢ ، عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ج ١ ، ص ٧٠ . Bosch , op . cit., p. 188

١٢٣ - paez , op . cit . , p . 93 ; CF . also : Cesar , op . cit . , p . 22 .

١٢٤ - Rodrigo , Historia de los hechos de España , p . 292 ; Lucas , cron-

ica de España , p . 391 ; Chronicon Lusitano E . S . , T 14 , p 407 ;
Brandão , op . cit . , p . 153 ; Sandoval op . cit . , p . 122 . CF , also : Livermore , portugal , p . 32 .
وقد اختلفت الروايات فى تحديد تاريخ وفاته فالبعض ذكرها فى ١ نوفمبر ١١١٢ م Denis , op . cit
p . 7 , . والبعض الآخر أشار إليها فى ١٢ مايو ١١١٢ م . peres , op . cit . , p . 105 .
والبعض الثالث أوردها ضمن أحداث عام ١١١٤ م ....

Ballesteros , op . cit . , p . 83 ; Stephens , op . cit . , p . 24 .
١٢٥ - Zurita , op . cit . , p . 208 ; SAndoval , op . cit . , p . 122 ; CF , also : Denis , op . cit , Loc cit .
١٢٦ - Stephens op . cit . , Loc cit .
١٢٧ - يصف لوقا التوى بأنه قد حُم ومرض بمرض ساعد فى تعفن لحمه ثم دفن فى كاتدرائية براغا

Lucas , Cronica de España , p . 391 .
١٢٨ - Zurita , op . cit . , p . 208 , CF . also : Stephens , op , cit Loc cit Livermore , A new history of portugal , p . 46 .
١٢٩ - كانت اجنيس (أنييس) بنت جيوم السادس دوق جويانه وبواتييه تمثل أول زوجاته منذ بداية حكمه من سنة ١٠٧٩ م ، ثم تزوج الملكة كونستانس البورجونية من سنة ١٠٨٠ حتى سنة ١٠٩٣ م وانجب منها الدونيا أوراكا زوجة الكونت ريموند البورجونى ثم الفونسو المحارب من بعده ، أما الزوجة الثالثة فكانت برتا ظلت معه ست سنوات من عام ١٠٩٣ إلى سنة ١٠٩٩ ، والرابعة يزابيلا فقد أنجب منها ابنتين هما سانشا زوجة الكونت رودريك ، والفيرا زوجة روجر ملك صقلية وظل معها طول الفترة الممتدة من ١٠٩٩ - ١١٠٨ أما بياتريس ابنة دوق وستا وتوسكانيا كانت الزوجة الشرعية الخامسة تزوجها من عام ١١٠٨ وظلت معه حتى وفاته ١١٠٩ ولم ينجب منها أولادا :

Rodrigo , Historia de los hechos de España , p . 245 .
ولمذيد من التفاصيل عن تلك الزوجات أنظر :

Florez , H , Memorias de las Reynas catholicas , T 1 pp . 165 - 185 .
١٣٠ - أنظر ماسبق ص ٤٥ من هذا البحث .
١٣١ - Rodrigo , Historia de los hechos de España , p . 245 ; Duarte , op . cit . , p . 13 .
أنظر أيضا أشباخ ، المرجع السابق ج ١ ص ١٣٩ - ١٤٠ .
١٣٢ - Brandão , op . cit . , p . 69 - 70 ; Duarte : op . cit , Loc . cit
١٣٣ - Rodrigo , Historia de los hechos de España , p . 245 , Chronica del

obispo de Oviedo D . pelayo , C . R . A . L . P . 180 ; Sandoval , op . cit . , pp . 83 - 84 , CF , also : Herculano op . cit . , p . 270 ; Benevides , op . cit . , p . 60 .

قد أرجع فلورز نسب خيمينا نونيز إلى الملك برمود الثانى ملك ليون (٩٨٢ - ٩٩٩ م / ٣٧١ - ٣٨٩ هـ)

Florez Memorias de las Reyans catholicas , pp . 185 - 190 .

١٣٤ - Stephens , op . cit . , p . 22 .

١٣٥ - Ibid .

١٣٦ - Benevides , op . cit . , p . 65 ; Stephens , op . cit . , p . 25 .

١٣٧ - أشباخ ، ج ١ ، ص ١٦٢ -

١٣٨ - Reilly , under Urraca , p . 84 .

١٣٩ - Galindo , Tuy en la baja , Eded Media , Siglos , XII - XV Madrid , 1950 , p . 19 .

١٤٠ - عنان ، المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٤٨٣ .

١٤١ - كان هذان الملكان حفيدى سانشو الكبير والذى كان من أبنائه فرديناند الأول والد الفونسو السادس كما أن راميرو الأول ابن سانشو الكبير قد أنجب رجل اسمه سانشو أيضا وهو والد الفونسو المحارب .

Carlos , Cronica de los Reyes de Navarra , pamplona 1843 , p . 88 ;

CF . also : Callaghan , A history of Medieval Spaina , p . 216 .

١٤٢ - Crónicas anónimas de Sahagun , p . 62 .

ويرجع سبب العداء بين الأختين إلى غيرة تريزا من أختها أوراكا ملكة قشتالة ، التى تعتبر نفسها صاحبة السيادة على البرتغال ، والبرتغاليون يرفضون ذلك الأمر بشدة مما جعل تريزا ترى نفسها بأنها ليست أدنى مرتبة من أختها ولذلك كانت تبذل قصارى جهدها لتأسيس كونتية البرتغال لتكون مستقلة عن قشتالة ، وذلك ماكانت تسعى أوراكا إلى عدم تحقيقه استجابة لوصية الفونسو السادس من خضوع البرتغال التام لملوك قشتالة وليون ...

١٤٣ - Idem , pp . 62 - 63 ; CF , also : Lacarra , Alfonso El Batallador , p . 60 ; Suarez , op . cit . , p . 213 .

١٤٤ - Lafuente , op . cit . , p . 320 .

١٤٥ - عنان ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٤٨٣ .

١٤٦ - Lafunte , op . cit . , p . 352 ; Mattoso , História de portugal , p . 59

; Ballesteros , op . cit . , p . 383 ; Trend , op . cit , p . 58 ; Feige , op . cit , p . 142 .

ويبدو أن البابا باسكوال الثانى قد وافق على منحها لقب ملكة بدليل أنه أرسل إليها خطابا فى ١٨ يونيو سنة ١١١٦ م / ٥١٠ هـ ينعتها ملكة وليست أميرة .

Reilly , under Urraca , p . 117 .

١٤٧ - Historia Compostelana , p . 216 ; Zurita , op . cit . , p . 128 , CF . also : Livermor , A new history of Portugal p . 47 .

١٤٨ - Chronicon Lusitano , E . S , T 14 , p . 407 ; Brandão , op . cit , p . 166 ; paes , op . cit . , pp . 94 - 95 ; CF , also : Livermore , A new history of prtugal , p . 47 ; Cesar , op . cit . , p . 24 ; Durand , op . cit , op . 32 ; Benevides , op . cit , p . 67 ; Herculano , op . cit . , T 1 , pp . 338 - 339 ; Ballesteros , op . cit . , p . 383 .

١٤٩ - كان قائد المرابطين فى غرب شبه الجزيرة بعد وفاة سير بن أبى بكر هو مزدلى والذى كان له نشاطه حول طليطلة وقتل فى عام ١١١٤ م / ٥٠٧ هـ على يد رود ريجو نونيز حاكم وادى حجارة وخلفة فى القيادة ابنه محمد بن مزدلى ولم يثبت أنه قام بتلك الحملة : ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٥١ ، السلاوى ، الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٥٩ ، أشباخ ، ج ١ ، ص ١٤٩ .

١٥٠ - عنان : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٦٩ - ٧٧ .

Bosch , op . cit . , pp . 190 - 192 .

١٥١ - بالبحث والدراسة اتضح أن كل المؤرخين المتخصصين فى تاريخ المرابطين لم يشيروا إلى هذه الحملة على اعتبار أنها غير حقيقية .

Huici , Ali B Yusuf , p . 95 ; Bosch , op . cit . , pp . 185 - 195 .

١٥٢ - كان هذا هو الجواز الثالث لعلى إلى الأندلس ولكن ابن أبى زرع ذكر بأنه الجواز الثانى ووضعها فى ٥١٣ هـ / ١١١٩ م .

الأنيس المطرب ، ج ٢ ، ص ٨٩ - ٩٠ .

أما السلاوى فى الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٦١ وضعها فى ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م .

١٥٣ - Huici , Ali B . Yusuf , p . 95 .

١٥٤ - تشير مدونة لوزيتانيا بأنهم أعداد كبيرة لاتحصى وكانوا مثل رمال البحر .

Chronicon Lusitano , E . S , T 14 , p . 407 .

١٥٥ - ابن عذارى ، البيان ، ج ٤ ، ص ٦٤ ، عنان ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٨٠ أنظر أيضا :

Huici . Ali B . Yusuf , Loc . cit .

١٥٦ - Chronicon conimbricense , E . S . , T 23 , p . 331 ; Brandão op . cit p . 176 ; Duarte , Chronica del rei D Alfonso Henriques , p . 53 .

١٥٧ - Durand, op . cit . , p . 32 ; Benevides , op . cit . , p . 67 .

١٥٨ - Livermor , portugal , p. 33

١٥٩ - Chronicon conimbricense , E . S . , T 23 , p . 331 ; Recension breve continuee jusque , A . p . , R . P . H . , T 3 , Coimbra 1947 , p . 108 .

١٦٠ - اختلف المؤرخون فى تاريخ الحصار ، فمنهم من ذكره ضمن أحداث ٢٢ يونيو سنة ١١١٧م والموافق ١٨ صفر سنة ٥١١ هـ .

عنان : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٨١ .

بينما أشارت المدونات المسيحية البرتغالية إلى بدء الحصار فى أواخر شهر المحرم ٥١١ هـ ، مايو ١١١٧م لأنه من الطبيعى أن يستغرق الحصار على الأقل مدة شهر ونصف وذلك فإنه بدأ حصاره فى يوليو وأواخر ربيع الأول وقد اتفق مع ذلك ويثى ميرانده ،

Huici , Ali B Yusuf , p . 95 .

أما المؤرخ أشباخ فقد جانبه الصواب فى ذكر تاريخ هذه الغزوة حيث وضعها فى ١١٢١م / ٥١٥ هـ ، أشباخ ، ج ١ ، ص ٢٥٢ .

١٦١ - ابن عذارى ، البيان ، جـ ٤ ، ص ٦٤ أنظر أيضا :

Jan Read , op . cit . , p . 155 ; Stephens , op . cit . , p . 28 .

١٦٢ - وقد جاء ذلك على لسان السلاوى ضمن حوادث ٥١٤ هـ / ١١١٧م . قائلا " ثم سار أمير المسلمين حتى نزل على مدينة شنتمرية ففتحها عنوة وسار فى بلاد الفرنج يقتل ويسبى ويقطع الثمار يخرب القرى والديار حتى دوخ ببلاد غرب الأندلس وفر أمامه الفرنج وتحصنوا بالمعاقل المنيعة وعاد إلى العدوة " .

السلاوى ، الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٦١ .

أما ابن أبى زرع فى كتابه الروض القرطاس ، ج ٢ ، ص ٨٩ - ٩٠ قال :

" فى سنة ٥١٣ هـ ، فجاز إلى الأندلس برسم الجهاد وإصلاح أحوال بلادها وضبط ثغورها وهو جوازه الثانى ... ثم ارتحل إلى بلاد شنتمرية فنزل عليها حتى فتحها عنوة وسار فيها غازيا يقتل فى بلاد الغرب ويسبى ويقطع الثمار ويخرب القرى والديار حتى دوخها وفر أمامه الروم وتحصنوا بالمعاقل المنيعة"

أما صاحب الحلل الموشية ، ص ٧٠ فيشير فى سنة ٥١١ هـ

" فتح فيها مدينة قلمرية ودوخ بلاد الشرك بجيوش لاتحصى وكان أثره بها عظيما " .

١٦٣ - ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٦٤ أنظر أيضا :

Huici , Ali B . Yusuf , Loc . cit .

١٦٤ - Bishko , The cleniac , p . 329 .

أشباخ ، ج ١ ، ص ١٦٥ .

١٦٥ - Stephens , op . cit . , p . 30 .

١٦٦ - Ibid .

١٦٧ - Sandoval , op . cit . , p . 130; paez , op . cit . , pp . 98 - 99 ; CF . also : Nowel , portugal , p . 26 ; payne , op . cit . , p . 116 .

١٦٨ - Brandão , op . cit . , p . 156 ; Basto , Cronica de cinco Reis de portugal p . 53 ; Zurita , op . cit . , p . 209 .

وقد أشار المورخ Nowel أن الزواج بينهما عقد فى السر . راجع :

Nowel . op . cit . Loc cit .

١٦٩ - Benevides , op . cit . , pp . 71 - 72 ; Reilly , under Urraca , p . 153 .

١٧٠ - Brandão . op . cit . , p . 159 .

١٧١ - Sãores , T . S . Intervenção da Infanta - Rainha D . Tresa na genese do Estado portugues , 850 , Aniversario da Batalha de São Mamede ,Lisboa 1981 , p . 68 ; Cesar , op . cit ., p . 26 ; Benevides , op . cit . , p 68 .

١٧٢ - Basto , op . cit . , p . 53 ; paesz , op . cit . , p . 99 ; CF .also : Stephens , op . cit , . p . 29 .

١٧٣ - سبق أن منحتها إلى أختها الدونيا تريزا فى سنة ١١١٦ م فى مقابل التحالف معها ضد زوجها الملك الفونسو المحارب .

١٧٤ - Historia Compostelana , E . S . , T 20 , pp . 324 - 325 .

١٧٥ - Benevides , op . cit . , p . 68 ; Canovas , A . C . Historia general de España , Madrid , 1893 , p . 231 .

لانوسو إحدى القلاع المنتشرة على خط نهر المنهو .

١٧٦ - Cesar , op . cit . , p . 26 .

لم توضع لنا المصادر مضمون تلك الاتفاقات السرية .

١٧٧ - Historia Compostelana , E . S . , T 20 , 323 ; CF . also : Cesar , op . cit . , Loc cit . Stephens , op . cit . ,p . 29 .

١٧٨ - Saores , Intervenção , p . 59 . Stephens , op . cit . , Loc cit .,

١٧٩ - Herculano , op . cit . , T 1 , p . 358 ; Benevides , op . cit . , p . 68 ; Cesar , op . cit . , p . 26 .

١٨٠ - Canovas , op . cit .p , 231 , Ballesteros , op . cit., p . 383 .

عنان ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٤٨٥ .

١٨١ - Historia Compostelana , E . S . , p . 329 ; CF . also : Cesar , op . cit- . , Loc cit .

١٨٢ - كان وفاة البابا باسكوال الثانى عام ١١١٨م / ٥١٢ هـ وتولية كالستين الثانى عاملا هاما فى خدمة قضية الأمير الفونسو ريموندیز والحزب الجليقى ضد والدته أورّاكا لأن البابا الجديد كان عم هذا الأمير ورئيس الدير الكولونى المدعو هيو

Historia Compostelana , E . S . , T 20 . p . 270 .

١٨٣ - Historia Compostelana , E . S . , T 20 , pp . 330 ; 335 ; CF . also : Cesar , op . cit . , p . 27 .

عنان ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٤٨٥ .

١٨٤ - Historia Compostelana , E . S ., T 20 , p . 432 ; Zurita , op . cit . p . 160 ; CF , also : Codera , op . cit . , p . 23 .

١٨٥ - Saores , Intervenção , p . 60 .

١٨٦ - Camara pina , L . , A Batalha de São Mamede , 850 Aniversario de Batalha de São Mamede , Lisboa , 1981 , p . 25 .

١٨٧ - Livermore , A new history of portugal , p . 48 ; Camara pina , op . cit . , Loc cit .

أشباخ ، ج ١ ، ص ١٦٩ .

١٨٨ - Lacarra , Alfonso El Batallador , p . 94 .

١٨٩ - La Cronica de Alfonso El Emperador , C . L . R . , T 2 . per- perando por Huici , p . 181 ; CF . also : pidal , El Imperio , p . 143 ; Reilly , under Urraca , p . 180 .

١٩٠ - Filemen de la Cuesta , Reyes Leoneses , Leon 1958 , p . 249 .

١٩١ - La Separacion de potugal , p . 6 .

١٩٢ - Historia Compostelana , E . S . , T 20 , p . 463 ; CF . also : Bishko , The Cluniac priories , p . 332 ; Benevides , op . cit . , p . 69 ; Stephens , op . cit . , p . 30 .

١٩٣ - La Cronica de Alfonso El Emperador , p . 177 ; Sandoval op . cit . , p . 130 ; CF . also : Manuel , Historia de Alfonso VII , p . 8 ; Herculano , op . cit . , T 1 , p . 374 .

١٩٤ - هى قلعة قوية أمرت بانشائها الكونتيسة مومادونا Mumadona عمة دون راميرو الثانى

ملك ليون فى سنة ٩٢٧ م وهى مقامة بأعلى هضبة بحيث تشرف على وادى ، ولاقلعة محاطة بالأسوار العالية ، بها سبعة أبراج أنظر :

Benevides , op . cit . , p . 73 .

أما سبب إنشاء القلعة ، فقد أتى أحد رجال الدين والمدعو القديس ماميدو S . Mamede إلى هذا المكان وأقام كثيرا من المعابد والأبراج حملت أسمه للدفاع عن الدير الذى أسس فى جوئمارس فأمرت مومادونا بانشاء القلعة والتى تدعى São Mamede .

Camara pina , op . cit . , p . 51 .

١٩٥ - Galvão , D , Chronica del Rei D . Alfonso Henriques , Lisboa 1906 , p . 55 .

١٩٦ - Brandão , A . Monarquia Lusitana , perte 3 , Lisboa , 1973 , p . 96 ; Sandoval , op . cit . , p . 141 ; Basto , op . cit pp . 56 - 57 ; CF , also ; Cesar , op . cit . , p . 28 .

١٩٧ - Chronicon Lusitano , E . S . , T 14 pp . 408 - 409 ; CF . also : Sergio , A Berve interpretação de história de portugal , p . 14 ; Beieão , op . cit . , p . 10 .

١٩٨ - Brandão , Cronica do conde D . Henrique , p . 201 ; CF . also : Denis , op . cit . , p . 7 .

١٩٩ - Camara pina , op . cit . , p . 27 .

٢٠٠ - Stephens , op . cit . , p . 31 .

٢٠١ - Cronica dos Godos , Apendice Brandão , Cronica do conde D . Henrique , p . 267 ; paes , op . cit . , p . 99 ; CF . also : Saraiva , op . cit . ,p . 43 .

٢٠٢ - Cronica dos Godos , p . 267 ; Chronicon Lusitano , E . S . , T . 14 , p . 409 ; CF . also : Camara pina , op . cit . , pp . 30 - 31 .

٢٠٣ - اعتبر بعض المؤرخين أن هذه المعركة ثورة ضد السيطرة أو التسلط الأجنبى الجليقى راجع:

Mattoso , J . portugal Medieval , Coimbra , 1984 , pp . 171 - 172 .

٢٠٤ - Brandão , Cronica do conde D . Henrique , p . 201 ; paez , op . cit . , p . 99 , CF . also : Livermore , A new history of portugal , pp . 48- 49 ; Suarez , op . cit . , p . 22 .

٢٠٥ - Saores , op . cit . , pp . 63 - 64 ; Cesar , op . cit . , p . 29 .

٢٠٦ - Silva , cronicas dos sets primeiros Reis de portugal VI , Lisboa 1952 , pp , 24 - 25 ; paez , op . cit . , p . 101 .

٢٠٧ - تقع بين مونكا Moncão وجسر ليما Ponte de Lima .

٢٠٨ - Galvão , op . cit . , pp . 53 - 54 ; Brandão , crónica do Conde , d . Henrique , p . 206 .

أشباخ ، ج ١ ، ص ٢٥٣ .

٢٠٩ - Silva , op . cit . , p . 29 ; paez , op . cit . , p . 102 ; CF . also : Bal- lesteros , op . cit . , p . 350 .

٢١٠ - أحدث المؤرخون خلطا عندما ذكروا أنه فى هذا الحصار الثانى ، كان قد خرج ايجزمونيز مربى الفونسو هنريكز للتشفع والحديث مع الفونسو السابع وتذكيره بدرجة القرابة ، وضرورة تكثيف جهودهم ضد المسلمين وإعطاء موافقة على شروط ريمونديز وقد أعطى كلمته كوعد ولكن هذا كان فى الحصار الأول ، خاصة وأن هنريكز قد خرق هذا التعهد بقاتلته لألفونسو السابع بجوار بال دى بيز Valdevez

paez , op . cit . , p . 102 .

٢١١ - Silva , op . cit . , p . 31 ; Brandão . Crónica do conde D . Henrique , p . 201 , CF . also : Stephens , op . cit . p . 36 ; Ballesteros , op . cit . , p . 383 .

وتحدثنا فى هذا المجال نفس المصادر السابقة عن شجاعة ايجز مونيز ، الوصى على تربية الأمير الفونسو هنريكز والذى كان قد تعهد من قبل بخضوع وصيه لسلطة الملك الفونسو السابع ، فانه عندما رفض هنريكز هذا الخضوع خرج إلى طليطلة مع زوجته وأطفاله وسلم نفسه فداء لكلمته مما جعل الملك الفونسو السابع مسرورا بوفائه للعهد وعفا عنه .

٢١٢ - Herculano : Historia de portual , Vol 3 , Lisboa , 1983 , p . 7 .

٢١٣ - Cronica dos Godos , p . 268 ; Chronicon Lusitano , E . S . , T 14 , p . 409 . CF , also : Stephenns , op . cit . , p . 32 .

٢١٤ - Cruz , A . Asituacão politica em portual em , 1179 , 8 centenario do reconhecimento de portugal pela santa Sé , lisboa 1979 , p . 281 .

٢١٥ - كان الأبن الذكر الوحيد للكونت هنرى البورجونى ودونيا تريزا ، وقد اختلف المؤرخون فى عدد ما أنجباه من الإناث فمنهم من قال باثنتين وقال الآخرون بثلاثة وهن دونيا أوراكا التى تزوجت من الكونت برمود بيريز دى ترابا والثانية دونيا تريزا تزوجت من الكونت سانشو نونيز والثالثة دونيا سانشا (ألبيرا) تزوجت من الكونت فرديناند منديز .

Duarte , Chronica do conde D . Henrique , pp . 23 - 24 ; Cronica del Obispo de Oviedo D . pelayo , p . 181 ; Brandao , Cronica do conde D . Henrique , pp . 126 - 128 ; c . f . also : Benevides op . cit . , p . 66 .

٢١٦ - Duarte , Chronica do conde D . Henrique , p . 23 .

٢١٧ - chronicon Lusitano , E . S . , T 14 , p . 407 ; Brandão , Crónica do conde D . Henrique , p . 121 . ; CF . also : Livermore , portugal , p . 31 .

٢١٨ - Denis , op . cit . , p . 7 ; Nowell , A history of portugal p . 6 ; Livermore , A new history portugal , p . 46 .

٢١٩ - عنان ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٥٢٥ ، أشباخ ، ج ١ ، ص ٢٥٢ .

٢٢٠ - Stephens , op . cit , p . 35 .

٢٢١ - تذكر مدونة القوط بأنه ولد فى سنة ١١٥١م وهذا هو التاريخ القيصرى الذى وضعه يوليوس قيصر فى أسبانيا ولاستخراج الميلادى فاننى قارنت الأحداث الأخرى وجدت الفرق بين التاريخين هو ٣٨ سنة فعندما تطرح الـ ٣٨ عاما من هذا التاريخ فانه سيصبح ١١١٣ م ، وبمقارنة تاريخ آخر ذكر أنه فى ١١٦٣ م عمد كفارس فى مدينة سمورة وأن عمره كان أربعة عشر عاما وبخصم ٣٨ سنة سنجد أنه فى ١١٢٥ م إذ فان ميلاده بناء على هذا كان فى ١١١١ م وأنه يبدو التاريخ السابق لميلاده (١١١٣ م) ورد خطأ ، حيث أن بقية تواريخه كانت صحيحة .

Cronica dos Godos , pp. 206 - 267 .

٢٢٢ - Brandão , Crónica do conde D . Henrique , p . 124 .

٢٢٣ - يتضح من اللقب المكمل لاسم الدون ايجز مونيز (Ribo de Douro) أنه ينتسب إلى القوط ، وكانت زوجته دونيا تريزا برتغالية الأصل وقد اشتهر بشدة تمسكه بدينه وكثرة عطاياه للأديرة

Duarte , Chronica do conde D . Henrique , p . 24 .

٢٢٤ - الوصايا ذات شقين الأول تخص تعيين أحد النبلاء وصيا على الأمير الطفل ، يتولى الإشراف على تعليمه واكسابه كل الصفات التى تؤهله لوراثة الحكم ، أما الشق الثانى فانه عند وفاة الملك فانه يقرر عليه وصيا حتى يبلغ سن الرشد ، وغالبا مايكون الوصى أمه أو أحد من أقرب أقربائه ولذلك فان ايجزمونيز وصى على تربيته وأمه وصية عليه فى الحكم حتى يبلغ سن الرشد .

٢٢٥ - Brandão , Monarquia Lusitana , pp . 61 - 62 ; CF . also : Herculano , op . cit . , T 1 , p . 368 ; Stepens , op . cit . , p 34 .

٢٢٦ - Cronica dos Godos , p . 267 ; Chronicon Lusitano , E . S . , T 14 , p . 407 ; Reilly under Urraca , p . 193 .

ولعل كل هذه الصفات قد تشابكت وتداخلت معا وساعدته فى النهاية على تحقيق مجد كبير لمملكة البرتغال وجعلته من أشهر رجال عصره داخل شبه الجزيرة الايبيرية وخارجها وفق مايتضح فى الفصول التالية للبحث .

٢٢٧ - Brandão , Mon .. Lus , p . 63 ; CF . also : Stephens , op . cit . , p . 35 .

الفصل الثانى

علاقة الفونسو هنريكز بملوك
قشتالة وليون والبابوية

الفصل الثانى

علاقة الفونسو هنريكز بملوك قشتالة وليون والبابوية

(١١٢٨ - ١١٨٥ م / ٥٢٢ - ٥٨١ هـ)

- سياسته الاستقلالية ضد الإمبراطور الفونسو السابع ملك قشتالة (١١٢٨ - ١١٤٣م / ٥٢٢ - ٥٣٨ هـ) :

رفض هنريكز تبعيته لقشتالة ومهاجمته لجليقية - موقف الفونسو هنريكز من تتويج الفونسو السابع امبراطور على أسبانيا - إعلان الفونسو هنريكز نفسه ملكا على البرتغال ١١٣٩م / ٥٣٣ هـ - معاهدة سمورة (١١٤٣ م / ٥٣٨ هـ) .

- علاقة السياسة بفرديناند الثانى ملك ليون (١١٥٧ - ١١٨٥م / ٥٥٢ - ٥٨١هـ)

تولى فرديناند الثانى حكم مملكة ليون ومعها دعوى السيادة على البرتغال - معاهدة ساهجون (١١٥٨ م / ٥٥٣ هـ) وأثرها على البرتغال - غزوات الملك الفونسو هنريكز ضد جليقية - حصار بطليوس وأسر الملك فرديناند لألفونسو هنريكز - طبيعة العلاقات بينهما بعد عام ١١٧٠ م / ٥٦٥ هـ .

- علاقة بالبابوية ومقومات استقلال مملكة البرتغال :

الاختلافات الجغرافية والانثروبولوجية فى استقلال مملكة البرتغال - الكنيسة البرتغالية ودورها بالاتفاق مع الكونت هنرى فى نفس الهدف - الفونسو هنريكز وسياسته الواضحة لاستقلال مملكته - السفارات المتبادلة بينه وبين البابوية - اعتراف البابوية باستقلال البرتغال بمرسوم عام ١١٧٩م / ٥٧٤ هـ .

سياسته الاستقلالية ضد الإمبراطور
الفونسو السابع ملك قشتالة
(١١٢٨ - ١١٤٣ م / ٥٢٢ - ٥٣٨ هـ)

تميزت الفترة التى تلت تولية الفونسو هنريكز حكم البرتغال عام ١١٢٨ م / ٥٢٢ هـ بكثرة الحروب ضد السيطرة الإقطاعية ، التى حاول ملك قشتالة الفونسو السابع (ريموندير) فرضها على كونتية البرتغال ، وقد جاهد فيها البرتغاليين كثيرا دفاعا عن استقلالهم وحريتهم .

وكانت نظرة الملك القشتالى بضرورة إخضاع حاكم البرتغال له كفصل إقطاعى معتمدة على أنه وريث مملكة جده الملك الفونسو السادس ، وبالتالى يجب أن تكون كونتية البرتغال خاضعة لسيطرته كاحدى أقاليم مملكة قشتالة مثلما كان الأمر من قبل وحسب وصية جده [١] وذلك مما رفضه الفونسو هنريكز رفضا تاما [٢].

وقد شجعت الظروف السيئة لمملكة قشتالة الفونسو هنريكز لتحقيق أهدافه ، ففى بداية عام ١١٣٠ م / ٥٢٤ هـ عاد الملك القشتالى إلى حروبه ضد الملك الفونسو المحارب ملك أرجون ، لنقضه معاهدة تمارا المنعقدة بين الطرفين عام ١١٢٧ م / ٥٢١ هـ [٣]. ولما تفاقمت الأمور بينهما توسط الأساقفة لعقد الهدنة بينهما التى تعهد فيها ملك قشتالة بأن يرد إلى الفونسو المحارب الحصون التابعة له فى قشتالة [٤]. ولكن مالبث أن عاد النزاع من جديد بين الفريقين واستعد كل منهما للحرب . واستولى ملك قشتالة على قلعة كاسترو شريش بقشتالة [٥]، التى كان يسيطر عليها ملك أرجون ، واستمرت المناوشات حتى تدخل رجال الدين ، ونجحوا فى إحلال السلام بين الملكين وعقدت هدنة تنازل بمقتضاها ملك أرجون عن سائر الحصون ، التى كانت له فى قشتالة مقابل تنازل الفونسو السابع عن ولاية ريوخا [٦]. فانتهى بذلك النزاع مع ملك أرجون ولكن لم يضع ذلك حدا للمشاكل التى عانى منها ملك قشتالة ، لأنه كان يواجه بشدة تمرد بعض نبلاء جليقية بزعامة بدرو جونثالث دى لارا - عميد أسرة لارا وعشيق الملكة أوراكا وأخيه رودريجو [٧].

وقد وجد الفونسو هنريكز فى خلال تلك الأحداث أن الفرصة مهيأة له لغزو جليقية درءاً

لخطر تحركات فرديناند بيريز - عشيق أمه - وأخيه برمود بيريز على الحدود الشمالية لكونتية البرتغال فى عام ١١٣١م / ٥٢٥ هـ [٨] فتوجه الفونسو هنريكز على رأس قواته تجاه مدينة سيا Seia واستولى عليها من حاكمها برمود بيريز [٩]، بعد أن طرده وصادر ممتلكاته [١٠]، وقام ببعض التحركات على الحدود ، أتبعها بالتوغل فى أراضى جليقية ، مغيرا ومنتصرا فى بعض المناوشات ضد الفرسان الجليقيين [١١]. وقد نتج عن ذلك رد فعل عنيف لدى الملك الفونسو السابع ، فأمر عندئذ رئيس الأساقفة جالمريز وأمراء جليقية بتأييد القوات الجليقية والتصدى لقوات البرتغال [١٢]. خاصة بعد أن نجح الفونسو هنريكز فى إجبار جيوش أعدائه من الجليقيين على الانسحاب داخل جليقية ، وطردهم من منطقة ليميا ، ثم قام بتأسيس قلعة سلمز Celmes واتخذها قاعدة لمركز عملياته الحربية فى جنوب جليقية ، بعد أن وضع فيها حامية قوية ، ثم عاد إلى قلمرية [١٣] .

وفى نفس الوقت أراد الملك الفونسو السابع أن يتوجه بنفسه إلى الحدود الجنوبية لجليقية ، فجمع جيشا كبيرا من جليقية وليون وسار ناحية ليميا وحاصر قلعة سلمز Celmes واستولى عليا وطرد البرتغاليين من الحدود الجنوبية لجليقية ، وحصن تلك المناطق ثم عاد إلى ليون [١٤].

وجدير بالذكر أن الحدود بين جليقية والبرتغال لم تكن مستقرة تماما بسبب أن ملك قشتالة الفونسو السابع انشغل بأمور أخرى مثل هجمات المسلمين المتفرقة من ناحية ، واستمرار تمرد بعض نبلاء جليقية أمثال الكنت جونثالو بلايز Gonzalo Pelaes رودريجو جومز Rodrigo Gomez من ناحية أخرى . وإن كان ملك قشتالة قد نجح بعد ذلك في السيطرة على الكونت رودريجو والعفو عنه ، إلا أن الكونت جونثالو ، قد خرج تماما عن طاعته ودخل فى خدمة الفونسو هنريكز أمير البرتغال [١٥]. واشترك معه فى كل الهجمات الموجهة ضد جنوب جليقية واستمر فى ذلك حتى عام ١١٣٥م / ٥٢٩ هـ ، ثم عاد مرة أخرى وأعلن خضوعه للإمبراطور الفونسو السابع ، واعترف بسلطته فى البلاط الليونى [١٦].

على أية حال تطورت الأحداث السياسية فيما بعد لصالح الملك الفونسو السابع ،

فأصبح من أقوى ملوك شبه الجزيرة الايبيرية ، خاصة بعد مقتل الملك الفونسو المحارب فى موقعة افراغة ١٧ يوليو سنة ١١٣٤ م / ٥٢٨ هـ [١٧] وظهور المرابطين بمظهر الضعف والانهيار (خاصة بعد عام ١١٤٣ م / ٥٣٨ هـ) حتى أصبحت ضرباتهم غير مؤثرة فى قوات الممالك الأسبانية المسيحية المختلفة وتغير بذلك موازين القوى لصالحها . وبالرغم من ذلك كان الأمير الفونسو هنريكز لايقبل فكرة خضوع بلاده للتاج القشتالى أو فكرة تتويج الملك الفونسو السابع امبراطور علي اسبانيا [١٨] ، واتضح ذلك تماما من الأحداث التالية عندما اجتمع الملك الفونسو السابع مع رؤساء الاساقفة ورؤساء الأديرة والكونتات والأمراء والقادة فى كنيسة سانتا ماريا بمدينة ليون فى الرابع من شهر يونيو سنة ١١٣٥م/ رجب ٥٢٩ هـ للاحتفال بعيد الروح المقدس وبعد الانتهاء من مراسم الاحتفال اجتمعوا مرة ثانية في اليوم التالى ، وأعلنوا تتويج الفونسو السابع امبراطور على أسبانيا [١٩]. وقد ذكرت مدونة الإمبراطور [٢٠]حضور كل من المدعو زافادولا Zafadola (ويقصد به سيف الدولة المستنصر بالله ابن هود) [٢١]وريموند كونت برشلونة والفونسو كونت تولوز وكثير من كونتات جاسكونيا وفرنسا[٢٢] مما يدل على سلطة الإمبراطور الفونسو السابع ونفوذه ولكن الفونسو هنريكز كان الحاكم الوحيد من الممالك المسيحية الأسبانية الذى قاطع حضور مراسم التتويج [٢٣]. مما يدل على عدم اعترافه بسيادة الفونسو السابع وسموه من ناحية ، وعدم خضوع البرتغال بصفة عامة لسلطته الإقطاعية من ناحية أخرى .

وجدير بالذكر أن الفونسو هنريكز كان يعتبر نفسه ندا للإمبراطور الفونسو السابع بما لديه من مقومات تساعده على الاستقلال وتأسيس مملكة جديدة ، وذلك من خلال تأييد كل البرتغاليين بجانب نسبة العريق ، فهو ينتمى إلى ملوك فرنسا [٢٤]، وكان ابن خالته الفونسو السابع ينتسب إلى رينو دوق بورجونيا ، ولذا فهو أرفع مكانة منه دون النظر عن كون أمه ابنة غير شرعية للملك الفونسو السادس من عدمه وفى نفس الوقت كان دائما لايغيب عن ذهنه ذلك الاتفاق القديم ، الذى تم بين أبيه وريموند البورجونى والد الإمبراطور الفونسو السابع بشأن تقسيم مملكة الفونسو السادس [٢٥]، كما كان أيضا يعتمد بشدة على تأييد رجال الدين والرهبان الكلونيين فى كونتيته الذين يمثلون قوة لايستهان بها ، وسيكون لهم فما بعد دور كبيرا فى استقلال وتأسيس ملكة البرتغال .

وقد ساعدته الظروف إلى حد كبير في الاعتماد على قوة كبيرة للوقوف ضد الإمبراطور الفونسو السابع ، ونعنى بها الملك النفارى جارثيا راميرز الذى كان يطمح في الزواج من بترونيلا ابنة راميرو الراهب ملك أرجون [٢٦] واعتمد فى تحقيق ذلك على حليفه الفونسو السابع ولكنه خيب آماله عندما بارك وأيد زواج هذه السيدة من ريموند برنجير الرابع كونت برشلونة [٢٧] وعندئذ أظهر الملك جارثيا حنقه وتمرده على الإمبراطور الفونسو السابع وبدأ يبحث عن حليف يناصره ضده ، فتلقف الفونسو هنريكز هذه الفرصة وتحالف مع ملك نافار[٢٨] ، واتفقا على أن يقوم الجيش النفارى بتسديد ضرباته ضد مملكة قشتالة من الشرق فى الوقت الذى يهاجم فيه جيش البرتغال جليقية [٢٩]. وقد بدأ تنفيذ ذلك خلال شهرى سبتمبر واكتوبر سنة ١١٣٦ م / صفر ٥٣١ هـ عندما هاجم جيش نافار [٣٠]، أراضى تطيلة واستولى عليها ثم على طرسونة (فى أراضى أرجون) وبورخا Borja على حدود قشتالة ، وتوغل فيها [٣١] وعندئذ توجه الإمبراطور الفونسو السابع على رأس قواته إلى اقليم بورجليس Burgales ثم إلى ناخيرا (ناشرة) Najera [٣٢]وهاجم حدود نافار وحاصر قلاعها وأسر الكونت النافارى دون لادرون ولكنه سرعان ما أطلق سراحه بمجرد أن أقسم له يمين الولاء والطاعة وانضم ببعض أتباعه إلى قوات الإمبراطور الفونسو السابع ضد نافار [٣٣]. وقد حدث ذلك فى الوقت الذى كانت فيه قوات البرتغال بقيادة الفونسو هنريكز تواصل تقدمها فى مهاجمة حدود جليقية الجنوبية ونجحت فى الاستيلاء على مدينة توى والقلاع المجاورة لها وأراضى تورنيو وإقليم ليميا بفضل مساعدة الكونتين الجليقيين رودريجو بيريز بييسو Rodrigo Peres Velloso وجومز نونيز Go-moez Nunes واللذان تمردا على امبراطورهما الفونسو السابع[٣٤] وقد واصل الفونسو هنريكز نجاحه فى الاستيلاء على كثير من المدن والقلاع الجليقية الأخرى وشحنها بالجنود والمعدات الحربية وواصل التقدم حتى استطاع الوصول إلى قلب جليقية [٣٥]. وقد دفعت الأحداث المتلاحقة الامبراطور الفونسو السابع إلى إصدار أمره إلى ثلاثة من قواده وهم فرديناند خوانيز وفرديناند بيريز وورودريجو[٣٦] بيلى لشحذ قوات جليقية للتصدى لألفونسو هنريكز ودارت حرب ضروس بين الطرفين فى معركة سرنيزا Cernesa وانتهت بهزيمتهم[٣٧] ، نتيجة للبراعة والتكتيكات الحربية التى أدار بها الأمير الفونسو هنريكز خط سير المعركة[٣٨].

ولكن أثناء انشغال الفونسو هنريكز فى الاحداث السابقة علم أن المسلمين قد استولوا

على قلعة طمان Tomar(٣٩) وعاثوا - وتوغلوا فى مناطق الحدود البرتغالية مما دفعه إلى ترك جنوب جليقية ، والإسراع الى الحدود الجنوبية لكونتيته للدفاع عنها ، ولكنه سرعان ماوجد المسلمين قد عادوا إلى أراضيهم (٤٠)فرجع مرة أخرى إلى الحدود الشمالية بعد أن أطمئن إلى شدة تحصينات حدود كونتيته ولكنه وجد أن القوات الجليقية متحدة بزعامة الكنت فرديناند خوابيز والتحم الطرفان في قتال عنيف أظهر فيه البرتغاليين شجاعة فائقة ،و ولكن شاءت الأقدار أن يصاب الفونسو هنريكز برمح أطلقه أحد أتباع فرديناند خوانيز(٤١).

وكان الإمبراطور الفونسو السابع قد نجح أثناد ذلك فى رد ملك نافار عن حدود قشتالة وعن المناطق الأخرى التى استولى عليها فى أرجون ، ثم توجه بعد ذلك إلى جليقية لمساندة قواته الموجودة هناك تاركا مهمة الحرب مع قوات الملك جارثيا لملك أرجون وبعض القوات القشتالية (٤٢) وعندما وصل الفونسو السابع مدينة توى أخذ يجمع شتات قواته وأرسل رسائل إلى كل النبلاء والحكام ورئيس أساقفة شانت ياقب جالمريز يستدعيهم للحضور مع قواتهم إلى توي استعدادا لشن هجوم عنيف ضد البرتغال (٤٣).

وجدير بالذكر أن الفونسو هنريكر كان فى موقف لايحسد عليه فهو بين نارين من تكرار هجوم المسلمين على الحدود الجنوبية لكونتيته وتدميرهم قلعة طمان والقضاء على حاميتها حتى أصبحت الحدود الجنوبية للبرتغال مكشوفة أمام ضرباتهم ، هذا فى الوقت الذى حضر فيه الإمبراطور الفونسو السابع بجيشه الكبير مهددا كا المكاسب التى أحرزها الفونسو هنريكز فى جنوب جليقية والحدود الشمالية للبرتغال نفسها وعندئذ اضطر الفونسو هنريكز للاستجابة لدعوة رجال الدين وبعض النبلاء فى عقد معاهدة سلام مع الإمبراطور الفونسو السابع حقنا لدماء المسيحيين والعمل على توحيد صفوفهم ضد ضربات المسلمين الموجهة للمالك المسيحية بصفة عامة ، وكذلك الحال بالنسبة للامبراطور الفونسو السابع ، فقد استجاب لإتمام الصلح حتى يتفرغ لحربه ضد مملكة نافار . وقد حضر الفونسو هنريكز إلى مدينة توى بصحبة رئيس أساقفة براغا دون بايو Paio وأسقف بورتو دون خوان João بينما حضر الإمبراطور بصحبة أساقفة شقوبية وتوى وأورنس(٤٤) وتمت

المفاوضات بين الطرفين واتفقوا على عقد معاهدة توى فى ٤ يوليو ١١٣٧ م / شعبان سنة ٥٣١ هـ وتضمنت البنود التالية (٤٥):

١ - أن يكون الأمير (Infante) الفونسو هنريكز صديقا طيبا ومخلصا وخاضعا للإمبراطور .

٢ - أن يتعهد الأمير بالدفاع عن أراضى الإمبراطور الفونسو السابع ضد المعتدين وأن يسارع إلى نجدته عند الضرورة .

٣ - أن يتعهد الأمير البرتغالى برد مافى حيازته من أراضى جليقية ، والرجوع إلى حدوده الأولى وفق ماكانت عليه من قبل فى أواخر عهد دونيا تريزا .

٤ - أنه إذا نقض أحد رجال الإمبراطور أو الأمير الفونسو هنريكز بنود هذه المعاهدة فإن مسئولية الإصلاح بينهما تقع على عاتق هذين العاهلين .

٥ - أن يسرى تنفيذ هذا الاتفاق فيما بعد فى ظل حكم ابناء كل منهما (٤٦).

وقد وقع كل من الإمبراطور الفونسو السابع والأمير الفونسو هنريكز على هذه المعاهدة وصدق عليها مائة وخمسون فارسا برتغاليا وعدد من رجال الدين اليونيين القشتاليين(٤٧).

وجدير بالذكر أنه بإلقاء نظرة سريعة على بنود هذه المعاهدة ، يلاحظ أن أغلبها تتضمن عدة تعهدات من الفونسو هنريكز للإمبراطور الفونسو السابع ، تتعلق بنظام التبعية الاقطاعية كما أننا نلاحظ أن الإمبراطور قد أطلق على الفونسو هنريكز لقب انفانت In-fante وليس لقب أمير Principe وهو لقب يطلق على أولاد الملوك مما يدل على علو شأن الفونسو هنريكز إلى درجة جعلت المؤرخ سوارس Soãres يعد هذه الاتفاقية بمثابة نصر كبير لصالح الفونسو هنريكز (٤٨)، ولكننا نرى أن بنود هذه الاتفاقية يشوبها الغموض وعدم الحسم فى تصفية المشاكل والموضوعات المعلقة ، بين مملكة قشتالة - ليون وكونتية البرتغال ، وكأن كلا من الإمبراطور والأمير البرتغالى قد قصد من ورائها أن تكون بمثابة فسحة من الوقت لالتقاط الأنفاس حتى يتم تصفية المشاكل التى تواجه كلا منهما ثم يعود الطرفان من جديد إلى القتال .

ولكن يبدو إن بنود الاتفاق لن تنفذ كاملة والدليل على ذلك أن الفونسو هنريكز لم يرد

مدينة توى إلى الإمبراطور الفونسو لأننا عثرنا على وثيقة مؤرخة بشهر سبتمبر سنة ١١٣٧ م أى بعد معاهدة توى بثلاثة أشهر تتضمن منحة من الفونسو هنريكز إلى كنيسة توى فى وادى بيينا La Villa de Vinea [٤٩] مما يدل على أنه كان صاحب السيطرة على تلك المدينة وقتئذ ويبدو أن عدم تنفيذه لبنود الاتفاق بشكل كامل إنما يرجع إلى انشغال الإمبراطور فى حروبه ضد ملك نافار وإغفاله عن إتمام تنفيذ بنود المعاهدة من عدمه [٥٠].

على أية حال بعد أن أطمئن الفونسو هنريكز إلى استقرار الأمور داخل كونتيته بعد معاهدة توى ٤ يوليو سنة ١١٣٧ م / شعبان سنة ٥٣١ هـ بدأ يهتم بأمور بلاده الداخلية وخاصة فيما يتعلق بترميم وتجديد القلاع الموجودة فى جنوب بلاده ، والتى تهدمت أثر الغارات التى تعرضت لها من قبل . ثم بدأ فى استعراض قواته العسكرية ليرهب بها المسلمين . ففى ٢٥ يوليو سنة ١١٣٩ م / ذى الحجة سنة ٥٣٣ هـ أحرز انتصارا كبيرا على جيش المسلمين فى معركة أوريك Ourique بقيادة بعض الأمراء المسلمين ، فى مقدمتهم الملك اسمار (أزمور) ، وفق ما أطلقت عليه المصادر المسيحية [٥١]، وعندئذ صاح الجنود البرتغاليون ، ونادوا أميرهم الفونسو بلقب ملك [٥٢].

وقد اختلف المؤرخون فيما بينهم حول تاريخ استخدام الفونسو لقب ملك ، فيرى بعضهم أن ذلك الأمر قد حدث فى شهر مارس سنة ١١٣٩ م / شعبان ٥٣٢ هـ استنادا لوجود وثيقة هبة موقعة من الفونسو هنريكز لصالح دير سانت كروس فى قلمرية وقد ظهر فيها لأول مرة اسم الفونسو هنريكز مسبوقا بلقب ملك [٥٣] بينما يؤكد البعض الآخر من المؤرخون أن أول مرة تلقب فيها الفونسو هنريكز بلقب ملك كان بعد معركة أوريك [٥٤] اعتمادا على أن جميع الوثائق - ماعدا وثيقة شهر مارس السابقة الذكر - والمصادر التاريخية أشارت إليه بلقب ملك بعد معركة أوريك [٥٥]، وإننا نؤيد هذا الرأى الأخير استنادا على أن جميع الوثائق الأخرى الصادرة عن الفونسو هنريكز قبل ٢٥ يوليو سنة ١١٣٩م موقعة منه كأمير وليس كملك ، باستثناء الوثيقة المؤرخة فى مارس عام ١١٣٩م، والتى تليها وتناقضها وثيقة مؤرخة ٢٤ ابريل سنة ١١٣٩ المتضمنة منحه لكرسى براغا موقعا عليها الفونسو هنريكز كأمير [٥٦] ، فليس من المعقول أن يلقب نفسه

بملك فى شهر مارس ، ثم يوقع كأمير الشهر الذى يليه وتفسير ذلك أن الوثيقة سالفة الذكر المؤرخة فى مارس عام ١١٣٩ م ، قد صدرت أثناء تمتع الفونسو بلقب أمير ، ثم أعاد كتابتها مرة أخرى فى صورتها الجديدة الموجودة لدينا بعد أن أضفى عليها لقب ملك ، حتى تكون ذات قوة وتأثير فى مدى فاعليتها عنها وهى موقعة منه كأمير .

وهنا سؤال يفرض نفسه ، يتعلق بالدوافع والحجج التى اعتمد عليها الفونسو هنريكز عندما تلقب بلقب ملك ولعل الإجابة تكمن حول معركة أوريك والانتصارات التى أحرزها الفونسو على أعدائه ، فأثبتت أنه لايقل قوة ونسبا وشرفا عن ملك قشتالة ، كما أنه ينحدر مثله من نسل الإمبراطور الفونسو السادس ، وأن والده كان سليلا لملوك فرنسا وأمه دونيا تريزا سبق لها أن لقبت بلقب الملكة ، هذا فضلا عن تشجيع البرتغاليين له وإحساسهم القوى بضرورة استقلال كونتيتهم تحت قيادة مليكهم فساعد كل ذلك الفونسو هنريكز على اعلان مولد مملكة البرتغال تحت قيادته .

وجدير بالذكر أن ذلك الإعلان جاء نقضا صريحا لبنود معاهدة توى المبرمة عام ١١٣٧ م / ٥٣١ هـ ، مما جعل الملك الفونسو يتوقع رد فعل عنيف على بلاده واستقلال مملكة البرتغال من قبل الإمبراطور الفونسو السابع ، فبادر بالهجوم على ممتلكاته ، وتوجه بجيشه إلى الحدود الجليقية ، وهاجم منطقة ليميا ، واشتدت المناوشات والاشتباكات ، بين الطرفين (٥٧). وكان الإمبراطور الفونسو السابع حينئذ يخوض حربا شعواء ضد ملك نافار، وعندما علم بذلك قرر أن يقسم جيشه الى قسمين الأول يباشر حروبه ضد مملكة نافار بقيادة بعض الكونتات (٥٨) بينما توجه هو على رأس القسم الثانى الى الحدود الجليقية لاسترداد القلاع والحصون من أيدى البرتغاليين ، ولكن أثناء ذلك انفصلت سرية بقيادة الكونت راميرو فرويلز Ramiro follez عن الجيش الإمبراطورى لمهاجمة إحدى القلاع فى الوقت الذى كان فيه الملك الفونسو هنريكز يترقب تحركات الجيش الإمبراطورى فنصب كمينا لتلك السرية وأسر عددا كبيرا من أفرادها ، ومنهم قائدها راميرو (٥٩)، بينما توجه جيش الإمبراطور الفونسو السابع وخيم معسكره فى مواجهة قلعة صخرة الملكة Peña de la Reina عند المكان المدعو بالدبيز (وادى بث) (Valdevez (Portello de vice فى

مواجهة الجيش البرتغالى ويفصل بين الجيشين أحد الوديان الفسيحة ، وتبادلت القوتان المتحاربتان المناوشات الحربية فيما بينهما وكثرت المبارزات الفردية [٦٠] ، ولما تفاقمت الأحوال وازداد عدد القتلى والجرحى من الجانبين طلب بعض نبلاء البرتغال من مليكهم وقف القتال حقنا لدماء المسيحيين ، وإنقاذ بلادهم من الخراب الذى قد يعم عليهم كما طالبوا بأن يكرسوا أنفسهم لحرب المسلمين الذين انتهكوا حدودهم الجنوبية وقتلوا كثيرا من أهلهم ، واقترحوا عليه فى نفس الوقت أن يذهب وفد منهم إلى الإمبراطور الفونسو السابع ويفاوضه من أجل عقد معاهدة السلام بينهما ، فاستجاب الملك الفونسو هنريكز إلى ندائهم [٦١] .

ولكن هناك بعض المصادر البرتغالية أشارت إلى أن الرغبة فى الصلح قد أتت بداية من جانب الإمبراطور الفونسو السابع عندما أدرك خطورة المبارزين البرتغاليين [٦٢] . وما أحرزوه من نصر كبير على قواته فأعلن عندئذ ضرورة وقف القتال لتوجيه جهود الطرفين المتحاربين ضد المسلمين [٦٣] . وبعث خوان رئيس أساقفة براغا ليتشفع له عند الملك الفونسو هنريكز لعقد الصلح [٦٤].

وأننا نؤيد الرأى الثانى لأن مملكة قشتالة - ليون كانت فى موقف لاتحسد عليه وسط أحداث هذه الفترة الزمنية ، فكانت تعانى الأمرين من هجمات المسلمين على حدودها من جانب ، وصراعها ضد مملكة نافار من جانب آخر ، بينما كان الملك الفونسو هنريكز أحسن حالاً فبعد انتصاره فى معركة اوريك وتوطيده لحدوده الجنوبية ، فاننا لانستبعد أن تكون بادرة الصلح كانت من جانب الإمبراطور ، فلاقت على الفور استجابة من ملك البرتغال .

كيفما كان الحال ، تمت المقابلة بين النبلاء البرتغاليين والقشتاليين - الليونيين فى بالدبيز Valdevez سنة ١١٤٠م/ ٥٣٤ هـ ، فى حضور نخبة من رجال الدين الذين تبنوا فكرة ضرورة توحيد الجانبين حقنا لدماء المسيحيين وتوجيه قوتهم ضد المسلمين ، وتم الاتفاق بينهم على عدة بنود أطلق عليها صلح بالدبيز [٦٥] ، جاء فى مقدمتها :

(١) تبادل الأسرى من كلا الجانبين .

(٢) يتعهد الملك الفونسو هنريكز بتسليم الكونتين ، الخائنين روديك وجومز نونيز اللذين تمردا على الإمبراطور من قبل [٦٦] وانضما إلى القوات البرتغالية [٦٧].

(٣) إعادة الحدود بين البلدين إلى ماكنت عليه فى أواخر عهد دونيا تريزا .

(٤) يعقد السلام بين الملكين بشكل نهائى .

(٥) يوحد الملكان جهودهما ضد المسلمين .

(٦) يقسم كل منهما على المحافظة على السلام .

وبعد أن وقع الملكان على هذه المعاهدة أقاما احتفالا كبيرا بهذه المناسبة [٦٨] علي الرغم من هذا الصلح فلم تشر المصادر البرتغالية أو الأسبانية من بعيد أو قريب عن موقف الإمبراطور الفونسو السابع من تلقيب الفونسو نفسه بلقب ملك ، فيبدو أن هذا الأمر قد ترك معقا بين الجانبين إلى حين ، أو أن يكون الإمبراطور قد وافق على ذلك شفاهة فى مقابل موافقة الفونسو هنريكز على إعادة حدود بلاده إلى ماكانت عليه أيام والدته ، وبالتالى لم تدون المصادر شيئا عن هذا .

وقد أكد الفونسو هنريكز من خلال عدم إثارة موضوعات التبعية للإمبراطورية والاعتراف له بالخضوع الاقطاعى ، انفصاله التام ماديا ومعنويا عن المملكة القشتالية - الليونية [٦٩].

وقد استمرت الأحوال هادئة تماما بين المملكتين بعد ذلك لمدة ثلاث سنوات حتى ١١٤٣م / ٥٣٨ هـ ، انشغل خلالها الفونسو هنريكز فى تقوية حدود مملكته الجنوبية وإعادة تأسيس قلعة ليريا ، كما أنشأ قلعة قوية أطلق عليها اسم خرمانيو Germanello فى سنة ١١٤٢م / ٥٣٦ هـ وأنشأ استحكامات عسكرية على طول الحدود مع المسلمين [٧٠].

وقد تجدد القتال مرة أخرى بين المملكتين فى عام ١١٤٣ / ٥٣٨ هـ ، ولكن البابا أنوسنت الثانى (١١٣٠ - ١١٤٣ / ٥٢٤ - ٥٣٨ هـ) تدخل لفض الخلافات والمشاكل القائمة بين الطرفين من أجل تعزيز روح الحروب الصليبية ، وطرد المسلمين من أسبانيا فأرسل الكاردينال هيو (جيدو) Guido لتنفيذ هذه المهمة [٧١] ، فتوجه إلى الإمبراطور

الفونسو السابع فى سمورة فى سبتمبر سنة ١١٤٣م / ٥٣٨ هـ ، وتوسط لديه من أجل فرض السلام الدائم مع البرتغال . وقد نجح الكاردينال فى مهمته وأسهم فى الإعداد لاجتماع الفونسو السابع مع الفونسو هنريكز فى سمورة [(٧٢)] سبتمبر سنة ١١٤٣ م / ٥٣٨هـ ، وتم توقيع معاهدة سمورة بينهما ، وقد وافق من خلالها الإمبراطور الفونسو السابع على منح الفونسو هنريكز لقب ملك بشرط أن يكون أحد أفصاله بكل ما تعنيه هذه الكلمة من حقوق وواجبات . ولكى يؤكد الإمبراطور تبعية البرتغال له اقطع ملكها اقطاعية استورقة[(٧٣)] فعهد الأخير حكمها إلى فرديناند كابتيبو Fernando Cap-tivo[(٧٤)] ، وفى نفس الوقت تخلى الفونسو هنريكز عن الأراضى التى استولى عليها البرتغاليين فى جنوب جليقية ، وانتهت بذلك كل مشاكل الحدود بين الطرفين .

وجدير بالذكر ، أن اتفاق سمورة المنعقدة فى سبتمبر سنة ١١٤٣م / ٥٣٨ هـ يرجع الى طول فترة النزاع والحروب بين قشتالة - ليون والبرتغال ، مما أدى إلى ملل الجانبين ورغبتهما فى السلام الدائم وأدرك كل منهما الحروب لم يجن من ورائها سوى الخراب والدمار لكليهما ، فضلا عن أن قوة المرابطين فى الأندلس بدأت تنهار أمام حروبها ضد الموحدين فى المغرب ، ولهذا قرر الملكان ترك حروبهما غير المجدية ، والاتجاه إلى المكاسب الكبرى التى يمكن أن يقتنياها من وراء الاستيلاء على المدن الأندلسية ولذلك لم يحدث أى نوع من الاحتكاك العسكرى بين قشتالة - ليون والبرتغال [(٧٥)] بعد اتفاق سمورة حتى وفاة الإمبراطور الفونسو السابع عام ١١٥٧م / ٥٥٢ هـ .

ومن الأهمية بمكان نذكر أن المصادر التاريخية المعاصرة لأحداث تلك الفترة الزمنية والمصادر المتأخرة عنها زمنيا ، توقفت عن تزويدنا بتفاصيل هذه العلاقات ، فهى بالكاد لم تذكر إلا عبارات مقتضبة وأحداثا غامضة ، باستثناء ماجاء فى مدونة الإمبراطور ، التى أمدتنا بنتف وشذرات يشوب بعضها الخلط وعدم الاتساق والترتيب الزمنى ، كما أن المصادر البرتغالية المتأخرة زمنيا للفترة ، موضوع البحث كانت تمر سريعا على الحروب بين قشتالة والبرتغال ، وازداد تركيزها حول أعمال الفونسو هنريكز ، وحروبه ضد المسلمين .

ونخلص من كل ذلك إلى سياسة الفونسو هنريكز تجاه مملكة قشتالة - ليون ، كانت

للدفاع عن استقلال بلده ، كما أنه كان فى كل حروبه ضد الإمبراطور الفونسو السابع مؤيدا من شعبه ، دون أن يعانى من مشاكل أو تمردات داخلية مثلما كان الحال داخل مملكة قشتالة - ليون ، مما ساعد الفونسو هنريكز إلى حد كبير على تأكيد استقلال مملكته والعمل على رفع شأنها .

علاقته السياسية بفرديناند الثانى ملك ليون

(١١٥٧ - ١١٨٥م / ٥٥٢ - ٥٨١ هـ)

على أية حال ، كانت معاهدة سمورة عام ١١٤٣ م / ٥٣٨ هـ نقطة تحول فى تاريخ العلاقات الثنائية بين مملكتى البرتغال وقشتالة - ليون لوضعها حدا للاحتكاك العسكرى بينهما ولكن بعد وفاة الفونسو السابع عام ١١٥٧م / ٥٥٢ هـ ، دخل الفونسو هنريكز مرحلة جديدة من الصراع ضد فرديناند الثانى ملك ليون ، لأن مملكة قشتالة وليون قد انفصلتا الواحدة عن الأخرى حسب وصية [٧٦] الإمبراطور الفونسو السابع بين ولديه ، فقد تولى سانشو حكم مملكة قشتالة والأراضي التابعة لها فى أعالى نهر التاجة وعاصمتها طليطلة ، وكان له حق جباية الجزية على مملكتى نافار وأرجون . بينما تولى ابنه الآخر فرديناند الثانى ، حكم مملكة ليون فضلا عن جليقية واستوريش وبعض أراضى الاكسترامادورا ، وفى نفس الوقت ورث عن أبيه حق السيادة على مملكة البرتغال [٧٧]، ومن هنا بدأت المنازعات والمشاكل والحروب المستمرة بين فرديناند الثانى [٧٨]، ملك ليون والفونسو هنركيز ملك البرتغال .

وقد قام الفونسو هنريكز بزيارة رسمية للبلاط الليونى ، لتصفية نزاع قائم بين دير To-jos Outos [٧٩]والكونت روديك بيريز الجليقى حول ملكية وادى جوماريز Villa Gom-ariz فى الأراضى الليونية ، وبمجرد وصول الملك الفونسو هنريكز الى الأراضى الليونية تمت تسوية هذا النزاع واعترف الكونت رودريك بمطالب رئيس الدير المذكور بمساعدة الملك فرديناند الثانى [٨٠]، وقد حضر هذا الاجتماع ووقع على هذه الوثيقة المؤرخة باكتوبر سنة ١١٥٧ م / رمضان ٥٥٢ هـ كل من الملكين وعدد من رجال الدين ورؤساء الأديرة البندكيتيين وكثير من النبلاء .

وهناك سؤال يفرض نفسه حول معرفة السبب الحقيقى لذهاب الملك الفونسو هنريكز إلى

بلاط الملك فرديناند الثانى ، لأن المشكلة القائمة لهذا الدير لاتستدعى سفر الملك البرتغالى ويمكن لغيره من كبار رجال الدين في مملكته أن يحلها اللهم إلا إذا كان الملك الفونسو عزم على السفر لبحث أمور سياسية تتعلق بكلا الجانبين ، وتصادف طرح مشكلة هذا الدير وقت سفره ففضل أن يضمها إلى مباحثاته . رمع ذلك هناك رأى تبناه المؤرخان فليمون وجونثالث ، وجاء على حد تعبيرهما ، أن هذه الزيارة كانت للنظر فى مشاكل الحدود بين البرتغال وجليقية وخاصة تورونيو Toroño وأننا نؤيد هذا الرأى لأن الملك البرتغالى كان مستوليا على هذه المنطقة منذ عام ١١٥٦ م / ٥٥١ هـ ولكن عندما قسم الإمبراطور الفونسو السابع مملكته بين ولديه ، جعل هذه المنطقة ضمن التقسيمات الممنوحة لأسقفية توى ، واستولى عليها الملك فرديناند الثانى[٨١] وهناك احتمال ثالث لهذه الزيارة ، فربما تكون بمثابة جس نبض الملك فرديناند الثانى ومعرفة اتجاهاته بعد أن ورث مملكة ليون والسيادة على البرتغال ، فأراد أن يطمئن على مدى حرص الملك فرديناند على مراعاة حسن الجوار وفى نفس الوقت يعقد معه اتفاقا ، ظاهره بقصد التحالف معه ضد أطماع أخيه سانشو الثالث ملك قشتالة ، وفى باطنه يحول دون توحيد مملكة قشتالة وليون تحت حكم ملك واحد ، حتى لايشكل خطرا عليه فكان الفونسو هنريكز متأكدا من موافقة فرديناند الثانى على ذلك ، للحد من أطماع أخيه سانشو الذى كان يطمع فى ضم مملكة أبيه تحت حكمه .

على أية حال لم تستمر العلاقات الطيبة بين مملكة البرتغال والملك فرديناند الثانى أكثر من سبعة أشهر انقلبت الأمور بعدها رأسا على عقب بسبب معاهدة ساهاجون المنعقدة فى ٢٣ مايو سنة ١١٥٨ ربيع الآخر ٥٥٣ هـ بين فرديناند الثانى وأخيه سانشو [٨٢]فقد اتفق الطرفان على كثير من البنود التى تنظم العلاقة بين الجانبين وجاء فى مقدمتها عدم صداقة أى منهما لملك البرتغال أو أصدقائه بدون موافقة الطرف الآخر والعمل على تقسيم مملكة البرتغال بينهما بجانب مناطق الفتوح والاسترداد فيستولى ملك ليون على المنطقة الممتدة من لشبونه حتى لبله ومايتبعها وعلى منتانجش Montanchez وماردة وبطليوس ويابرة ومارتلة وكارستولا وشلب وما يتبعهم ، فضلا عن نصف مدينة اشبيلية وإيرادها . أما

أخوه سانشو الثالث ملك قشتالة فله ما يتبقى من أراضى الوادى الكبير حتى غرناطة(٨٣) وقد جاء هذا الاتفاق ضربة قاصمة وجهت إلى مملكة البرتغال فهو لم يكتف بحرمانها من الاشتراك فى حركة الاسترداد ، ومد حدودها جنوبا كخط طبيعى لامتداد المملكة فحسب ، وإنما سعى للقضاء عليها وإنهاء وجودها .

وجدير بالذكر أن اتفاق ساهاجون يحمل بين طياته تناقضا كبيرا ويشوبه بعض الغموض فاذا ألقينا نظرة دقيقة فاحصة على أحد بنوده نجده يقرر عدم أحقية أحد الطرفين الموقعين عليه فى إقامة صداقة مع الملك البرتغالى إلا بموافقة الطرف الآخر . ومعنى هذا أن هناك تأكيدا واعترافا من الطرفين بوجود كيان حقيقى لمملكة االبرتغال قتئذ ولكننا نجد فى نفس الوقت بندا آخر من بنود الاتفاق ينفى هذا المضمون ، ويتعلق بانهاء استقلال ووجود مملكة البرتغال وتقسيمها بين فرديند الثانى وسانشو الثالث وعلى ذلك لايكون للبند الأول ضرورة تستحق للاتفاق عليه طالما ليس هناك أصلا وجود للمملكة البرتغال .

وإلى جانب هذا هناك غموض كبير يدور حول دوافع الملك فرديناند الثانى لعقد اتفاق ساهاجون رغم علاقته الطيبة بالملك الفونسو هنريكز وإدراكه بقوة بلاده وسمو مركزه فى شبه الجزيرة الايبيرية . ولعل ذلك راجع إلى قدرة الملك سانشو على إقناعه بالمكاسب ، التى قد تعود عليه من وراء تقسيم مملكة البرتغال والمناطق التى يمكن أن تسترد من المسلمين .

كيفما كان الحال عندما علم الملك البرتغالى باتفاق ساهاجون بدأ الرجوع لسياسته القديمة القائمة على اتقاء شر أعدائه بالهجوم فتقدم بجيشه إلى حدود جليقية الجنوبية ، وهاجم اقليم تورنيو Toroño واستولى عليه فى نفس عام اتفاق ساهاجون سنة ١١٥٨م / ٥٥٣هـ (٨٤)وكان الملك فرديناند الثانى حينئذ موجودا فى شانت ياقب دى كومبوستلا ، ويبدو أنه لم يكن لديه الوقت لكافى ليولى اهتماما كبيرا بما حدث لانشغاله ببعض الأمور جاء فى مقدمتها انتشار الفوضى والحرب الأهلية فى قشتالة بعد وفاة أخيه الملك سانشو الثالث (٨٥)فى ٣٠ أغسطس سنة ١١٥٨م / ٥٥٣هـ ، فأدرك الملك فرديناند عندئذ ضرورة انهاء حالة العداء بينه وبين الفونسو هنريكز . ففى الرابع والعشرين من شهر نوفمبر

من نفس العام سنة ١١٥٨ م / شوال ٥٥٣ هـ تقابل مع الملك البرتغالى فى كابريرا Cab-rera لمناقشة المشاكل المعلقة بين المملكتين [٨٦]، وأطلق الملك فرديناند الثانى حنئذ على نفسه ملك أسبانيا Hispaniaum Rex[٨٧] .

ويبدو أن هذه المقابلة كانت بداية لعدة لقاءات أخرى تمت بين هذين الملكين لحل المشاكل المعلقة بين البلدين بالطرق السلمية ، فالتقيا فى شنتمرية الغرب فى ٢٢ ديسمبر سنة ١١٥٩م / ذى الحجة سنة ٥٥٤ هـ وحدث لقاء ثانى فى سلانويا ٢٨ ديسمبر ١١٥٩م / ذى الحجة ٥٥٤ هـ Celanova [٨٨]ولكن مما يؤسف له أن الوثائق التى أفادتنا بذلك لم تذكر أية تفاصيل عما دار فى هذه اللقاءات أو النتائج التى أنتهت إليها ، ولكننا نرى أن الملك فرديناند الثانى عندما انهمك فى الحرب الأهلية القشتالية بكل إمكاناته أراد أن يؤمن ظهره من جانب الملك الفونسو هنريكز ويضمن عدم هجومه عليه أو مساعدة وتأييد الحزب المعادى له فى قشتالة .

وفى زحمة هذه الأحداث أنهت أرجون تبعيتها لمملكة قشتالة فأدرك الحاكم الأرجونى ريموند برنجير الرابع حرج موقه وشدة احتياجه إلى حليف قوى يسانده فى الوقوف أمام احتمال دعوة فرديناد الثانى - باعتباره ملكا للأسبان بالسيادة عليه - فتوجه على الفور إلى توى فى يناير ١١٦٠م / محرم ٥٥٥ هـ ووقع معاهدة صداقة وتحالف مع الملك الفونسو هنريكز [٨٩]ولكى يدعم أواصر هذه الصداقة والتحالف تقدم لخطبة مافلدا ابنة ملك البرتغال لابنه ريموند برنجير ولكن لم تدم هذه الخطبة لوفاة العروس [٩٠].

وقد أظهر الملك فرديناند الثانى عندئذ عدم ارتياحه لهذا التحالف وخشى أن ينشغل فى الحرب الأهلية القائمة فى قشتالة ، فيقوم الفونسو هنريكز بالهجوم على بلاده فآثر التريث قليلا والعمل على تحصين بعض المراكز الحيوية على حدود مملكته مع البرتغال ليسد الطريق على خصمه فحصن مدينة رودريك باعتبارها مركزا هاما للدفاع عن حدود جليقية الجنوبية وحدود مملكة ليون مع البرتغال ، لأنها نقطة للاتصالات بين سلمنقة إلى قلمرية . كما اهتم أيضا بتحصين مدينة ليدسمو Ledesmo باعتبارها قاعدة متوسطة بين مدينة رودريك وسمورة [٩١]، ثم استعان بعد ذلك بجامعات كثيرة من سمورة وأراضى ليون

وبعض مدن السلمنقيين للاستقرار فى هذه المناطق مقابل منحهم امتيازات كثيرة (٩٢)، فكان لكل هذه الإجراءات أثر كبير فى تفرغه لمشاكل الحرب الأهلية فى مملكة قشتالة .

وكان الملك الفونسو هنريكز ينظر بعين الخوف والقلق للتحصينات والاستعدادات التى قام بها ملك ليون ، واعتبرها خطرا يحدق بمملكته ولذا فقد انتهز فرصة انشغال الملك فرديناند الثانى فى حروبه الأهلية فى مملكة قشتالة ، وتمرد بعض السلمنقيين عليه ، وتوجه بجيشه فى يناير سنة ١١٦٣ م / صفر٥٥٨ هـ واستولى على مدينة سلمنقة (شلمنقة) (٩٣) وأتبعها بالاستيلاء على أقاليم ليميا وتورينو (٩٤) وفى نفس الوقت أخذ يمد يد المساعدة إلى آل لارا فى قشتالة ضد الملك فردينتاند الثانى . ولكن الجليقيون استطاعوا شحذ قواتهم وطردوا قوات الملك الفونسو هنريكز من جنوب جليقية (٩٥) . ويبدو أن ذلك مرجعه أن الملك الفونسو هنريكز قد ترك بعض القوات فى تلك المدن ، وتوجه بالقسم الباقى من جيشه إلى حدوده الجنوبية لمواصلة حركة الاسترداد ، مما سهل مهمة القوات الجليقية .

ولكن لم تثبط عزيمة الملك الفونسو هنريكز ، وبدأ الاستعداد للهجوم مرة أخرى على جنوب جليقية فى أوائل عام ١١٦٥م وأوائل عام ٥٦٠ هـ خاصة وان حركة تحصينات المدن المواجهة لحدود مملكته مستمرة فقرر الهجوم المباغت على المنطقة الواقعة بين خط وادى التاميجو Valle del Tamego ومن ليما حتى مدخل أورنس وربيا دوبيا Ribadovia إلى الغرب حتى يصل إلى مدينة توى وذلك لضعف الإمكانات الدفاعية بهذه المنطقة وقد نجح فى ذلك فى ذلك إلى حد كبير واستولى مرة أخرى على ليميا وتورنيو وتوى ، واستمر فى مهاجمة القلاع والاستيلاء عليها حتى وصل إلى قلعة سدوفيتا Cedofeita التى تعتبر مفتاحا للطريق نحو مدينة شانت ياقب دى كومبوستلا (٩٦) وعندما علم الملك فرديناند الثانى بما حدث قرر العودة من الأراضى القشتالة على رأس جيش قوى لمواجهة ملك البرتغال وإعادة الأمور إلى ماكانت عليه ، ولكن يبدو أن كل من الملكين قد فكرا فى وقت واحد فى الالتجاء إلى حل المشاكل بينهما بالطرق السلمية حقنا لدماء قواتهما ، لذا

اجتمعا معا فى ليريز (٩٧) فى ٣٠ ابريل سنة ١١٦٥ م جمادى الآخر سنة ٥٦٠ هـ على الجسر القديم Puente viejo واتفقا على عقد السلام بينهما (٩٨) ، وتدعيما لأواصر الصداقة تزوج الملك الليونى من الأميرة البرتغالية أوراكا ابنه الملك الفونسو هنريكز فى ١٦يونيو سنة ١١٦٥ م / شعبان ٥٦٠ هـ (٩٩).

على أية حال ، بعد أن عقد الملك الفونسو هنريكز معاهدة السلام مع الملك فرديناند الثانى وجه نشاطه إلى حركة الاسترداد ، وحقق إنجازات كبيرة فى ذلك الشأن فاستولى من المسلمين على العديد من مدنهم وقلاعهم مثل يابرة وترجاله وقاصرش ومنتانخش وشيربه وجلمانية عن طريق تابعة المغامر خيرالدوسيمبافور (١٠٠) وجدير بالذكر أنه على الرغم من العلاقة الطيبة التى تربط الفونسو هنريكز بالملك الليونى آنذاك إلا أنه كان ينظر دائما إلى مملكة ليون نظرة خوف وقلق ، خاصة وأن الملك فرديناند الثانى كان مستمرا فى تحصين مدينة رودريك وباقى مدن الحدود ، فبدأ يعد جيشه لمهاجمته جنوب جليقية وهدم التحصينات الموجودة هناك ، ويروى المؤرخ رودريك الطليطلى بأن الملكالفونسو هنريكز كان عليلا وقتذاك فأسند قيادة الجيش إلى ابنه سانشو (١٠١) فخرج على رأس قوات الجيش حتى وصل إلى مدينة رودريك واستولى عليها (١٠٢) فى أواخر سنة ١١٦٦ م / ٥٦٢ هـ وأوائل ١١٦٧ م / ٥٦٢ هـ ، وكان الملك فرديناند الثانى حينئذ مشغولا بحروبه فى مملكة قشتالة ضد ابن أخيه وأتباعه آل لارا ، ولكنه بادر على الفور بترك ميدان القتال فى قشتالة مع بعض قوات جيشه وأسرع بالبقية الباقية إلى جنوب جليقية . والتقى جيش الملك الليونى مع جيش البرتغال فى أرجنال Arganal وبعد مصادمات دامية بين الطرفين أحرز الليونيون النصر عليهم " (١٠٣) . وهرب البرتغاليون بصحبة الأمير سانشو تاركين عددا كبيرا من القتلى والأسرى فى أيدى الليونيين . ولكن يبدو أن الملك فرديناند أراد أن يعمل حسابا لصهره ملك البرتغال ، وأن يحد من غضبه فأطلق سراح الأسرى البرتغاليين (١٠٤) ليظهر حسن نواياه تجاهه فيسود السلام بينهما ، ويتفرغ هو لحربه فى قشتالة (١٠٥) .

ولكن يبدو أن مافعله الملك فرديناند الثانى لم يخفف من حدة غضب الملك الفونسو

هنريكز كما توقع ، وفى نفس الوقت لم يشأ أن يستسلم للهزيمة ، فأعد جيشا كبيرا وتوجه إلى جنوب جليقية فى سنة ١١٦٧م / ٥٦٢ هـ واستولى على مدينة توى ، ثم عرج شمالا وأخضع إقليم تورنيو حتى ضفاف نهر ليريز ، ثم واصل سيره تجاه الشرق واستولى على اقليم ليميا . ثم قسم جيشه إلى قسمين ليحقق نجاحا فى الاستيلاء على مناطق مختلفة مثل قلعة ساندينو Sandino ولكى يؤمن المحافظة على انتصاراته أمر باعادة تأسيس قلعة سدوفيتا Cedofita بالقرب من سيانوبا Cellanova (١٠٦) وبذلك يكون قد ضمن توطيد نفوذه فى المنطقة الممتدة من ليميا حتى تورنيو ، ثم عاد إلى مملكته ليواصل حركة الاسترداد (١٠٧).

ولكن الملك فرديناند الثانى لم يرض بالهزيمة وبسيطرة البرتغال على المناطق العديدة التى استولى عليها الفونسو هنريكز فى جنوب جليقية ، فسار بجيشه عن طريق جنوب جليقية لإعادة الأمور كما كانت عليه تحت سيطرته . ففرض الحصار حول قلعة سدوفيتا - التى أعاد تأسيسها الملك الفونسو هنريكز - فى عام ١١٦٩ م / ٥٦٣ هـ ولكن قاومت حاميتها بشكل عنيف مما أرهق قوى القوات الليونية وجعلها تفكر فى الانسحاب لولا أن هبت عاصفة شديدة فى إحدى الأمسيات نتج عنها تطاير أحد الصواعق فأصابت البرج الرئيسى للقلعة وصعقت جنود الحامية ، فدب الذعر فى قلوب باقى جنود الأبراج الأخرى مما دفعهم إلى الاستسلام بدون قتال (١٠٨).

وكان الجيش البرتغالى فى ذلك الوقت مشغولا بمحاولة الاستيلاء على مدينة بطليوس من المسلمين وفرض عليها الحصار بقيادة خيرالدو سيمبافور (١٠٩) ، فى سنة ١١٦٩ م / ٥٦٣ هـ . ولكن البرتغاليين عانوا كثيرا من شدة مقاومة حامية المدينة وقوة تحصيناتها مما تطلب خروج الفونسو هنريكز بنفسه على رأس جيش كبير فى مايو ١١٦٩م / رجب ٥٦٣هـ لتسهيل سقوط المدينة فى أيدى البرتغال (١١٠) وكان الملك فرديناندو الثانى يراقب تطورات الأمور بحذر شديد ، ويخشى سقوط مدينة بطليوس فى أيدى البرتغاليين لأنها تقع ضمن منطقة استرداده طبقا لاتفاق ساهاجون . ولذلك فانه ترك مهمة استرداد المناطق التى استولى عليها البرتغاليون فى جنوب جليقية ، وأسرع بجيشه تجاه مدينة

بطليوس بحجة مساعدة الموحدين طبقا لمعاهدة الصداقة والتحالف المبرمة بين الطرفين خاصة وقد سبق لهم أن مدوا يد العون إليه فى حروبه ضد مملكة قشتالة [١١١] فأرسل الملك فرديناند الثانى فى السر رسولا عنه إلى أبو على عمر بن تمصيلت وإلى مدينة بطليوس ، ليشد من أزر الأهالى المحاصرين ويطلب منهم أن يرشدوه إلى أسهل الطرق المؤدية إلى دخول المدينة ليساعدهم فى محنتهم وفك الحصار عنهم . ثم نظم معهم طريقة الهجوم على القوات البرتغالية ، فتم له ما أراده . واشتد القتال بين الطرفين المتحاربين الموحدين وتؤازرهم قوات ملك ليون من جانب ، والقوات البرتغالية من جانب آخر . وانتهى الأمر بهزيمة البرتغاليين وفرار عدد كبير منهم ، وعلى رأسهم مليكهم الفونسو هنريكز نفسه [١١٢] ولكن شاء القدر أن يقع هذا الملك أسير عند خصمه ، عندما اصطدمت ساقه اليمنى بشدة بعمود باب المدينة فسقط من فرسه وكسرت ساقه وأغمى عليه ، فحمله أصحابه إلى موضع يسمى قاية شمال غربى بطليوس فطاردتهم قوات الملك فرديناند الثانى وأسرت الملك الجريح وعددا من أصحابه [١١٣] وعندما عرض على الملك فرديناند الثانى كان فى حالة يرثى لها ، ولكنه استقبل صهره بلطف وأجلسه إلى جانبه على العرش الملكى فتأثر الملك الفونسو هنريكز من هذا اللقاء واعترف بخطئه وعرض على زوج ابنته - كما تذكر المدونات المسيحية - تسليم مملكته والتنازل عن أملاكه إلى الملك فرديناند الثانى ، ولكن الأخير رفض هذا العرض ولم يطلب أكثر من المناطق التى استولى عليها الفونسو هنريكز فى جنوب جليقية ، وأن يسلم له خيرالدوسيمبافور كل المدن والقلاع التى استولى عليها من المسلمين تنفيذا لاتفاقية ساهاجون [١١٤] وبالفعل وافقه الفونسو هنريكز على ذلك وتسلم الملك فرديناند الثانى بالفعل (منتجانش) منتابخش وترجالة وسانت كروس (شنت أقروج) وباقى الحصون التى كانت فى حوزته [١١٥] ثم أمر باطلاق سراح الملك البرتغالى [١١٦] وفى نفس الوقت قام الملك فرديناند بتسليم مدينة بطليوس للموحدين .

وجدير بالذكر أن تسليم ملك ليون مدينة بطليوس إلى الموحدين ، رغم وقوعها فى نطاق فتوحاته كان إجراء مؤقتا أملته عليه الضرورة حينئذ ، لأن أمكاناته الحربية كانت

لاتساعده على الاحتفاظ بتلك المدينة ، خاصة وأن جيش الموحدين كان معسكرا أمام أبوابها لنجدتها ، هذا فضلا عن الصداقة والود التى كانت تربطه بالموحدين آنذاك ، كما أن الحرب بينه وبين البرتغال وقشتالة لم تنته بعد .

واذا كان ملك ليون قد عامل الملك الفونسو هنريكز معاملة طيبة ، فلم يكن ذلك راجعا كما ذكر بعض المؤرخين إلى صلة النسب التى تربط بينهما بقدر ما ترجع إلى بعد نظر ملك ليون ، وأنه يدرك تماما المركز المرموق الذى وصل إليه الفونسو هنريكز داخل شبه الجزيرة الايبيرية وخارجها بفضل بطولته وأعماله الحربية العديدة ضد المسلمين ، وماترتب عليها من استيلائه على مدن وقلاع اسلامية عديدة . كما أنه لم يغب عن ذهنه أيضا مدى تأييد البرتغاليين وحبهم وإخلاصهم له ، فضلا عن الصلات القوية التى كانت تربط الفونسو هنريكز بالبابوية فهو خاضع للسلطة البابوية ويدفع الجزية السنوية لها ، وفى نفس الوقت يعد أحد فرسانها المنفذين لسياستها وأوامرها ولذا اكتفى الملك فرديناند بتخلى الفونسو هنريكز عن المناطق التى فى حوزته فى جنوب جليقية بجانب المدن والقلاع الإسلامية التى استولى عليها الفونسو هنريكز وأتباعه بعد عام ١١٥٨م .

على أية حال بعد أن تسلم الملك فرديناند الثانى المدن والحصون من خيرالدو سيمبافور قام بتسليم بعضها إلى جماعة فرسان رهبان القديس شانت ياقب (القديس يعقوب) فى سنة ١١٧٠م / ٥٦٥ هـ ليتولوا حمايتها والدفاع عنها (١١٧) .

لم تستقر الأوضاع كثيرا حتى قام خيرالدو سيمبافور مرة أخرى بهجمات شديدة على مدينة بطليوس عام ١١٧٠م / ٥٦٥ هـ وقطع عنها سبل المؤن والإمدادات مما دفع الملك فرديناند الثانى إلى الخروج على رأس قواته تجاه بطليوس ووصل بالقرب من نهر وادى يانه ليترقب الوضع ، وأن يسارع إليها قبل سقوطها فى أيدى البرتغاليين . وعندئذ تجمعت قوات الموحدين بقيادة أبى سعيد بالقرب من المدينة وأرسلت رسولا من جانبها إلي الملك فرديناند ليتعرف على نواياه تجاه المدينة . ولما تأكد له أنه قدم لمساندته ضد البرتغاليين قرر تجديد الصداقة والود بينهما ، والتعاون معا للوقوف ضد البرتغال (١١٨).

وكان الملك الفونسو هنريكز وقتذاك يعانى من عجز ساقه عن الحركة فأعلن تعميد ابنه

سانشو فارسا فى قلمرية ١٥ أغسطس سنة ١١٧٠ م ذى الحجة ٥٦٥ هـ ليقود جيوش البرتغال نيابة عنه [١١٩] وليكون ذلك بداية لمشاركته فى حكم المملكة خاصة وأن الموحدين قد بدأوا يدركون خطورة مملكة البرتغال على أراضيهم ، وبدأوا فى توجيه نشاطهم ضدها . ولكن سرعان ماتطورت الأحداث مما كان له أكبر الأثر على هدوء العلاقات البرتغالية الليونية حيث أدرك الملك فرديناند الثانى خطورة الموحدين وازدياد نشاطهم مما دفعه إلى إنهاء التحالف معهم ، وقام بمهاجمة الأراضى الأندلسية مما أغضب الخليفة أبا يعقوب يوسف ، وأمر بخروج حملة عسكرية قوية من أشبيلية بقيادة أخيه السيد أبى حفص فى سبتمبر سنة ١١٧٤م / صفر ٥٧٠ هـ وهاجمت مدينة رودريك (روديجو) من ممتلكات الليونيين ولم تستطع اقتحامها فاستولت على أغلب الحصون والتى كان الملك فرديناند الثانى قد منحها لجماعة القديس شانت ياقب [١٢٠] ويتضح من ذلك أن الليونيين قد حظوا باهتمام الموحدين مما أدى إلى تخفيف الضغط على البرتغاليين واصبح كل من الليونيين والبرتغاليين يواجهون هجمات الموحدين وغاراتهم ، فلم تتح الفرصة لأى احتكاك بينهما ، كل ذلك بالإضافة إلى عامل هام كان له أثر على العلاقات البرتغالية الليونية وهو صدور القرار البابوى فى عام ١١٧٥ م / ٥٧١ هـ [١٢١] ببطلان زواج الملك فرديناند الثانى من الملكة أوراكا ابنة الملك الفونسو هنريكز للقرابة الشديدة ، أى أن ارتباط المصاهرة بين الملكين قد انفصم فى وقت أصبح جل اهتمامهم موجها إلى العدو المشترك لهم .

وجدير بالذكر أنه مهما تصل العلاقات بين البرتغاليين والليونيين إلى أى درجة من السوء ، فسرعان مايتناسو الخلافات بينهما ويتحدون أمام ظهور خطر مشترك لكليهما ، ولعل ذلك قد ظهر عندما أخذت جيوش الموحدين تواصل حملاتها العسكرية ضد المدن الأسبانية والبرتغالية ففى ١١٨٤م / ٥٨٠ هـ خرج الخليفة أبو يعقوب يوسف على رأس جيش كبير متجها إلى مدينة شنترين للاستيلاء عليها [١٢٢] وكان الملك الفونسو هنريكز متحصنا بها . لأن الموقف ينذر بالخطر الشديد آنذاك علي الممالك المسيحية فى شبه الجزيرة الأيبيرية لأن ضخامة جيش الموحدين بقيادة الخليفة نفسه إلى جانب الاستعدادات

الضخمة التى أعدت لهذه الحملة جعلت ملوك شبه الجزيرة ينظرون إليها بعين القلق والخوف ، واعتبروا استيلاء المسلمين على شنترين وهزيمة الملك الفونسو هنريكز مما ينذر بنهاية كل المكاسب التى أحرزوها ، ولذلك سرعان ماجمع الملك فرديناند الثانى جيشا كبيرا وسار علي رأسه متجها إلى مدينة شنترين لمد يد العون إلى البرتغاليين . وفى نفس الوقت قدم رئيس أساقفة شانت ياقب مبالغ باهظة لخدمة الملك فرديناند الثانى فى مناهضة جيش الموحدين (١٢٣) ، وعندما وصل الجيش الليونى بالقرب من مدينة شنترين اعتقد الملك الفونسو هنريكز أنه حضر لمساعدة الموحدين ضده ، مثلما حدث أمام مدينة بطليوس ، فأرسل إلى الملك الليونى سفارة لينهاه عن هذا العمل ويرجوه تقديم المساعدة له أو الوقوف على الحياد . وعندما علم بنيته الحقيقية فى الحضور انتشى بالسرور وقدم إليه مزيدا من الشكر (١٢٤) وقد تطورت الأحداث فيما بعد لصالح ملك البرتغال بانسحاب جيش الموحدين ومطاردة القوات البرتغالية له حتى قضت على عدد كبير منه وأصيب الخليفة أبو يعقوب يوسف نفسه بجرح عميق أدى إلى وفاته (١٢٥) ومنذ تلك اللحظة والعلاقات الطيبة بين الملك فرديناند الثانى ملك ليون والملك الفونسو هنريكز مستمرة .

وخلاصة القول أثبتت الأحداث التاريخية أن الملك الفونسو هنريكز كان قائدا سياسيا محنكا ، ومن أعظم محاربى شبه الجزيرة الايبيرية ، وقد تأكد ذلك من خلال الحروب العديدة التى خاضها سواء ضد المسلمين حيث أضاف من خلالها مكاسب كبيرة تمثلت فى استيلائه على العديد من القلاع والمدن الإسلامية علي حدوده ، الجنوبية بمساحات شاسعة أو ضد مملكتى قشتالة وليون ، لتأكيد تأسيس مملكته واستقلالها وعلى ذلك تعتبر الدعوة التى كان ينادى بها الملك فرديناند الثانى ملك ليون بالسيادة علي البرتغال قد أصابها الفشل الذريع ، وكذلك الحال بالنسبة لمعاهدة ساهاجون فلم تكن بنودها أكثر من حبر على ورق ولم تدخل دائرة التطبيق العملى لها .

علاقته بالبابوية ومقومات استقلال مملكة البرتغال

وعلى أية حال ، ثار كثير من الجدل حول قضية استقلال مملكة البرتغال وتناولها كثير من المؤرخين بالدراسة والتحليل ، وذهب كل فريق منهم مذاهب شتى متخذا من أحد

العوامل دون غيرها سببا لاستقلال المملكة . فمنهم من اعتمد على أن تأسيس مملكة البرتغال واستقلالها يرجع إلى اختلافها جغرافيا عن سائر شبه الجزيرة الايبيرية وأنها كانت وحدة سياسية وإدارية مستقلة منذ عهد الرومان يطلق عليها إقليم لوزيتانيا (١٢٦) بسبب انفرادها بخواص جغرافية وطبيعية تجعلها اقليما قائما بذاته ، هذا في الوقت الذى يرى فيه بعض المؤرخين أن البرتغال ليست جزءا منفصلا عن شبه الجزيرة الأيبيرية ، وإنما هى جزء مكمل له . (١٢٧)

ويؤيد الباحث الرأى الأخير لأنه إذا كانت البرتغال تتميز ببعض الخواص الجغرافية ، فلا يكون ذلك كافيا لاعتبارها مستقلة عن سائر شبه الجزيرة الأيبيرية ، لأن الأقاليم الأخرى لها أيضا خواص جغرافية تتميز بها دون غيرها .

وهناك رأى آخر يتخذ من الاختلافات الانثربولوجية لسكان البرتغال عن سائر أقاليم شبه الجزيرة الايبيرية سببا لاستقلالها معتمدا فى ذلك على ما أجمعت عليه المصادر والمدونات البرتغالية ، من أن سكان منطقة لوزيتانيا اختصوا بسمات معينة تميزهم عن سكان المناطق الأخرى فى شبه الجزيرة الأيبيرية ، مثل شدة مراسهم وقوتهم ضد السيطرة الأجنبية (١٢٨) ولكننا أيضا لانرى فى ذلك سببا كافيا لتميز سكانها أنثروبولوجيا عن سائر شبه الجزيرة لأن باقى أقاليمها تتميز أيضا ببعض الصفات المعينة غير الموجودة لدى غيرها فى الأقاليم الأخرى وأن جميع سكان شبه الجزيرة بصفة عامة ، هم خليط من الشعوب التى قطنت فى شبه الجزيرة الايبيرية .

ولذلك يرى الباحث أن استقلال مملكة البرتغال لم يتم بسبب العوامل الجغرافية والأنثروبولوجية فحسب ، وإنما كانت هناك عوامل أخرى أسهمت بدور فعال فى ذلك ، يأتى فى مقدمتها دور الكنيسة البرتغالية والرهبان الكلونيين الفرنسيين مع الكونت هنرى البورجونى ، فى تأكيد انفصال إقليم البرتغال عن باقى شبه الجزيرة الايبيرية .

فأسقفية براغا الواقعة فى منطقة لوزيتانيا كانت قائمة بذاتها ومنفصلة عن باقى الأسقفيات الأخرى ، منذ عهد الإمبراطور قسطنطين الكبير بعد اعترافه بالمسيحية (٣١٣م) ، وقد أبقى المسلمين على هذا التنظيم الإدارى والكنسى بعد استيلائهم على

شبه الجزيرة الايبيرية [١٢٩] . وظلت هذه الأسقفية تتمتع باستقلالها ردحا طويلا من الزمن ، حتى أصدر البابا أوربان الثانى فى عام ١٠٨٨م / ٤٨١ هـ ، مرسوما يقضى برئاسة اسقفية طليطلة على باقى أسقفات شبه الجزيرة الايبيرية [١٣٠] . مما أغضب رجال الدين بأسقفية براغا [١٣١] ، ودفعهم إلى أن يضعوا أسقفيتهم تحت سيادة البابا غير الشرعى كليمنت الثالث عام ١٠٩١م / ٤٨٤ هـ [١٣٢] بدلا من خضوعهم لسيادة أسقفية طليطلة[١٣٣] وعندما تولى هنرى البورجونى أمر كونتية البرتغال عام ١٠٩٤م / ٤٨٧ هـ بدأ يوطد علاقته بالقائمين علي خدمة أسقفية براغا ، بهدف مساعدتهم فى الحصول على استقلال أسقفيتهم [١٣٤] حتى يكونوا خير معين له فى تحقيق استقلال كونتيته .. كما كان للكونت هنرى وزوجته دونيا تريزا دور كبير فى تقوية الشعور القومى والنزعة الاستقلالية لدى الأهالى فى البرتغال [١٣٥] ، مما كان له أكبر الأثر في تحقيق استقلال البرتغال فيما بعد ، وقد أكد المؤرخ الأسبانى كاسترو هذه الحقيقة في كتابة " حقيقة تاريخ أسبانيا " عندما رأى أن اعتقاد البرتغاليين باحساسهم وبتاريخهم ووجودهم قبل القرن الثانى عشر الميلادى (السادس الهجرى)[١٣٦] كان عاملا مساعدا لتبلور فكرة استقلال البرتغال . وقد أكدت الأحداث التاريخية ذلك عندما رفض الفونسو هنريكز فى بداية حكمه عام ١١٢٨م / ٥٢٢ هـ رفضا تاما تبعيته لمملكة قشتالة . وقد أيده البرتغاليون فى ذلك [١٣٧] ، كما كان تتويج الفونسو هنريكز ملكا على البرتغال بواسطة شعبه بعد انتصاره على المسلمين فى معركة أوريك عام ١١٣٩م / ٥٣٣ هـ خطوة هامة على طريق استقلال مملكته [١٣٨].

ولكن هذا التصرف قد أدى إلى استفحال الصراع بين كونتية البرتغال ومملكة قشتالة ، مما أدى إلى تدخل البابا أنوسنت الثانى (. ١١٣٠ - ١١٤٣م / ٥٢٥ - ٥٣٨ هـ) لفض المنازعات القائمة بين الطرفين ، وقد كللت مساعيه بالنجاح عندما وفق مبعوثه الكاردينال هيو فى عقد معاهدة سموره بين الطرفين فى سبتمبر عام ١١٤٣م - ٥٣٨ هـ [١٣٩] كان من أهم بنودها موافقة الإمبراطور الفونسو السابع على أن يتلقب الفونسو هنريكز بلقب ملك بشرط أن يكون فصلا له [١٤٠] . ولكن لم يستمر سريان هذه المعاهدة أكثر من ثلاثة

أشهر إذ أرسل الملك الفونسو هنريكز إلى البابا أنوسنت الثانى فى ١٣ ديسمبر ١١٤٣م جمادى الآخر ٥٣٨هـ يعرض عليه التبعية الإقطاعية مع دفع الجزية المقررة عليه (١٤٠) حتى يضمن حمايته له ويضع عراقيل أمام مملكة قشتالة . وفيما يلى فقرات متتالية من نص هذا الخطاب :

« نعلم أن مفاتيح المملكة كانت قد سلمت من السموات عن طريق سيدنا المسيح إلى القديس بطرس ... وأعرض مملكتى للقديس بطرس ولكنيسته المقدسة فى روما مع جزية سنوية أربعة أونس Onzas من الذهب ويسرى ذلك على جميع الذين يحكمون مملكتى من بعدى ، وأنهم عندئذ يدفعون نفس الجزية السنوية للقديس بطرس ... واننى كجندى حقيقى للقديس بطرس والبابوية فى روما أتعهد بالدفاع عن الكرسى الراعى ..... » (١٤٢)

بالتحليل الجامع لمضمون هذا الخطاب يضح أن الفونسو هنريكز ، أراد أن يوضح للبابا بأنه يعلم تماما أن حكم مملكة البرتغال هو منحة من قبل السيد المسيح وعليه أن يظهر ولاءه وخضوعه لخليفته على الأرض المتمثل فى شخصية البابا فقط دون غيره من الملوك والأباطرة وبناء عليه فان نقضه لمعاهدة سموره سنة ١١٤٣م لايشكل خطأ فى حق مملكة قشتالة . مهما يكن الأمر فبعد أن تسلم البابا أنوسنت الخطاب الوارد إليه من ملك البرتغال لم يمهله القدر طويلا للبت فيه إذ وافته المنية .

لما تولى البابا كلستين الثانى (١١٤٣ - ١١٤٤ م / ٥٣٨ - ٥٣٩ هـ) شغلته أمور عديدة عن الرد على الخطاب ، ثم مالبث أن توفى بعد عام من توليه كرسى البابوية وعندما تولى لوكيوس الثانى من بعده أمور الكنيسة اللاتينية (١١٤٤ - ١١٤٥م / ٥٣٩ - ٥٤٠ هـ) (١٤٣) استجاب لمطالب الملك الفونسو هنريكز وأرسل إليه خطابا فى سنة ١١٤٤م / ٥٣٩ هـ بدأه بكلمة دوق البرتغاليين .

dux portucallesis (١٤٤) وذلك دليلا علي عدم موافقته على منحه لقب

ملك[١٤٥] ، وإن كان قد وافق على وضع مملكته تحت حماية الكرسي المقدس [١٤٦] .

ولاشك أن هذا التصرف الناتج من البابا ، إنما أراد من ورائه إنهاء المشاكل القائمة بين الممالك المسيحية الأسبانية ، والعمل على توحيدها لمواجهة القوى الإسلامية المنتشرة فى شبه الجزيرة الأيبيرية .

وعندما علم الإمبراطور الفونسو السابع بذلك ثار وأرسل خطابا إلى البابا ايوجنيوس الثالث فى (١١٤٧م / ٥٤٢ هـ) ينتقد سياسة البابوية وتعاطفها مع الفونسو هنريكز وعدم اعتراف أسقفية براغا برئاسة أسقفية طليطلة لها وفى نفس الوقت أكد له حق مملكة قشتالة فى السيادة الإقطاعية على مملكة البرتغال [١٤٧] . ولكن تضمنت إجابة البابا ايوجنيوس الثالث على إمبراطور أسبانيا الفونسو السابع ، عبارات مبهمة مليئة بالمحبة والعطف والود لشخصية الإمبراطور معلنا اصراره على خضوع أسقفية براغا لسيادة أسقفية طليطلة دون أن يأتى بأخبار عن تبعية البرتغال للسيادة البابوية [١٤٨] .

لم يفقد الملك الفونسو هنريكز الأمل فى إنعام البابوية عليه بلقب ملك ، وتأييد استقلال مملكته ، واستقلال أسقفية براغا عن سلطة أسقفية طليطلة فكاتب البابا أيوجنيوس الثالث ، ومن بعده البابا أدريان الرابع (١١٥٣ - ١١٥٤ م / ٥٤٨ - ٥٤٩ هـ) ، ولكنهما لم يستجيبا له لرغبتهما الحقة في عدم تفتيت الوحدة الأسبانية وبلغ الأمر بأن أنزل البابا أدريان الرابع عقوبات شديدة بخوان بكيولار ، رئيس أساقفة براغا (فى أعوام ١١٥٤ - ١١٥٥ - ١١٥٦ م) لإصراره على عدم الخضوع لرئاسة أسقفية طليطلة[١٤٩] وعدم حضوره اجتماع هام برئاستها حضره مندوبو الأسقفيات الأخرى ، وعلاوة على ذلك قرر البابا خضوع جميع أساقفة البرتغال لرئاسة أسقيفة شانت ياقب اللتين تخضعان بدورهما لأسقفية طليطلة [١٥٠] .

توفى الإمبراطور الفونسو السابع فى سنة ١١٥٧ م / ٥٥٢ هـ وقسمت امبراطوريته بين ولديه سانشو الثالث الذى تولى حكم مملكته قشتالة ، وفرديناند الثانى الذى تولي حكم مملكة ليون بجانب سيادته على البرتغال وقد ترتب على ذلك تفتيت الإمبراطورية إلى مملكتين منفصلتين وسقط لقب الإمبراطور ولم يعد الفونسو هنريكز بذلك طبقا لمفهومه

خاضعا بالتبعية الإقطاعية للإمبراطور ، وأصبح له نفس كل الحقوق والواجبات التى يتمتع بها ملوك ليون وقشتالة (١٥١) .

على أية حال لم يأل الفونسو هنريكز جهدا فى مطالبة البابوية بالاعتراف باستقلاله السياسى والدينى عن مملكتى قشتالة وليون . فأرسل خطابا بهذا المضمون للبابا الجديد اسكندر الثالث (١١٥٩ - ١١٨١ م / ٥٥٤ - ٥٧٧ هـ) وكان أكثر تفهما من غيره من البابوات السابقين للأوضاع السائدة فى شبه الجزيرة الأيبيرية ، فأرسل وفدا برئاسة الكاردينال جاسينتو Jacinto لأجل حل تلك النزاعات ، وتقابل مع الفونسو هنريكز وقررا وجوب خضوع أسقفية براغا لسلطة أسقفية شانت ياقب ذات السيادة على كل منطقة الغرب (١٥٢) .

وقد استمرت جهود الملك الفونسو هنريكز مع البابوية ، حتى أثمرت فى نهاية الأمر بصدور القرار القرار البابوى فى ٢٣ مايو سنة ١١٧٩ م ذى الحجة سنة ٥٧٤ هـ بالاعتراف باستقلال مملكة البرتغال وباغداق لقب ملك على الفونسو هنريكز وذلك من خلال الخطاب(١٥٣) الذى وجهه البابا اسكندر الثالث إلى الملك الفونسو هنريكز والذى استهله بقوله :

« من الأسقف اسكندر خادم خدام الله إلى حبيبه فى المسيح
الابن الفونسو الملك السامى للبرتغاليين وخلفائه إلى الأبد
.... »

ويتضح من خلال هذه الفقرة ، أن البابوية تدعو الفونسو هنريكز لأول مرة بلقب ملك ، وتعترف رسميا بهذا اللقب لخلفائه من بعده مما يدل على استقلال مملكة البرتغال ، ويرى المؤرخ بيدال أن البابوية قضت بهذا الإجراء على كل أمل لاتحاد الأمة الأسبانية مما يؤثر على قوتها فى مواجهة المسلمين (١٥٤) . ولاشك أن هذا الرأى يجانبه الصواب لأن أحلام الأمة الأسبانية المسيحية قد تطايرت بانحلال ، الإمبراطورية بعد وفاة الإمبراطور الفونسو السابع ١١٥٧م ، وأصبح من الصعب تحقيقها مع السياسة التى ينتهجها ملوك أسبانيا فى تقسيم مملكتهم بين أبنائهم ، والحروب الأهلية العديدة التى ترتبت على ذلك بين أبناء الملوك العديدين .

ثم واصل البابا الخطاب بقوله :

« وبرهانا على نشاطه الواضح فى الحرب والكفاح العسكرى من أجل استئصاله الجسور لأعداء المسيح ، ونشاطه فى نشر المسيحية باخلاص معلنا بأعماله الكثيرة ، ابنا طيبا وأميرا كاثوليكيا يحترم الكنيسة الأم تاركا للأجيال القادمة مثلا مبجلا يحتذى به »

وجدير بالذكر أن السبب الذى أوضحه البابا فى السطور السابقة ، لم يكن سببا كافيا لاستقلال مملكة البرتغال ، بل هناك عوامل عديدة أخرى كان لها دور بشأن استقلال مملكة البرتغال وقد نجح الباحث فى التوصل إليها من خلال استعراض الأحداث التاريخية السابقة ويمكن إجمالها فيما يلى :

(١) حروب الملك الفونسو هنريكز ضد المسلمين وبخاصة فى استرداد عديد من المدن والقلاع ، التى أضاف بها مساحات شاسعة من الأراضى ، ومد حدوده الجنوبية إلي الجنوب من نهر التاجه (١٥٥).

(٢) حروبه المستمرة ضد الإمبراطور الفونسو السابع ، وإصراره علي رفض تبعية البرتغال لملكة قشتالة ، فضلا عن معارضته قرار سيادة مملكة ليون على البرتغال بعد وفاة الإمبراطور الفونسو السابع فى سنة ١١٥٧ م / ٥٥٢ هـ (١٥٦) .

(٣) جهوده المثمرة مع البابوية وتنفيذ سياستها وأوامرها مع تدعيمه لاستقلال الكنيسة البرتغالية عن أى تبعية ، أى ربط الاستقلال الزمنى بالاستقلال الدينى .

(٤) التفاف البرتغاليين حوله وتدعيمهم لسياسته الاستقلالية ، وصلابة جبهتهم االداخلية .

واستطر البابا خطابه قائلا :

« استقبلناكم تحت حماية القديس بطرس وحمايتنا مع الحفاظ على شرف وعظمة المملكة ، وتمام الصفة الملكية ، وإننا

فنحكم كل الأماكن التى نجحت فى انتزاعها بفضل مساعدة السمـاء لك من أيدى المسلمين ملكا خالصا لك ولايحق للأمراء المسيحين المجاورين المطالبة بأية حقوق فيها ، ونؤكد هذا بسلطتنا الحوارية ... »

ولم يتمتع الفونسو هنريكز برضا البابا اسكندر الثالث فحسب ، وإنما امتد ذلك إلى وضع مملكة البرتغال تحت حماية البابوية ، وعدم السماح لأى أمير مسيحى بالمطالبة بالأراضى التى استردها الفونسو هنريكز من المسلمين (١٥٧) . وقد وضع البابا بهذا حدا للصراعات والمنازعات التى قد تحدث مستقبلا بين مملكة البرتغال وغيرها من الممالك المسيحية الأخرى فى أسبانيا حول ملكية بعض الممتلكات المستردة من المسلمين .

وقد أوضح البابا فى فقرة أخرى من خطابه أنه نظير فرض حمايته على مملكة البرتغال يلتزم ملكها بدفع للبابوية ماركين من الذهب سنويا (١٥٨)، وفى نفس الوقت وضع البابا اسكندر الثالث حدودا معينة لحماية مملكة البرتغال ضد كل من يحاول الاعتداء عليها أو انتهاك سيادتها سواء كان من العلمانيين أو من رجال الدين مع فرض عقوبات شديدة على من يخالف ذلك (١٥٩) .

وهكذا كان استقلال مملكة البرتغال لايرجع فى المقام الأول إلى قرار البابا عام ١١٧٩م ، بل يرجع إلي مقومات الاستقلال التى كانت تمتلكها البرتغال والتى جعلت منها حقيقة واضحة اعترفت بها البابوية .

وعلى ذلك فان الفونسو هنريكز يعتبر المؤسس الحقيقى لمملكة البرتغال بانتهاجه سياسة خارجية مع الممالك المسيحية ، تعتمد على إنهاء تبعية وتسلط مملكتى قشتالة وليون على كونتيته وتحويلها من كونتية إلى مملكة مستقلة .

الهوامش :

١ - Paez , Principios del Reyno de portugal , p . 84 .

٢ - أنظر ماسبق ص ٤٢ من هذا البحث .

٣ - La cronica de Alfonso El Emperador ; C . L . R . , T 2 . p . 181 ; C . F . also : Gonzales , Reconquista Y Repoblacion , p . 179 .

أنظر ماسبق حول هذه المعاهدة ص ٦٠ من هذا البحث .

٤ - Zurita , Anales de la corona de Aragon , T 1 , p . 161 ; CF . also : Re- cuero , M . A . Alfonso VII Emperador Leon , Leon 1979 , pp . 104 - 105 .

عنان ، نفس المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٤٨٨ .

٥ - هي إحدى القلاع المنتشرة على الحدود بين مملكتي قشتالة وأرجون .

٦ - La cronica de Alfonso El Emperador , C . L . R . T 2 , pp . 199 - 201 ; CF . also : Recuero , op . cit . , p . 106 .

عنان : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٤٨٩ .

٧ - Historia compostelana , E . S . , T . 20 , pp . 464 - 469 ; Sandoval , op . cit . , pp . 141 - 142 . , Altamira , R . , Spain , Cam . Med . Hist . , Combridge , 1972 , TVI , PP . 405 ; Lozoya , op . cit . , p . 423 .

٨ - كان برمودبيريز زوج أخت الفونسو هنريكز وحاكم مدينة سيا - قد تجنب الإشتراك مع أخيه فرديناند ودونيا تريزا في صراعهما مع الأمير الفونسو هنريكز ، ولذلك ثبت حاكما لسياحتى ١١٣١ م . عندما بدأ تمرده .

Herculano , Historia de portugal , Vol . 3 , pp . 10 - 11 ; Cesar , op . cit . p . 30 .

٩ - Chronicon , Lusitano E . S . , T . 14 , p . 409 ; CF . also , Stephens , op . cit . , p . 37 ; Cruz , op . cit . , p . 37 ; Walter , ˜M . B . , Alfonso I von prtugal , p . 26 .

١٠ - كان برمود قد توجه إلى الدير وأصبح راهبا . Stephens , op . cit . , Loc . cit ، أما فرديناندبيريز فقد توجه إلى الفونسو السابع في ليون حيث عينه للاشراف على الحدود الجليقية مع البرتغال ...

Livermore , A history of portugal , p . 50 .

١١ - بعض المؤرخين وضعوا تلك الأحداث في عام ١١٣٠ م .

Stephns , op . cit . , Loc . cit . , Cruz . op . cit , Loc . cit .

ولكن مدونة القوط ومعظم المؤرخين اتفقوا على أنها تمت سنة ١١٣١ م .

Cronica dos Godos A pendice Brandão , p . 268 ; CF . also : Herculano , op . cit . , p . 11 ; Camara pina , op . cit . , p . 47 Walter , op . cit . , Loc . cit , Serrão , op . cit . p . 82 .

١٢ - La Croinca de Alfonso El Emperador , p . 257 . ; Zurita , op . cit . , p . 160 ; CF . also : Herculano , op . cit . , pp . 13 - 14 ; Cesar , op . cit . , p . 30 .

١٣ - La Cronica de Alfonso , p . 257 , CF . also : Herculano op . cit . , p .

14 , Livermore , A new history of portugal p . 50 .

١٤ - La Cronica de Alfonso , p . 257 , CF . also : Cesar op . cit . , Loc . cit .

١٥ - La cronica de Alfonso , pp . 223 - 225 , CF . also : Recuero : op . cit . , p . 117 . ; Ballesteros , op . cit . , p . 351 .

١٦ - Recuero , op . cit . , p . 118 .

١٧ - كان الملك الفونسو المحارب قد أنزل ضربات عديدة بالمرابطين واستولى على العديد من المدن أهمها سرقسطة ثم اتجه فى سنة ١١٣٤م / ٥٢٨ هـ للاستيلاء على مدينة افراغة ولكن هاجمه المرابطون بقوات ضخمة وكانت معركة شديدة انتهت بانتصار المرابطين ومقتل الملك الفونسو المحارب . ابن القطان ، نظم الجمان ص ٢١٨ - ٢٢٢ .

Rodrigo , Historia de los hechos de España , p . 270 .

أشباخ ، نفس المرجع ، ج ١ ، ص ١٧٤ .

١٨ - بدأ الفونسو السابع تنفيذ فكرة تتويجه امبراطورا على أسبانيا ، بعدة إجراءات تمهيدية لفرض سيطرته على الممالك المسيحية فى شبه الجزيرة واستهلها بارغام الملك الأرجونى الجديد راميرو الثانى على الخضوع له وتأييده فى معاركه المختلفة ضد مناوئيه ، فضلا عن التنازل له عن مدينة سرقسطة

Cronica de san juan de la peña , p . 99 ; CF . also : Recuero , op . cit . , pp . 124 - 125 .

أما بالنسبة لمملكة نافار فبعد وفاة الملك الفونسو المحارب اجتمع أعضاء مجلس الكورتيس فى بامبلونا ، واختاروا دون جارثيا راميرز حفيد الملك سانشو الكبير ملكا عليهم والذى فى أشد الاحتياج لمعاونة الملك الفونسو السابع لتوحيد ملكه ، وبذلك بدأ حكمه معترفا بسلطة الملك القشتالى عليه .

Moret Y . Aleson , Annales del Reyno de Navarra , T 11 Bilbao , 1969 , pp . 344 - 345 ; Cronica de la corona de Aragon , p . 20 ; CF . also : Lacarra , Historia politica del reino de Navarra , Vol . 2 , p . 12 ; Lozoya , op . cit , p . 426 .

١٩ - لم يكن الفونسو السابع أول من حصل على هذا اللقب وإنما سبقه إليه من ملوك أسبانيا مثل الفونسو الثالث (٨٦٦ - ٩١٠ م) وكانوا ينادونه بالإمبراطور العظيم وكذلك أوردينو الثانى (٩١٤ - ٩٢٣ م) وراميرو الثانى (٩٣٠ - ٩٥٠ م) وراميرو الثالث (٩٦٥ - ٩٨٢ م) وسانشو الكبير (١٠٢٧ - ١٠٣٥ م) وفرديناند الأول (١٠٣٥ - ١٠٦٥ م) والفونسو السادس (١٠٦٥ - ١١٠٩م) وأخيرا الفونسو المحارب ملك أرغونة (١١٠٤ - ١١٣٤ م) .

pidal , R . M . , España del cid , Buenos Aires 1939 , pp . 33 - 34 .

ويرى ليفى بروفنسال أن اللقب الإمبراطورى فى الملكية الأشتورية الليونية مقتبس من القاب الخلافة أو أمير المؤمنين الذى استعمله الحاكم المسلم فى قرطبة منذ عهد عبد الرحمن الثالث سنة ٩٢٩ م ولكن يعتقد بيدال أن هذا اللقب كان يستخدم قبل ذلك بقليل وأن لقب الإمبراطور يعنى الملك الأعلى أو ملك الملوك .

pidal , El Imperio Hispanico Y los cinco reinos , pp 34 - 35 .

٢٠ - وصفته مدونة الإمبراطور بأنه كان مرتديا ثوبا أرجوانيا خاصا وعلى رأسه تاج من الذهب مرصع بالجواهر ، وكان على يمينه جارثيا ملك نافار وعلى يساره أسقف ليون يمسكان بالتاج ، فتقدم رئيس أساقفة طليطلة وفى يده الصولجان ووضع التاج على رأسه .

La cronica de Alfonso , p . 249 ; CF also : Recuero , op . cit . , pp . 129 -

133 ; Herculano , op . cit . , p . 16 .

أنظر أيضا اشباخ ، ج ١ ص ١٨٥ - ١٨٦ .

وفى الوقت الذى أشارت فيه المصادر الإسلامية إلى أن الفونسو السابع قد استخدم لقب إمبراطور ، نجد أن ابن الكرديوس وابن الخطيب وابن عذارى وابن القطان دون غيرهما من المؤرخين العرب ، أشار بوضوح أن ألفونسو قد اتخذ لقب « السليطين » ابن الكرديوس ص ١٢٠ .

ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣٣٠ ، ابن عذارى ، ج ٤ ، ص ٨٦ ، وابن القطان ، نظم الجمان ، ص ١١٣ .

٢١ - هو أحد أمراء بنى هود واسمه عماد الدولة أبو جعفر أحمد بن عبد الملك وتلقب بسيف الدولة المستنصر بالله وكذلك المستعين بالله الثانى هو بن احمد المستعين الأول بن المؤتمن بن المقتدر أحمد واستمر فى حكم روطةRueda وهى حصن من أعمال سرقسطة وأحد معاقلها المنيعة فى منطقة الثغر الأعلى " . وحذا حذو أبيه فى محالفة المسيحيين والانضواء تحت حماية الفونسو المحارب ملك أرجونة ، ولكن عندما شعر بوطأة هذا النير ، رأى أن يتجه إلى ملك قشتالة الفونسو السابع وأصبح حليفا وتابعا له . ، المرجع السابق ، ص ١٢٨

وكذلك أحد المراجع الأجنبية أنظر :

Codera , op . cit . , pp . 24 - 25 .

٢٢ - La Cronica de Alfonso , p . 249 ; Sandoval , op . cit . , p . 156 ; Textos Y documentos , p . 268 ; Morety Aleson , op . cit . , pp . 362 - 363 .

٢٣ - وقد انفرد المؤرخ أشباخ دون غيره من المؤرخين القدامى والحديثين فى ذكر حضور أحد الأمراء سفيرا لألفونسو هنريكز . أشباخ ، نفس المرجع ج ١ ، ص ١٨٥ .

٢٤ - أنظر الملحق الأول الذى يوضح نسبهما .

٢٥ - أنظر تفاصيل هذا الاتفاق فى الفصل الأول ص ٤٣ .

٢٦ - كان راميرو الثانى راهبا فى الأصل وعدم استطاعته قيادة مملكة أرجون بعد وفاة أخيه الملك الفونسو المحارب سنة ١٠٣٤ م مما دفعه إلى أن يقرر اعتزال الحكم وتزويج ابنته من ريموند برنجير الرابع ، وأن خليفتهما يتولى حكم ، مملكة أرجون ومعها كونتية برشلونة .

٢٧ - cronica de al corona de Aragon , p . 25 ; cronica de San Juan de la peña , pp 96 - 97 ; CF . also : Recuero , op . cit . , pp . 126 - 127 .

٢٨ - La cronica de Alfonso VII , p . 253 ; CF . also : Manuel , Historia de Alfonso VII , p . 26 ; Callaghan , A History of Medieval Spain , London , 1975 , p . 224 .

٢٩ - La cronica de Alfonso , p . 255 ; Sandoval , op . cit . , p . 166 .

٣٠ - تنطق اسم مملكة نافار (نبره) Navarra فى اللغة الأسبانية نابرة وأطلقة عليها المصادر العربية بنفس الإسم نبرة ولكن آثرنا استخدام الإسم الشائع نافار والذى أتى من قراءة الفرنسيين لتلك الكلمة فكانوا ينطقون حرف الباء (V) الأسبانية كأنه حرف (V) فى الفرنسية .

٣١ - Carlos , Cronica de los Reyes de Navarra , p . 96 ; CF . also : Recuero , op . cit . , p . 157 .

٣٢ - مناطق تقع على الحدود بين مملكة قشتالة ومملكة نافار .

٣٣ - Moret Y Aleson , op . cit , pp . 378 - 379 , CF . also : Ubieto : Navarra - Aragon Y la idea Imperial de Alfonso VII de Castilla , pp . 13 -

14 ; Recuero , op . cit . p . 128 ; Valdeavellano , op . cit . , p . 438 .

٣٤ - La cronica de Alfonso , p . 255 ; Sandoval , op . cit . , p . 166 ; CF . also : El primer Emperador : Ancedotas de al Historia de España , p . 11.
كانت ليميا وأراضى تورنيو قد سلمها الإمبراطور الفونسو السابع إلى الكونتين المذكورين ، عندما حاصر قلعة سلمز وأعاد استرداد كل من تلك المنطقتين وتركهما فى أيديهما وعاد إلى ليون فى سنة ١١٣٣م / ٥٢٧ هـ .
Ubieto , Navarre Aragon , p . 15 .
وقد أشار المؤرخ Recuero إلى هذه الأحداث وقعت بعد سنة ١١٣٩ م اعتمادا على بعض الوثائق الوارد فيها أسماء هذين الكونتين .
Recuero , op . cit . , p . 150 .
ولكن اتفقت مدونة الإمبراطور وجميع المؤرخين الآخرين على أن تلك الأحداث قد حدثت سنة ١١٣٦ ونرى أن أحداث سنة ١١٤٠ م تختلف اختلافا كليا عن أحداث سنة ١١٣٦ - ١١٣٧ م التى اشترك فيها هذان الكونتان خاصة وأن مساعدتهما لالفونسو هنريكز توضع قوة مركزة فى جنوب جليقية فى تلك الفترة .
La cronica de Alfonso VII , p . 255 ; Sandoval , op . cit . , Loc cit . CF . also : Hrculano , op . cit . , p . 18 - 19 ; Soães , T . S , Significado politica do tratado de tui de 1137 , R . P . H . , T2 , Coimbra , 1943 , p . 329 .

٣٥ - La cronica de Alfonso , p . 255 ; CF also : Hrculano , op . cit , p. 19.

٣٦ - هم قادة جيوش الإمبراطور الفونسو السابع فى جليقية ، وبينهم فرديناند بيريز عشيق تريزا والدة الملك الفونسو وسوف نتعرض لأخبارهم بتتابع الأحداث .

٣٧ - La cronica de Alfonso VII , p . 255 ;. CF . also : Hrculano , op . cit . , Loc cit . Soãres , op . cit . p . 330 .

٣٨ - La cronica de Alfonso VII , p . 259. CF . also : Cesar , op . cit . , p . 33 .
راجع أيضا : أشباخ ، ج ١ ، ص ٢٥٥ .

٣٩ - ستتعرض بالتفصيل لذلك فى الفصل التالى ، مع التعريف بتلك القلعة .

٤٠ - cronica dos Godos , p . 268 ; Sandoval , op , cit . , p . 167 ; CF . also : Ubieto , Navarra - Aragon , p . 15 ; Soãres , op . cit . , Loc . cit .

٤١ - La cronica de Alfonso VII , p . 261 ; Sandoval , op . cit . , Loc . cit .
أشباخ ، ج ١ ، ص ٢٥٥ .

٤٢ - La cronica de Alfonso , p . 261 , CF .. also Recuero op . cit . , p . 158 ; Ballesteros , op . cit . , p . 353 .

٤٣ - Herculano , op . cit , p . 23 .

٤٤ - Herculano , op . cit , p . 23 . Stephens , op . cit . , p . 38 .

٤٥ - Escolona , Historia do Mosteiro de sahagon , p . 527 . escrit , 161 .
أنظر . Soãres , op . cit . , pp . 331 - 332 .

٤٦ - كل هذه الشروط مستنبطة من :
- Historia compostelana , E . S . T 20 . , pp . 585 - 586 ; CF . also Soares , op . cit . , Loc . cit ; Herculano , . op . cit . , p . 24 ; Ballesteros . op . cit . , pp . 353 - 354 ; Callaghan , A history of Medieval Spain , p . 226 ;

Bishko . The cluniac priories , p . 331 .
Herculano , op . cit . , p . 24 - 25 ; cesar , op . cit . p . 34 ; Livermore - ٤٧
, A new history of potugal , pp . 50 - 51 .
أشباخ ، نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٢٥٦ .
Soãres , op . cit .. , p 334 . - ٤٨
Documento N 3 , en el libro " Tuy en la baja Edad Media por Ga- - ٤٩
lindo "
٥٠ - بعدما وجد ملك نافار صعوبة موقفه بعد خروج البرتغال من الصراع مع مملكة قشتالة طلب التوسط بينه وبين مملكة قشتالة من خلال رجال الدين ، والتى أثمرت عقد الصلح بينهما .
la cronica de Alfonso , pp . 267 - 269 : Sandoval , op . cit . , p . 169 , CF
. also : Ubieto , Navarra - Aragon , p . 19 ; Recuero , op . cit . , p. 215 ;
Ballesteros , op . cit . , pp . 353 - 354 .
أنظر أيضا : أشباخ ، نفس المرجع ج ١ ، ص ١٨٩ - ١٩٠ .
Corinca dos Godos , p . 268 ; Chronicon Lusitano pp . 409 - 410 ; - ٥١
CF . also : Callaghan . A hisory of Medieval Spain , p . 226 , Tout , The
Empire and the papacy , p . 470 .
كتبت أوريك Ouriqua فى المصادر البرتغالية باختلافات بسيطة ومنها Aulic Ourich , Au-
rich , Ouric , Oric
المقصود باسمار أنه أحد قواد المرابطين وغالبا ماتطلق المسيحية على الولاة والقواد لقب ملوك وليس محددا فى أى إمارة ، وسوف نستعرض أحداث وتفاصيل هذه المعركة فى الفصل الثالث .
Silva , op . cit . , p . 43 ; Duarte , op . cit . , pp . 56 - 60 ; CF . also : - ٥٢
Stephens , op . cit . , p . 45 ; Filemon , op . cit . , p . 254 ; Valdeavellano ,
op . cit . , p . 442 .
٥٣ - أنظر نص الوثيقة فى :
A zevedo , R , Ainda sobre a data em que Alfonso Henriques tomou ot-
itulo de Rei , R . P . H . , T 1 . Coimbra 1940 , p . 178 ; Suarez , op . cit .
, p . 227 ; Nowell , op . cit , p . 27 .
Callaghan , A history of Medieval Spain , p . 226 ; Encyelopedia - ٥٤
Americana , Vol 1 , p . 548 ; Lafuente , op . cit . , p . 353 ; payne , op .
cit . , p . 117 .
أنظر أيضا : أشباخ ، نفس المرجع ج ١ ص ٢٥٩ .
وأشار ليفرمور بأن أول وثيقة موقعا عليها بلقب ملك بعد معركة أوريك فى أكتوبر سنة ١١٣٩
Livermore , A new history of portugal , p . 52 .
Duarte , op . cit . , p . 56 - 60 ; Silva , op . cit . , p . 42 ; Brandão , - ٥٥
Monarquia Lusitana , parte 3 , p . 117 .
أشار المؤرخ ثوريتا إلى أنه تلقب بلقب ملك فى نفس يوم المعركة وقبلها بوقت قليل .
- Zurita , op . cit . , p . 209 ,
Documento , Tabua 19 , Doucmentos Medievais portuguese Vol . 1 - ٥٦
, Lisboa , 1945 .
La cronica de Alfonso , p . 261 ; Sandoval , op . cit . , p . 167 ; - ٥٧

٥٨ - Brandão Mon . lus .. p . 133 ; CF . also : Lafuente , op . cit . , Loc cit . , La cronica de Alfonso , pp . 259 - 261 ; Sandoval , op . cit . p . 168 ; Brandao , Mon .. Lus , p . 133 ; CF . also : Filemon ; op . cit . , p . 254 ; Ballesteros , op . cit . , p . 353 .

٥٩ - La corinca de Alfonso , p . 263 ; CF . also : Recuero . op . cit . , p . 159 ; Lafuente , op . cit . , Loc . cit .

٦٠ - قد جانب الصواب كثيرا من المؤرخين الذين وضعوا تلك الأحداث فى عام ١١٣٧ م وهذا الخلط نتج لأن مدونة الإمبراطور قد ذكرت أحداث الحروب بين الإمبراطور الفونسو السابع والملك الفونسو هنريكز مجتمعة دون فواصل زمنية بين الأحداث ولذلك فانها قد وضعت تلك الأحداث فى سنة ١١٣٦ ولكن هناك مدونة القوط التى كتبت بعد الأحداث بسنوات قليلة - قد وضعت تلك الأحداث فى موقعها الصحيح سنة ١١٤٠م .

- Cronica dos Godos , p . 269 ; La cronica de Alfonso , p . 263 ; Sandoval , op . cit . , Loc . cit . ; Brandão , Mon , .. Lus .. pp . 133 - 134 ; CF . also : Filemon , op . cit . , Loc . cit ; Ballesteros , op . cit . Loc . cit .

أما بالنسبة للرواية المتضمنة أن الامبراطور الفونسو قد هزم الملك الفونسو هنريكز فى

Ubieto Navarra - Arogon , p . 15 . portella de vez

فانه لم تحدث معركة بالمعنى المفهوم بل حدثت مبارزات فردية فقط ، ولم يكن هناك اشتباك فعلى .

٦١ - La cronica de Alfonso , pp . 263 - 265 ; Sandoval . op . cit . , Loc , cit . CF . also : Stephens , op . cit , p . 38 .

٦٢ - أشارت مدونة القوط ومدونة لوزيتانيا إلى أنه قد وقع فى الأسر نتيجة لهذه المبارزات كثير من الفرسان القشتاليين الليونيين وعلى رأسهم فرديناند فوتادو وينتيم دى كابرير وبرمود بيريز ابن فرديناند خوانيز وكثيرون آخرون .

corinca dos Godos , p . 269 ; chronicon Lusitano , E . S . , T 14 , p . 411 .

٦٣ - هناك رواية للمؤرخ بيدال تنص على أن الإمبراطور كان متأثرا لهزيمة فرسانه فى مواجهة الفرسان البرتغاليين فى المبارزات ، وعرض على ابن خالته الفونسو هنريكز احدى المقابلات لعقد السلام ..

pidal , El Imperio , p . 161 .

٦٤ - cronica dos Godos , p . 269 ; chronicon Lusitano , E . S . , T 14 , p . 411 ; Brandão , Mon ... Lus . p . 134 . CF . also : Ubieto , Navarra - Aragon , p . 15 ; pidal , El Imperio , p . 161 ; Recuero , op . cit . , p . 159 ; El primer Emperador , pp . 11 - 12 .

أشباخ ، ج ١ ، ص ٢٥٦ .

٦٥ - Historia Compostelano , E . S . , T 20 , pp . 385 - 386 ; cronica dos Godos , p . 269 ; cheonicon Lusitano ; p . 411 ; La cronica de Alfonso , pp . 265 - 267 , Sandoval , op . cit . pp . 169 . CF . also : Callaghan , op . cit . p . 226 ; Bishko , The cluniac , p . 371 ; Lafuente , op . cit . , Loc . cit .

Filemon , op . cit . , p . 254 : Herulano , op . cit . , p . 40 .

أشباخ ، ج ١ ، ص ٢٥٦ .

٦٦ - سبق أن أشرنا إلى ذلك ، أنظر ماسبق ص ٧٥ .

٦٧ - وقد انتهى أمرهما بأن فر الكونت جومز نونيز إلى جبال البرينية ، وأصبح راهبا بدير كلونى فى

فرنسا ، أما الكونت رودريك فقد عفا عنه الإمبراطور .

La cronica de Alfonso , pp . 265 ; 266 .

٦٨ - اجتمع كل من الإمبراطور الفونسو السابع والملك الفونسو هنريكز معا فى خيمة واحدة وقبل كل منهما الآخر ، وتناولا الطعام والشرب معا .

- La cronica de Alfonso ; Loc cit .

أشباخ ، ج ١ ، ص ٢٥٦ .

٦٩ - أشار المؤرخ ستيفن فى كتابة البرتغال ، إلى أن انتصار فرسان الفونسو هنريكز فى المبارزات الفردية ضد فرسان الإمبراطور ، قد عزز موقفه فى منح نفسه لقب ملك البرتغال ..

Stephens , op . cit . , p . 39 .

٧٠ - cronica dos Godos , pp . 269 - 270 , CF , also : La Separacion de portugal , p . 13 .

٧١ - callaghan , op . cit . , p . 223 ; La Separaion de portugal . p . 14 ; Suarez , op . cit . , p . 227 . Herculano , op . cit . , p . 14 .

٧٢ - Brasão , E . , O papado E portugal desde a conferenica de Zamora (1143) A te Abula de Alexandre 111 , Lisboa 1979 , pp . 85 - 88 .

٧٣ - لم تشر المصادر البرتغالية التى أمكن التوصل إليها على الإطلاق لهذه المعاهدة ، كما أشرنا فى الدراسة النقدية أنها كانت تهتم فى المقام الأول بأعمال الملك الفونسو هنريكز ، وحروبه ضد المسلمين ، واعتمدنا على هذه الأخبار من المؤلفات الحديثة المعتمدة على وثيقة هذا الاتفاق التى تعذر الوصول إليها

Herculano , op . cit . , pp . 47 - 48 , 179 - 190 ; pidal , El Imperio , p . 162 - 163 ; Serrão , op . cit . , pp . 89 - 90 ; Recuero , op . cit . , pp . 162 - 163 .

٧٤ - Herculano , op . cit . , pp . 179 - 180 ; LAfuente , op . cit . , p . 354 .

٧٥ - فى نفس عام ١١٤٣م / ٥٣٨ هـ نقض الفونسو هنريكز المعاهدة عندما وضع مملكته تحت حماية البابوية دافعا لها الجزية السنوية . سيبدأ منذ ذلك التاريخ الشاكل الدبلوماسية والمنحصرة بين الأطراف الثلاثة (قشتالة ، البرتغال ، البابوية ، وسوف نتعرض لتفاصيل تلك الأحداث فى نهاية الفصل .

٧٦ - على الرغم من أن الفونسو السابع كان يرغب فى تحقيق حلم تأسيس امبراطورية فى شبه الجزيرة الايبيرية ، إلا أنه قد دمر تلك الفكرة بواسطة تقسيم مملكته بين ولديه ، ولم يستفد من التجارب السابقة وهى أن تقسيم المملكة غالبا ماتؤدى إلى حروب وانقسامات وهى سمة تاريخ الممالك المسيحية الأسبانية.

٧٧ - Lucas , Chronicon Mundi , p . 105 ; Cronica Latina de Los Reyes de castilla , p . 8 ; chronicon coimbricense , p . 331 ; chronicon de cardeña C . L . R . T 1 , p . 355 ; CF . also : Livermnore , A new history of portugal , p . 36 ; callaghan , op . cit . , p . 235 .

بعد وفاة الإمبراطور الفونسو السابع أصبح فى شبه الجزيرة خمسة ممالك مسيحية ، هى مملكة قشتالة وملكها سانشو الثالث ، ومملكة ليون وملكها فرديناند الثانى ، ومملكة البرتغال وملكها الفونسو هنريكز ، ومملكة نافار وملكها سانشو السادس ومملكة أرجون وملكها ريموند برنجير (ريمون برنجر) الرابع ، وكانوا جميعا يشاركون فى معظم الحروب التى خاضها مسيحيو شبه الجزيرة ضد المسلمين ، وهناك مؤلف عن تلك الفترة لبيدال .

pidal , El Imperio Hispanico los cinco Reinos ,

٧٨ - ود ذكر عبد الهادى التازى فى تحقيقه لتاريخ المن بالإمامة ، ان المصادر الإسلامية كانت تطلق

عليه اسم البيرج El baboso ومعناه : الكثير اللعاب كما يفسر ذلك صاحب المعجم ، وقد كان هذا اللقب فى العصور الوسطى تحقيريا لأنه مرادف لكلمة الأحمق ، وقد دفع هذا النعت ببعض الباحثين للتساؤل عن مصدره ، وهل أنه يستحق حقيقة هذا الوصف الذى ينم عن العته وضعف النظر من عدمه ، وقد أشار المؤرخ اللاتينى لوقا التوى بأنه كان في حركاته على فرسه وببذلته العسكرية ينبىء عن ضراوة وشراسة أكثر مما ينبىء عن الشجاعة والإقدام وأنه يغضب فى الحين لدرجة أن صوته يستحيل إلى زئير أسد ، ولكنه لايلبث أن يعود إلى حال الرجل الذى يكون مضرب الأمثال فى دماثة الخلق ، ويعتقد الباحثون أن هذا الوصف كاف للتعبير عن المعنى الذى يوحى به التلقب بالبيرج .

أنظر الملاحظة رقم ٣ فى المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة ، ص ٢١٩ .

وفعلا أشار الورخ لوقا التوى إلى هذا الوصف أنظر :

Lucas , Cronica de España , p . 402 .

٧٩ - هى عبارة عن أودية زراعية على الحدود بين البرتغال وجليقية .

٨٠ - Gonzales , J , Regesta de Fernando II , Madrid , 1943 , pp . 22 - 23 ; Filemon , op . cit ., pp . 263 - 264 .

٨١ - Gonzales , Regesta , p . 23 ; Filemon , op . cit . , p . 264 .

٨٢ - بدأت ظروف هذه المعاهدة بطرد الملك فرديناند الثانى لكل من يشك فى إخلاصه من النبلاء من مملكته ، فالتجأ البعض منهم على رأسهم الكونت بونثيو دى مينريا إلي ملك قشتالة سانشو الثانى ، وخدمه باخلاص فتعهد ملك قشتالة باسترداد أملاكه فى ليون وتوجه بجيشه إلى حدود ليون ، ولكن تدخل رجال الدين بين الملكين ، وأجتمعا فى ساهاجون وقررا الاتفاق على كثير من البنود ...

Rodrigo , Historia de los hechos de España , pp . 280 - 281 ; CF , also : Gonzalez , Regesta , p . 28 ; Filemon , op . cit . , p . 265 ; Canovas , Historia general de España , pp . 75 - 76 .

٨٣ - جاء فى بعض فقرات الوثيقة مايلى " يلتزم كل منا بعدم مصادقة ملك البرتغال أو عقد صلح معه أو مع أحد أصدقائه " ويسند إلى الملك فرديناند مهمة تقسيم البرتغال إلى قسمين ، وعلى الملك سانشو أن يختار القسم المناسب له " .

Documento , N 44 , “ Tratado de Paz con Fernando II “ en el Libero , Gonzalez , El Reino de csatilla en la epoca de Alfonso VIII parte II) Documentos 1145 - 1190 ‘ Madrid 1960 , CF , also : Gonzalez , Regesta , pp . 32 - 33 ; Filemon , op . cit . , p . 266 ; Valdeavellano , op . cit . , p . 554 , Martin , J1 , La peninsula en la Edad Media , Barcelona , 1978 , pp . 363 - 364 .

٨٤ - Gonzalez , Regesta , pp . 36 - 37 .

٨٥ - ترك سانشو الثالث طفلا فى الثالثة من عمره هو الفونسو الثامن ، وكان قد اختار قبل وفاته الكونت جوتير وفرديناند سليل أسرة كاسترو ، ليكون وصيا عليه حتى يبلغ سن الرشد فقام صراع بين أسرته وأسرة لارا للوصاية على هذا الطفل وقد حملت الأسرة الثانية لآل كاسترو بغضا وكراهية شديدين وأثارت ضدها حرب شعواء ، كانت وبالا على قشتالة بسبب التنافس على الوصاية وأصبح الطفل متنقلا بين الأسرتين حسب الانتصارات المتبادلة . وقد حاول الملك فرديناند الثانى وسط هذه الأحداث أن يفرض نفسه وصيا على ابن أخيه لاكتساب مزيد من السلطة والقوة .

٨٦ - Rodrigo , Historia de los hecos de España , pp . 283 - 284 ; Lucas , cronica de España , pp . 401 - 407 ; Cronica Latin de los Reyes de cas-

tilla , p . 9 ; CF also : Suarez , op . cit . , pp . 237 - 238 .

أشباخ ، ج ٢ ، ص ١٩ .

٨٧ - لوفاة أخيه أصبح هو الملك القوى فى أسبانيا .

Gonzalez , Regesta , pp . 37 - 38 ; Filemon , op . cit . , p . 267 .

٨٨ - Gonzales , j . , El Reino de castilla en la epoca de Alfonso VIII , Vol . 1 , pp . 676 - 677 ; Suarez , op . cit . , p . 238 .

٨٩ - Galvão , op . cit . , pp . 124 - 125 silva , op . cit . , p . 87 ; Duarte , op . cit . , p . 64 ; corinca de al cronica de Aragon , p . 37 ; CF . also : Benevides , op . cit . , p . 94 ; Stephens , op . cit . , pp . 54 - 55 .

٩٠ - حدث خلط كبير بين المؤرخين حول ذلك الزواج لأن الكثير منهم اعتبروا أن ريموند برنجير ابن ريموند برنجير الرابع ، والفونسو الثانى ملك أرجون شخصين مختلفين ولكن كما أوضحنا فان ريموند قد غير لقبه إلى الفونسو الثانى عند توليه عرش مملكة أرجون ولذلك فهما اسمان مختلفان .

وقد أشارت مدونة تاج أرجون إلى تغيير ذلك اللقب وفى نفس الوقت قد توصلنا إلى أن الزواج لم يتم لوفاة العروس ، ومما يؤكد ذلك أن الفونسو الثانى نفسه تزوج من الأميرة سانشا أخت الملك الفونسو الثامن فى ١١٧٤ م .

cronica de la cornoa de Aragon , p . 42 . Zurita , op . cit . , p . 240 . CF . also : Ubieto , Introduction a . la Historia de España , p . 190 . Benevides , op . cit . , p . 94 .

٩١ - Gonz alez , Regesta , pp . 44 - 45 ; Herculano , op . cit . , p . 127 ; Suarez , op . cit . , p . 238 .

٩٢ - Filemon . op . cit . , p . 268 .

٩٣ - اعتمد جونثالث على استيلاء الفونسو هنريكز على مدينة شلمنقة من خلال إشارته إلى وثيقة تتضمن منحه صادرة من ماريا سانشيز لكاتدرائية شلمنقة فى ١٣ يناير سنة ١١٦٣ م / صفر سنة ٥٥٨ هـ ، قد تمت أثناء حكم الملك البرتغالى للمدينة .

Gonzales , Regesta , p . 59 .

٩٤ - Ibid , Filemon , op . cit . , p . 270 ; Gonzalez , la epoca de Alfonso VIII , p . 683 ; Valdeavellano , op . cit . , p . 558 .

٩٥ - Gonzalez , la epoca de Alfonso VIII , p . 683 ; Martin , la peninsula , pp . 363 - 364 .

٩٦ - Gonzalez , Regesta , p . 67 ; Filemon . op . cit . , p . 272 ; Herculano , op . cit . , p . 127 .

٩٧ - ويبدو أنه أثناء المفاوضات قد زار الملك فرديناند الثانى مدينة قلمرية ، لأنه فى ١٤ أبريل سنة ١١٦٥ م منح هبات لأسقف كنيسة سان جوليان دون مارتين فى قلمرية .

Documento N 12 Gonzalez , Regesto , p . 256 .

٩٨ - Gonzalez , Reesta , pp . 68 - 69 ; Filemon , op . cit , pp . 271 - 272 ; Gonzalez , La epoca de Alfonso VIII , p . 684 ; Suarez , op . cit . p, 241 Martin , origenes , p . 5 .

٩٩ - Rodrigo , Historia de Rebus Hisspaniae , p . 163 ; cronica Latina de los Reyes de castilla , p . 10 ; Galvão , op . cit . , p . 131 .

كانت العروس تبلغ من العمر سبعة عشر عاما بينما كان الملك فرديناند الثانى يكبرها بأحد عشر عاما .

وقد منحها ممتلكات مدينتي خيما Gema وكاستروتوراف Castrotoraf كصداق لزواجهما .
Florez , op . cit . , pp . 319 - 323 ; CF . also : Gonzales , Regesta , pp . 69 - 70 .

وقد حدد بعض المؤرخين عام ١١٦٠ م / ٥٥٥ هـ تاريخا لعقد هذا الزواج .
Benevides , op . cit . , p . 94 ; Stephens , op . cit . , pp . 54 - 55 .
ولكننا لانؤيدهم فى هذا لأن الوثائق الخاصة بمملكة ليون ، خالية تماما من ذكر اسم الزوجة بجوار الملك فرديناند الثانى قبل ١٦ يونيو سنة ١١٦٥م ، طبقا لما تفرضه العادات والتقاليد الرسمية حينئذ ، حيث تحتم ذكر اسم الملك ثم اسم زوجته الملكة .

Los documentos en el libero , Gonzalez , Reyesta , pp . 241 - 341 .

١٠٠ - ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، بيروت سنة ١٩٦٤ ، ص ٣٧٣ م ، ابن عذارى ، البيان - القسم الثالث - ميرانده ، تطوان سنة ١٩٦٠ م ، ص ٧٨ .
cronica dos Godos , p . 272 ; chronicon Lusitano , p . 415 ; chronicon conimbricense , p . 332 .
سنتعرض بالتفصيل لتلك الأحداث فى الفصل الخاص بعلاقته بالموحدين .

١٠١ - كان سانشو يبلغ من العمر آنذاك حوالى ثلاثة عشر عاما .
corinca dos Godos , p . 271 ; chronicon Lusitano , p . 414 ; CF also : Herculano , op . cit . , p . 128 .
اعتقد أن مافعله الملك الفونسو هنريكز كان بمثابة ناحية شرفية معنوية ، لأنه ليس من المعقول أن يكون قائدا للجيس فى مثل هذه السن ، مثلما فعل الملك الفونسو السادس عندما أرسل ابنه الوحيد الامير سانشو الصغير (٩ سنوات) فى حملة معركة اقليش سنة ١١٠٨ م التى قتل فيها الأمير .

١٠٢ - Rodrigo , Historia de rebus Hispaniae , p . 165 , Lucas , chronicon Mundi , p . 106 ; CF also : Ballesteros , op . cit . , p . 386 ; Stephens , op . cit . , p . 56 ; Galiendo , op . cit . , p . 23 .

١٠٣ - Rodrio , Histria de los hechos de España , p . 292 ; Lucas , chon- icon Mundi , p . 106 ; CF also : Suarez op . cit . , p . 241 ; Canovas , op . cit . p . 78 .

١٠٤ - primera cronica general de España , p . 675 ; CF . also : Herculano , op . cit . , p . 129 .

١٠٥ - أدرج المؤرخين جونثالث وفليمون دون غيرهما من المؤرخين الآخرين هذه الواقعة ضمن أحداث عام ١١٧٩م / ٥٧٤ هـ ولكننا لانعرف تعليلا لذلك ، وخاصة أنهما اعتمد على كتابات المؤرخين رودريك الطيلطى ولوقا التوى فى نقل تلك المعلومات .
Gonzalez , Regesta , p . 127 - 128 ; Filemon , op . cit . , p . 278 .
ولكن اعتمادنا الأساسى على المصادر التى وضعت تلك الأحداث فى التاريخ الذى أشرنا إليه .

١٠٦ - Herculono , op . cit . , p . 130 ; Livermore , A new history of portugal , p . 63 .

١٠٧ - Lucas , chronicon Mundi , p . 107 ; primera cronica general de España , p 675 ; Rades y andrado ; chronica de Santiago , p . 3 ; Duarte , op . cit . , p . 85 ; CF . also : Stephens , op . cit . , p . 56 ; Canovas , op . cit . , p . 78 .

١٠٨ - Herculano , op . cit . , p . 131 .

١٠٩ - سنتعرض بالتفصيل فى الفصل الثالث لهذا القائد وأعماله .

١١٠ - سنتعرض بالتفصيل لحصار بطليوس فى الفصل التالى .

١١١ - ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص ٣٧٠ - ٣٧١ وانظر أيضا ابن عذارى ، البيان المغرب . القسم الثالث تحقيق ميرانده ، ص ٧٨ .
سحر عبد العزيز سالم ، ص ٥٥٥ - ٥٥٦ .

١١٢ - ابن عذارى ، البيان المغرب - القسم الثالث - طبعة ويثى ميرانده ، ص ٧ - ٨ .
ابن صاحب الصلاة / المصدر السابق ص ٣٨٠ - ٣٨٣ .
عنان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٧ - ٣٨ .
Galvão : op . cit . , p . 131 .

١١٣ - Lucas , chronicon Mundi , p . 107 ; primera cronica general de España , p . 675 ; Rodrigo , Historia de rebus Hipaniae , p . 131 . Alfonso de Torres , coronca de la orden de la ... Alcantara . p .68 ; corinca Latina de los Reyes de castilla , p . 11 ; CF , also : Gonzalez Regesta , pp . 80 - 81 .
سحر عبد العزيز سالم ص ٥٥٧ - ٥٧٩ .

١١٤ - primera cronica general de Españo , pp . 675 - 676 ; Alfonso de Torres . op , cit . , pp . 68 - 69 ; Duarte , op . cit . pp . 85 - 86 , CF , also : Filmon op . cit . , pp . 273 - 274 .

١١٥ - Gonzalez , Regesta , p . 81 ; Herculano , op . cit . , pp . 134 - 135 ; Martin , origenes , p . 6 .

١١٦ - primera conica general de España , pp . 675 - 676 ; Duarte , op . cit . , p . 86 . CF , also : Herculano , op . cit . , p . 134 .

١١٧ - تأسست جماعة رهبان القديس شانت ياقب فى سنة ١١٧٠ م ، وكان من مهامها حماية طريق الحج إلى قبر القديس شانت ياقب لمزيد من التفاصيل أنظر :
Martin , Origenes de la ordenMilitar de santigo . p . 9 .

١١٨ - ابن صاحب الصلاة ، ص ٤٠١ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث تحقيق ميرانده ص ٨٥ - ٨٦ ، عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٥ .
Huici Los Almohades em portugal , separata dos Anales II seire , Vol , 5 , Lisboa 1954 , p . 17 .

١١٩ - Herculano , op . cit . , p . 141 .

١٢٠ - ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ميرانده ، ص ١٤٠ ، عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٩٢ : Martin , Origenes , p . 9 .

١٢١ - Rodrigo , Historia de los hechos de España , p . 293 ; Galvão op . cit , p . 131 ; Basto , op . cit . , p . 107 ; CF . also : Benevides , op . cit . , p . 94 .
اختلف بعض المؤرخين فى تاريخ زواجها وتاريخ انفصالها عن الملك فرديناند الثانى ولكن من خلال وثائق تلك الفترة نجد أن الملكة أوراكا كانت زوجة للملك فرديناند بين عام ١١٦٥م و ١١٧٥ فأول وثيقة بتاريخ ١٨ يوليو سنة ١١٦٥ م فى سمورة (N337) وتستمر فى ذكر اسمها بجانب زوجها الملك حتى آخر وثيقة (N 368) فى ليون والتى تحمل تاريخ ٢٦ يونيو سنة ١١٧٥ م والوثيقة التالية لها فى نفس

الشهر يونيو سنة ١١٧٥ م وتحمل رقم (369) لاتذكر اسمها كملكة وزوجة للملك .

- Belda , L . S . , Documentos Reales de Edad Media , Madrid , 1953 .

١٢٢ - سوف نتعرض لهذه الغزوة بالتفصيل فى علاقة الفونسو هنريكز بابى يعقوب يوسف .

١٢٣ - Gonzalez , Regesta , p . 148 .

١٢٤ - Rodrigo , Historia de los Hechos de España , p . 293 : primera cronica general de España , p . 676 ; Duarte, op . cit . , p . 87 ; CF . also ; Gozalez , Regesta , pp . 148 - 149 .

١٢٥ - سنتعرض بالتفصيل لهذه النقطة فى الفصل الثالث .

١٢٦ - لمزيد من التفاصيل عن كونها وحدة سياسية وإدارية فى عهد الرومان أنظر :

Rodrigo , Historia Romanorum ; Cronica Albeldense , C . L . R . , T 2 , p . 117 ; CF . also : Gomez y Guevara , Lusitana ,

١٢٧ - Peres , op . cit . , p . 20 ; Nowell , op . cit . , p XII ; Stephens , op . cit . , p . 2 .

١٢٨ - من الأمثلة الدالة على ذلك ثورات اللوزيتانيين ضد الحكم الرومانى لهم ولمزيد من التفاصيل أنظر :

Gomez y Guevara , op . cit . , pp 131 - 133 ; Sergio , Breve interpetacão , p 7 ; Eppstein , op . cit . , pp . 30 - 31 ; Livermore , portugal , p . 3 .

١٢٩ - العذارى : نصوص عن الأندلس ، ص ٢٠

حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس ، ص ٨٤ .

Suaraz , op . cit . , p . 116 .

١٣٠ - أشباخ ، ج ١ ، ص ١٣٠ .

١٣١ - Maerques , op . cit . , p . 43 .

١٣٢ - فى عام ١٠٧٥م / ٤٦٨ هـ قام نزاع بين البابا جريجورى السابع وهنرى الرابع امبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة ، حول مسألة التقليد العلمانى ، وعندما أصدر البابا مرسوما بعدم تدخل الإمبراطور فى تنصيب رجال الدين فى مناصبهم الدينية واقطاعاتهم الدنيوية وكان من نتيجة ذلك أن قام اساقفة هنرى واتباعه الألمان بخلع جريجورى فى مجمع ورمز سنة ١٠٧٦ م بايحاء من الإمبراطور نفسه وتعيين البابا كليمنت ، ورد البابا بحرمان هنرى ورجاله ، وقامت حرب بين الرجلين استمرت ردحا من الزمن . ولمزيد من التفاصيل أنظر :

جوزيف نسيم ، تاريخ العصور الوسطى الأوربية وحضارتها ، ص ١٨٧ .

١٣٣ - Martin , La peninsula , p . 363 , Marques , op . cit . , p . 43 .

١٣٤ - Herculano , op . cit . , T 1 , p 279 ; Beirão , op . cit . , p . 8 ; Lozoya , op . cit . , p . 414 .

١٣٥ - Livermore , A new history of portugal , p . 180 .

١٣٦ - castro , La realidad historica de España , pp . 306 - 307 .

١٣٧ - وكما يروى رودريك الطليطى بأن البرتغاليين فى هذا الوقت الأول كان يريدون أن يكونوا أسياد أرضهم والانفصال بها عن الملوك الأسبان ...

Rodrigo , Historia de los hechos de España ; pp . 272 - 273 ; primera Cronica general de España Vol . 4 , p . 650 .

١٣٨ - أنظر ماسبق فى هذا الفصل .

كان أيضا من أهم دوافعه لاتخاذ لقب ملك هو شعوره بقوته الكافية التى تسمح لنفسه بالمنزلة الملكية ، وأن هذا حق شرعى له ، خاصة وأنه حفيد الإمبراطور الفونسو السادس وفى الوقت فان أمه نفسها كانت تلقب بالملكة .

١٣٩ - أنظر ماسبق ص ١٠٣ - ١٠٤ من هذا البحث .

١٤٠ - Brasão , opapodo E portugal desde a Conferencia de Zamora (1143) Ate A bula de Alexandre III , p . 85 - 88 ; Recuero , op . cit . , pp 162 - 163 ; Herculano , op . cit . , pp . 47 - 48 ; Stephens , op . cit . , pp 39 - 40 .

١٤١ - وقد سبقها بخطوة هامة ، لها مغزى هام لتأكيد استقلاله هى التحاقه عضوا فى رهبنة القديس بطرس ولبابا روما كفارس .

Callaghan , Ahistory of Medieval Spain , pp . 226 - 227 .

١٤٢ - Documento N1 , Monmenta Henricina , Vol . 1 , Coimbra 1960.

١٤٣ - La Separacion de portugal , p . 14 .

١٤٤ - Lauente , op . cit . , p . 354 ; Livermore , A new history of portugal p . 53 .

١٤٥ - كان البابا لوكيوس الثانى قد عرض قضية تلقب الفونسو هنريكز بلقب ملك على الهيئة القضائية لكنيسة روما فأفتوه بتجنب مناداته بلقب ملك ، وأطلقوا عليك لقب دوق البرتغاليين .

Lafuente ; op . cit . , p . 354 .

١٤٦ - Cruz , A Situacão politica en portugal , p . 39 ; Lozoya , op . cit . , p . 414 , Merques , op . cit . , p . 42 ; Ballesteros , op . cit . , p . 385 ; Chapman , op . cit . , p . 76 .

١٤٧ - La separacion de portugal , p . 15 ; Lafuente , op . cit . , Loc cit . , Herculano , op . cit . , p . 54, ; Brasão , Opapdo E portugal , pp . 92 - 93 .

١٤٨ - La Separacion de portugal , pp . 15 - 16 . ; Lafuente , op . cit . , p . 209 .

وأرجع أحد المؤرخين موقف البابا ايوجنيوس الثالث إلى نزعته الجشعة وماتلقاه من مال الفونسو هنريكز ، وأن هذا انتهاكا اثيما لحقوق ملك قشتالة .

Scott , Moorish Empire , Vol , 2 p . 28 ,

ولكننا لانتفق مع هذا الرأى لانه ثابت من المكاتبات المرسلة أن البابا لم يلقب الفونسو بملك ، وأن مرسوم تلقيبه بملك سيكون عن طريق البابا اسكندر الثالث سنة ١١٧٩ م .

١٤٩ - كان رئيس أساقفة براغا خوان بكيولار عنيدا لا يألوا جهدا فى قضية أسقفيته ، فقام بسبع زيارات إلى روما ، يحمل فيها خطابات من الملك الفونسو هنريكز ، بتأييد قضيته .

Livermore , A new history of portugal , p . 65 .

١٥٠ - pidal , El Imperio Hispanico y cinco Reinos pp . 164 - 165 .

كانت أسقفية شانت ياقب قد ازدادت شهرتها باكتشاف قبر القديس شانت ياقب (يعقوب) أحد حوارى المسيح بها ، وأصبحت أهم مزارات الحجاج فى أوربا بعد روما وأصبح لها فى أسبانيا أهمية خاصة ، ولها رئاسة كل الأسقفيات على منطقة غرب شبه الجزيرة الايبيرية وتخضع بدورها لأسقفية طليطلة .

كاسترو ، حضارة الإسلام فى أسبانيا ترجمة سليمان العطار - القاهرة ١٩٨٣ ، ص ١٦٣ .

أنظر أيضا :

Martin , La peninsuia , p . 363 ; Lozoya , op . cit . , p . 434 .

١٥١ - اعتبر عام ١١٥٧ م أهم من عام ١١٤٣ (معاهدة سمورة) لأنها خطوة هامة على طريق الاتجاه للانفصال النهائى .

Marques , op . cit . , p . 43 .

١٥٢ - Gonzalez , Regesta , pp . 7 - 8 - 100 , Suaraz , op . cit . , p . 246 .

١٥٣ - Documento N9 , Monumenta Henricina , Vol . 1 ; CF . also : Duarte , Chronica del D , Alfonso Henriquez , p . 85 .

أنظر هذه الوثيقة فى الملاحق .

١٥٤ - Pidal , El Imperio Hispanico , p . 189 .

ويشير المؤرخ سوارس امورا Soares Amora أن فكرة استقلال البرتغال تعنى تفكك الإمبرطورية الأسبانية المسيحية ، فقد كانت أسبانيا توجه قوتها إلى الجذب المركزى على حين كانت البرتغال تعتبر مادة للطرد المركزى .

Castro , La realidad historica de España , pp . 306 - 307 .

١٥٥ - أنظر علاقته بالفونسو السابع وفرديناند الثانى .

١٥٦ - أنظر الفصل الثالث ، علاقته بالمسلمين .

١٥٧ - يقصد البابا بذلك المشاكل التى حدثت من قبل باعتبار الملك فرديناند الثانى أن كل استيلاءات الملك الفونسو هنريكز تكون حقا له ، لأنها مناطق تقع فى المجال الذى حددته معاهدة ساهاجون كنشاط لاستردادته .

١٥٨ - المارك هنا يساوى ٨ أونسات أى أنه سيدفع ١٦ أونسات ..

Marques , op . cit . , p . 43 .

١٥٩ - أنظر الملحق الوارد فى نهاية البحث .

الفصل الثالث

علاقة الفونسو هنريكز بدولة المرابطين
(١١٢٨ / ١١٤٥ م - ٥٢٢ / ٥٤٠ هـ)



الفصل الثالث

علاقة الفونسو هنريكز بدولة المرابطين

(١١٢٨ - ١١٤٥ م / ٥٢٢ م - ٥٤٠ هـ)

طبيعة العلاقات بين الفونسو هنريكز والمرابطين فى بداية حكمه - الإجراءات التى اتبعها الفونسو هنريكز فى تأمين حدوده الجنوبية - معاناة المرابطين من القلاع البرتغالية على الحدود الجنوبية ، وهجومهم عليها - معركة أوريك سنة ١١٣٩ م / ٥٣٣ هـ - مقدمات المعركة - أطراف المعركة - أحداث وتفاصيل المعركة - انتصار الفونسو هنريكز وتقييم المعركة - هجوم الملك اسمار على الحدود الجنوبية للبرتغال - إعادة تأمين الفونسو هنريكز لحدوده الجنوبية - حملته على لشبونة وشنترين وفرض الجزية عليهما .

جدير بالذكر ، أن طبيعة الخوض فى تفاصيل هذا الفصل وما يليه تستلزم أن نطرح تساؤلا هاما وهو هل الحروب ضد المسلمين فى شبه الجزيرة الايبيرية تدخل فى إطار حركة الاسترداد أم ينطبق عليها مفهوم الحروب الصليبية [١] .

ولكى نحدد الإجابة على هذا السؤال لابد أن نوضح مفهوم كل من حركة الاسترداد والحروب الصليبية فى شبه الجزيرة الايبيرية .

فقد اتفق معظم المؤرخين على أن مفهوم حركة الاسترداد فى شبه الجزيرة الايبيرية عند الأسبان يظهر فى إطارين مختلفين الأول يعنى جهودهم وكفاحهم ضد القوى الأجنبية المختلفة التى هبطت على شبه الجزيرة الايبيرية قبل ميلاد السيد المسيح بداية من الفينقيين حتى إنهاء الوجود الإسلامى بها [٢] . بينما يرى البعض الآخر من المؤرخين أن المقصود بحركة الاسترداد تلك الحروب التى قام بها المسيحيون ضد المسلمين واستمرت زهاء ثمانية قرون من الزمن منذ الفتوحات الإسلامية عام ٧١١ م حتى سقوط آخر معقل للمسلمين فى غرناطة سنة ١٤٩٢م [٣] .

وعلى ذلك فاننا نرى أن الروح الغالبة على حركة الاسترداد هى التوسع تدفعها أسباب مادية وسياسية أكثر منها روحية تبحث قبل كل شىء عن امتداد ممتلكاتها ، وممالكها ، واستعادة مافقدوه دون أن يهتموا إذا كان ذلك على حساب المسلمين أو المسيحيين (٤) .

أما عن فكرة الحروب الصليبية فقد تبلورت نتيجة للأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية السيئة فى الغرب الأوربى فى القرن الحادى عشر الميلادى وقد استغلتها البابوية لتزيد من سيطرتها وزعامتها الروحية والعلمانية على العالم المسيحى ويشير ابن الاثير أن تلك الفكرة قد نبعت أساسا من الإصرار على طرد المسلمين من شبه الجزيرة الايبيرية وعلى ذلك فقد رأى أن الحروب الصليبية فى الشرق امتداد للحروب الصليبية فى الأندلس(٥).ولايمكن دراسة الحروب الصليبية فى الشرق إلا من خلال دراستها فى الغرب.

ومما سبق يتضح أن مصطلح حركة الاسترداد تعنى الحروب ضد المسلمين فى شبه الجزيرة الايبيرية منذ الفتح حتى إنهاء الوجود الإسلامى بها ولكن هناك الفترة من منتصف القرن الحادى عشر حتى منتصف القرن الثالث عشر تكتسب حركة الاسترداد المسيحية صفات جديدة تنطبق عليها فكرة الحروب الصليبية ، وبذلك فانها تدخل فى إطار عام ومفهوم حركة الاسترداد المسيحية ، بمعنى أدق أن الحروب الصليبية فى شبه الجزيرة الايبيرية ما هى إلا إحدى حلقات حركة الاسترداد .

وعلى ذلك يمكننا القول بأن فترة حكم الملك الفونسو هنريكز تمثل فيها إنبعاث الفكر الصليبى فى شبه الجزيرة الايبيرية وأن هذا الملك كان مثالا واضحا للفارس الصليبى المتشبع بالروح الصليبية ولعل ذلك يظهر بصورة جلية فى كل حروبه وسياسته ضد المسلمين .

أوضحنا فى الفصل السابق سياسة الفونسو هنريكز الخارجية التى انتهجها تجاه كل من مملكتى قشتالة وليون والبابوية منذ أن تولى حكم البرتغال عام ١١٢٨م / ٥٢٢ هـ وماترتب على ذلك من رفضه التام التبعية لأى من المملكتين المذكورتين ، كما استعرضنا أيضا مقومات استقلال مملكة البرتغال والمتاعب العديدة التى عانى منها ملك البرتغال من أجل تحقيق ذلك الاستقلال حتى انتهى به الأمر إلى الفوز باعتراف البابوية باستقلال

كونتية البرتغال واعتبارها مملكة مستقلة بذاتها داخل شبه الجزيرة الايبيرية .

ولاشك أن هذه الجهود الكبيرة التى بذلها الفونسو هنريكز طوال الفترة الزمنية السابقة قد شغلته كثيرا عن مواجهة قوى الإسلام فى الأندلس وتتمثل فى المرابطين والموحدين ، وإذا كانت القوة الأولى قد دخلت دور الضعف فانها كانت تواصل غاراتها المستمرة على شتى الممالك المسيحية وفى مقدمتها مملكة البرتغال ثم واصلت نفس الدور بعدها دولة الموحدين الفتية التى ظلت تهدد مملكة البرتغال تهديدا خطيرا ردحا طويلا من الزمن .

ونظرا لتشعب الأحداث التاريخية واتساعها طوال فترة حكم دولتى المرابطين والموحدين فقد رأى الباحث أن يخصص هذا الفصل لدراسة علاقة المرابطين بمملكة البرتغال على أن يواصل الحديث فى الفصل التالى عن علاقتها بالموحدين .

بعد أن تولى تاشفين بن على بن يوسف شئون الأندلس عام ١١٢٨م / ٥٢٣ هـ بدأ يوجه نشاطه الحربى للدفاع عن الأراضى غرب الأندلس فى المنطقة المجاورة للحدود البرتغالية وصد الحملات الحربية التى إشتدت فيما بين ١١٣٢م / ٥٢٦ هـ و ١١٣٤م / ٥٢٨ هـ (٦) ، وشن الغارات على الحدود البرتغالية مما كان لذلك أكبر الأثر فى تهديد الحدود الجنوبية لكونتية البرتغال . وكان الفونسو هنريكز وقتئذ مشغولا بحروبه ضد ابن خالته الملك الفونسو السابع ولكنه بدأ على الفور فى اتخاذ عدة إجراءات هامة لتأمين الحدود الجنوبية لكونتية ، فعمل على نقل عاصمة البلاد من مدينة جويمارس القريبة من حدود البرتغال الشمالية إلى مدينة قلمرية (٧) ، القريبة من الحدود الجنوبية ليسهل عليه مراقبة نشاط المسلمين ، ثم أتبع ذلك بتأسيس قلعة ليريا فى ديسمبر سنة ١١٣٥ م / ربيع الأول سنة ٥٣٠ هـ (٨) ، لتكون قاعدة أمامية لحراسة الطريق إلى قلمرية (٩) ، ضد غزوات المرابطين المتمركزين فى شنترين ولشبونة وشنترة وفى الوقت نفسه كان يتخذها مركزا تخرج منه القوات العسكرية لتشن هجومها ضد المسلمين (١٠) ، وقد شحنها الفونسو هنريكز بحامية قوية (١١) ، وأقام فى المنطقة المحيطة بها ، أبراجا للمراقبة بنيت على مناطق مرتفعة تشتعل النيران فى المواقيد المخصصة لها بأعلى البرج فيها اذا ظهرت تجمعات المسلمين عند مرمى البصر فيستعد عندئذ البرتغاليون الموجودين فى المناطق

المجاورة لمواجهتهم وزيادة فى الحرص عمل الفونسو هنريكز على تزويد هذه الأبراج بمراوح نفير (١٢) . للتحذير من اقتراب جيوش المسلمين منها ، وفى نفس الوقت أعاد ترميم وتقوية القلاع الأخرى الموجودة فى المنطقة مثل قلعة طمان Thomar (١٣) ، وقد عانى المسلمون كثيرا من جراء إقامة هذه القلاع لأنها كانت تمثل مراكز مسيحية متقدمة فى مواجهة حدودهم (١٤)، وبعد أن أنتهى الفونسو هنريكز من تأمين حدود بلاده عاد مرة أخرى وانشغل فى صراعه ضد الإمبراطور الفونسو السابع . فانتهز المرابطون هذه الفرصة وهاجموا الحدود الجنوبية للبرتغال فى عام ١١٣٧م / سنة ٥٣١ هـ هـ . وقد حدث لبس شديد بين المورخين فى تفاصيل هذا الهجوم وتحديد اسم القلعة التى تعرضت له فأشار فريق من المؤرخين أن أفراد جيش المرابطين قد اخترقوا الحدود ، وهاجموا قلعة طمان To-mar ، وقتلوا بعض رجال حاميتها وأسروا البعض الآخر (١٥) ، بينما أشار فريق ثان من المؤرخين أن هذا الهجوم قد وجه إلى قلعة ارينا Herena (١٦) ، بينما هناك فريق ثالث يضم المؤرخين الحديثين أشار بأن الهجوم كان موجها ضد قلعة ليريا وأن المرابطين قتلوا أفراد حاميتها وقائدهم بايو جواتيرو (١٧) ، ولكن الباحث يرجع الرأى الأول لأن مدونتى القوط ولوزيتانيا هما اللتان أشارتا إلى ذلك وهما أقرب المصادر إلى أحداث تلك الفترة الزمنية ، كما أن المؤرخ برنادو قد أثبت أن قلعة ارينا Herena هى نفسها قلعة ليريا أما المؤرخون المحدثون فقد اعتمد رأيهم على مدونة الإمبراطور التى أشارت إلى قلعة أرينا (ليريا) بدون تحديد العام الذى وقعن فيه الحادثة مما جعل هؤلاء المؤرخين يجمعون على أن الهجوم كان موجها ضد قلعة ليريا ثم تحول بعد هدمها وقتل حاميتها إلى قلعة طمان(١٨) ، فقضى عليها وعلى حاميتها (١٩) .

كيفما كان الأمر ، كان لهجوم المرابطين على الحدود الجنوبية لكونتية البرتغال أثر سيء على حاكمها الفونسو هنريكز مما جعله يعبأ جيشه ويعيد تنظيمه من جديد استعدادا لمواجهة المسلمين فى الجنوب وإعادة تأمين حدوده الجنوبية مرة أخرى ، وقد اختلفت المؤرخون حول سبب تعبئة الفونسو هنريكز لجيوشه وقيادته لها ، فالبعض يرى أنه أراد تأمين حدوده الجنوبية استعدادا للتوجه إلى الأراضى الإسلامية للاستيلاء على شنترين

ولشبونة (٢٠) ، بينما رأى البعض الآخر أنه كان يهدف الاستيلاء على شلب (٢١) ، ولكننا لانؤيد أحد من الفريقين لأنه بالتمعن فى أحداث تلك الفترة الزمنية ندرك أن الأمير الفونسو هنريكز لم يخض غمار معارك ضد المسلمين منذ توليه الحكم فى سنة ١١٢٨م / ٥٢٢ هـ لانشغاله بتأمين حدود بلاده الشمالية تاركا أمر تأمين الحدود الجنوبية إلى فرسانه وجماعات رهبان الفرسان الداوية والاسبتارية المقيمين فى قلعتى طمان وسورى Soure (٢٢) فى الجنوب ، ولكن بعد أن اخترق المسلمون الحدود الجنوبية وهدموا قلعة طمان وعجز فرسان البرتغال عن صد هجماتهم . أراد أن يقوم بنفسه بتأمين تلك المناطق وتقوية التحصينات بها ، والتصدى للقوات الإسلامية على مناطق الحدود حتى يجعلهم يفكرون قبل أن يغيروا على حدود كونتيته مرة أخرى .

أما بالنسبة لما ردده بعض المؤرخين بأن هدف الفونسو هنريكز من وراء الحملة هو استعادة شنترين ولشبونة وشلب - التى كانت فى حوزة الفونسو السادس من قبل - فان قوة البرتغال وإمكانياتها لم تكن تسمح وقتئذ بالتفكير فى ذلك ، لما كانت تتمتع به هذه المدن الثلاثة بتحصينات طبيعية وبشرية (٢٣) ، يعجز الفونسو هنريكز بقواته عن اقتحامها ، فليس من الحكمة أن يدخل فى أكثر من جبهة ضد المسلمين وجبهته مازالت مفتوحة وغير واضحة مع الإمبراطور الفونسو السابع .

على أية حال ، جمع الأمير الفونسو هنريكز قواته وتوجه بها ناحية الجنوب عابرا نهر التاجة فى يوليو سنة ١١٣٩م / ذى القعدة سنة٥٣٣ هـ وفى اليوم الرابع والعشرون من شهر يوليو التقت الجيوش البرتغالية بقوات المرابطين فى معركة ضروس عند منطقة أوريك فى الألنتخو (٢٤) .

وقد اختلف المؤرخون حول تحديد موقع ميدان المعركة فيرى المؤرخ هرقلانو أن الأمير الفونسو هنريكز عندما خرج بجيشه فى يوليو سنة ١١٣٩ م / ذى القعدة سنة ٥٣٣ هـ اتخذ من الضفة اليمنى لنهر التاجة بالقرب من حدود مدينة شنترين دليلا له يرشده على الطريق حتى لشبونة ثم توجه إلى منطقة أوريك (٢٥) ، وبذلك يكون ميدان المعركة بالقرب من لشبونة ، بينما أوضح المؤرخ بايستروس نقلا عن بورجس دى فيجيرادو Borgos de

Figueirado أن المعركة دارت رحاها فى الغرب Algarve على مقربة من لشبونة عند المنطقة المعروفة باسم حقول أوريك Campos de ourique [٢٦] ، وهناك رأى ثالث - أورده أوليفيرا نقلا عن أحد المؤرخين الآخرين - يشير إلى أن الأمير الفونسو خرج من قلمرية واتخذ طريقه إلى أبراج نوباس Torres Novos وأبيدوس obidos ثم انحرف شمالا من شنترين بين النكير Alenquer وأبراج بدراس Torres Vedras ثم اتجه شمال مافرا Mafra وشنترة حتى وصل إلى حقل أوريك فى مواجهة ثلاث كليومترات من المدينة[٢٧] .

ويرى المؤرخ لويز Lopes بأن أوريك تقع على بعد خمسة عشر كليو مترا من شنترين فى مكان يعرف باسم كارتكس Cartaxo [٢٨]، وهناك رأى آخر يشير إلى أن حقل أوريك يقع بين ليريا وشنترين فيبعد عن الأولى بثمانية كليومترات وعن الثانية بخمسة عشر كليو مترا [٢٩].

أما المؤرخ أشباخ فقد ذكر بأن حقل أوريك يقع على الضفة اليسرى لنهر التاجة على مقربة من التقاء نهرى كوبريس وترجيس ويعرف باسم كابيزا دى رايس [٣٠] .

أما الرأى الذى تبناه أوليفيرا Oliveira - بعد دراسته لآراء عديدة - يشير إلى أن أوريك فى أوريليا Aurelia [٣١] ، اعتمادا على التشابه بين اسم أوريك المكتوب فى المصادر بأشكال متقاربة مثل Aurich و Aulic و Haulich و Oric و Ouric وبين اسم قلعة أوريليا المدون أيضا بالأشكال التالية Aurichula و Aurelia و Orelia و Oreja وأن نفس المؤرخين العرب قد أشاروا إلى قلعة أوريليا (أريلية) ينطق مقارب تماما لأوريك Oric [٣٢] ، ويقرر أن خروج الأمير الفونسو هنريكز بجيشه فى يوليو سنة ١١٣٩م / ذى القعدة سنة ٥٣٣ هـ كان من أجل مساعدة الإمبراطور الفونسو السابع ملك قشتالة فى حصاره لقلعة أوريليا - القريبة من مدينة طليطلة - المستعصية عليه [٣٣]، ولكنه التقى فى طريقة بجيش المسلمين بجوار قلعة أوريليا ، (أوريك) ، وبهذا يرى أوليفيرا أن معركة أوريك تقع فى مملكة قشتالة بالقرب من طليطلة ولكن الباحث ينفى هذا الرأى لأن الأحداث التاريخية التى ذكرتها المصادر المسيحية والعربية فى شأن حصار

الإمبراطور الفونسو السابع اوريليا أثبتت أن الأمير الفونسو هنريكز كان يواجه صعوبات على حدوده الشمالية والجنوبية مع الإمبراطور وأتباعه من ناحية ومع غارات المرابطين المستمرة على بلاده من ناحية أخرى فكان من الطبيعي وقتئذ أن يتجه إلى حدوده الجنوبية التى تواجه التهديد المستمر ولايتجه إلى داخل الأراضى القشتالية فى موقع بعيد تماما عن حدود كونتيته .

وهناك رأى أورده كل من لافونتى Lafuente وستيفن Stephens يتضمن أن أوريك تقع على إحدى الربوات التى تتوسط حقول باجة (٣٤) ، ولكن الباحث لايؤيد ذلك لأنه ليس من المعقول أن يتعمق الأمير الفونسو هنريكز إلى جنوب نهر التاجة ، وهى منطقة بعيدة جدا عن حدود كونتيته الجنوبية وتقع فى عمق أراضى المسلمين فى منطقة يسهل قطع خط الرجوع عليه خاصة وإنه كان يتسم بشدة الحرص ويحجم عن المغامرة بقواته فى مناطق غير آمنة خاصة وأنه مازال فى صراع مع ابن خالته الإمبراطور مما يدفعه لعدم المخاطرة بجيشه ضد المسلمين فى تلك المنطقة .

أما الرأى الأخير بأن حقل أوريك يقع فوق المكان الذى يدعى كاسترو بردى Castro Verde فى الوادى المحتوى بين نهرين يصبان فى نهر وادى يانه Guadiana (٣٥) فان الباحث لايؤيد أيضا هذا الرأى لأن تلك المنطقة تقع إلى الجنوب الشرقى من مدينة باجة ويسرى عليها نفس التبرير الذى أورده الباحث فى الرأى السابق .

ونخلص من جملة الآراء السابقة أن منطقة حقل أوريك تقع بين لشبونة وشنترين وأننا نؤيد الرأى الذى ينادى بقربها من شنترين لأن حاكم هذه المدينة كان يرأس تلك المناطق المجاورة على حد ما ذكرته المدونات فضلا عن أن شنترين كانت أقرب مدينة للحدود البرتغالية ويصبح من الطبيعى أن يتجه الأمير الفونسو هنريكز دون أن يفكر فى دخول غيرها من المناطق الأخرى حتى لايترك من ورائه قلعة شنترين تهدد خط الرجعة له .

على أية حال ، خرج الفونسو هنريكز على رأس أحد عشر ألف مقاتل (٣٦) وهاجم المسلمين على غرة فى المنطقة المحيطة بمدينة شنترين ، وقد أشارت المدونات المسيحية أن الجيش الإسلامى قد بلغ قوامه ثلاثمائة ألف مقاتل (٣٧) من سائر المدن والقلاع المجاورة

لشنترين مثل بطليوس وأشبيلية وألبا ويابرة وباجة كما شارك فيه أيضا خمسة من ملوكهم بقيادة إسمار Esmar [٣٨] .

وجدير بالذكر أن المصادر البرتغالية ، المؤرخة لهذه المعركة [٣٩]، قد تعمدت المبالغة فى أعداد جيش المسلمين وتقليل عدد المقاتلين البرتغاليين حتى تؤكد أهمية انتصارهم على المسلمين والدليل على ذلك أنها حددت الأماكن التى جمع منها المسلمون قواتهم فى وقت قصير والعدو يفاجىء أراضيهم دون أن تدرك أن أعداد مثل هذا العمل الضخم يلزم استعدادات كبيرة واتفاقات مسبقة لايمكن أن تتحقق فى حالة الهجوم المفاجىء .

كيفما كان الأمر ، بدأ الأمير الفونسو هنريكز تنظيم قواته وقسمها إلى أربعة أقسام فشملت كل من المقدمة والمؤخرة ثلاثة آلاف من المشاة وثلاثمائة فارس ، فقاد الأولى بنفسه شخصيا مع فارسه الخاص بيريز بايز Peres Pais حاملا للعلم ودن ديجو جونثالث Diogo Goncalzes بينما رأس المؤخرة دون لورنثيو فيجاس Lourenco Viegas وجونثالو دى سوبا Gonzalo de Sousa أما الميمنة والميسرة فقد ضمت كل منها ألفين من المشاة ومائتين من الفرسان [٤٠] ، وقد خصص مارتين مونيز Martin Moniz قائدا للأولى ، ومم مونيز Mem Moniz [٤١] ، قائدا للجناح الأيسر هذا خلاف عدد كبير من النساء المشتركات لخدمة الجيش المسيحى على حد تعبير المؤرخ سسر [٤٢] .

أما الجيش الإسلامى فكان يتكون من خمسة أقسام هى المقدمة والقلب والساقة والميمنة والميسرة ورأس كل قسم أحد القادة الكبار حيث اعتبرهم مؤرخو المدونات المسيحية خمسة ملوك فضلا عن قادة الفصائل فى كل قسم [٤٣] .

وقد استعد الطرفان للقتال مع بداية شروق يوم ٢٥ يوليو سنة ١١٣٩م / ذى القعدة سنة ٥٣٣ هـ وقد امتطى الأمير الفونسو هنريكز صهوة فرسه ليتفقد قواته بينما دعا إسمار والقادة الآخرين قواتهم للصلاة استعانة بالله ليمنحهم النصر . وبدأت المعركة بمبارزات فردية بين الفرسان كالعادة المتبعة فى الحروب وقتئذ ، ثم التحم الجيشان فى معركة ضارية أثر اقتحام القوات الإسلامية لمعسكر المسيحيين ، وعندئذ أدرك الفونسو هنريكز ببصيرته العسكرية ضرورة انسحاب قواته من المعسكر ثم الهجوم بشدة على

الجيش الإسلامى (٤٤) ، محاولا أن يطوق المجموعة القوية التى يقودها إسمار . وأخذ البرتغاليون يوجهون ضرباتهم السريعة الشرسة إلى القوات الإسلامية فأصابت عددا كبيرا منهم ، وعندما أدرك إسمار أن الخطر يحوم حوله من كل جانب لاذ بالفرار لإنقاذ حياته(٤٥) ، مما سبب تشتت القوات الإسلامية ، ما نقض البرتغاليون عليهم وانتهت المعركة لصالح الملك الفونسو هنريكز بعد أن راح ضحيتها عدد كبير من المسلمين ما بين قتلى وأسرى من الرجال والنساء المشتركات فى المعركة (٤٦) .

أما القوات البرتغالية فلم تفقد إلا عددا قليلا من نبلائها (٤٧) .

وجدير بالذكر أنه على الرغم من أن المصادر العربية لم تشر إلى هذه المعركة فان كل المدونات المسيحية القريبة زمنيا من مسرح الأحداث بجانب الوثائق التى أرخت للمعركة تؤكد حقيقتها ولكن ليس بمثل هذا الشكل الأسطورى المذكور فى المدونات والتى اختلط فيها الواقع بالخيال (٤٨) ، وإنما باعتبارها إحدى المعارك الناتجة عن هجوم القوات البرتغالية على الأراضى الإسلامية وتصدى المسلمين لها .

لم يسكت إسمار على الهزيمة التى منى بها ، وسرعان ما جمع جيشه فى العام التالى للمعركة (٤٩) من شنترين وبطليوس ويابرة (٥٠) ، وعبر بهم حدود مملكة البرتغال ، وعندما وصلوا قلعة ليريا استولوا عليها وهدموها وقتلوا من فيها من الفرسان (٥١) ، ثم واصلوا طريقهم بعد ذلك حتى قلب البرتغال إلى الشمال الشرقى على مقربة من أطرونكس Trancoso واستولوا على قلعة أرونشيز Aronches وأقاموا مذابح كثيرة فى المناطق المختلفة (٥٢) ، ثم عادوا مسرعين محملين بالغنائم والأسلاب إلى مدنهم .

وكان الملك الفونسو هنريكز حينئذ مقيما فى قلمرية ولم يملك الوقت الكافى لإرسال النجدة اللازمة ، فآثر أن يكرس جهوده لترميم القلاع التى تهدمت (٥٣) ، واستكمال سلسلة تحصينات الحدود حتى أنه أنشأ فى عام ١١٤٢م / ٥٣٧ هـ قلعة جيرما نيلو Germanelo وأحضر لها عمالا من مدينة قلمرية ووضع فيها حامية قوية (٥٤) ثم دعا بعض سكانها للإقامة بها ، وجمع جيش قويا عبر به الحدود الجنوبية كرد فعل عنيف لغارات المسلمين على أراضيه وهدمهم للقلاع الجنوبية . فتوجه فى عام ١١٤٢م / ٥٣٨هـ

إلى مدينة لشبونة مع عدد من الصليبيين (٥٥) ، وحاصرها ولكن لم ينجح فى الاستيلاء عليها لمناعتها وضآلة استعداداته الحربية ، فاكتفى بفرض الجزية عليها - ويبدو أن سكانها وافقوا على دفع الجزية حتى يتخلصوا من حصاره لهم - وعند عوته توجه إلى مدينة شنترين وأجبر سكانها على التحصن داخل مدينتم ولكن تقدم حاكم شنترين وأعلن استعداده لدفع الجزية ، ووافق الفونسو هنريكز (٥٦) ، لأنه لم يكن من القوة حتى يستطيع الاستيلاء عليها عنوة .

وكان الملك الفونسو هنريكز عندئذ قد أنهى نزاعاته مع ابن خالته الإمبراطور الفونسو السابع ملك قشتالة وعقد معه معاهدة سمورة سنة ١١٤٣م / ٥٣٨ هـ ، ومن ثم بدأ يتفرغ لمواجهة المرابطين خاصة بعد أن بدأت تلوح بذور الثورة ضدهم فى أفق بلاد الأندلس مما دفعه إلى اتخاذ أول إجراء هام يتعلق بانشاء وتأسيس القلاع وتحصينات الحدود .

ونخلص من كل ذلك أن سياسة الملك الفونسو هنريكز تجاه المرابطين هى سياسة دفاعية لانشغاله الدائم منذ توليه حكم البرتغال سنة ١١٢٨م / ٥٢٢ هـ بالحروب ضد ابن خالته الإمبراطور الفونسو السابع والتى لم تعطه الفرصة الكافية ليوجه نظره ضد المرابطين على حدوده الجنوبية بنفس القدر الذى يهتم به لتأمين هذه الحدود ، فكانت معركة أوريك نفسها ماهى إلا غزوة دفاعية قصد بها تأمين حدوده الجنوبية واظهار القوة وإرهاب المسلمين ونجد أن حدود مملكته لم تتقدم إلى الجنوب ، ولم يضف شيئا إلى مملكته من ناحية الجنوب منذ توليه الحكم حتى بداية ثورة الأندلسيين ضد المرابطين .

الهوامش :

١ - حركة الاسترداد هى المفهوم الأسبانى للحروب ضد المسلمين .
٢ - حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، القاهرة سنة ١٩٥٩ ، ص ٣١٠ .
٣ - Martin , La penisula en la Edad Media , p . 229 .
٤ - Ibid
٥ - يذكر ابن الأثير فى حوادث عام ٤٩١ هـ « وكان ابتداء ظهور دولة الفرنج واستبداد أمرهم وخروجهم إلى الإسلام وبلادهم واستيلائهم على بعضها سنة ٤٧٨ هـ فملكوا مدينة طليطلة وغيرها من بلاد الأندلس ، وقد تقدم ذكر ذلك ، ثم قصدوا سنة أربع وثمانين وأربعمائة جزيرة صقلية وملكوها - وقد ذكرته أيضا - وتطرقوا إلى أطراف أفريقية فملكوا منها شيئا وأخذ منهم ثم ملكوا غيره على ماتراه فلما كانت سنة تسعين وأربعمائة خرجوا إلى بلاد الشام »
الكامل ، ج ١ ، ص ٢٧٢ .
راجع أيضا :
جوزيف نسيم ، العرب والروم واللاتين ، ص ٣٧ - ١١٠ ،
سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ١٩ - ٤٢ ،
رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ١ ، الفصل الأول والثانى ،
باركو ، الحروب الصليبية ، ترجمة السيد البارز العرينى " البحث بكامله "
٦ - كانت حملة سنة ١١٣٢ م / ٥٢٦ هـ التى قام بها القشتاليون ضد مدينة شبيلية وضواحيها ونتج عنها تخريب المناطق المحيطة بها ثم توجه تاشفين بن على بعد ذلك ناحية بطليوس وباجة ويابرة لتأمين حدودها وصد غارات إحدى الفرق القشتالية التى أغارت عليها .
ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٧٩ - ٨٠ ، ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج ١ ، ص ٤٥٢ - ٤٥٣.
أما بالنسبة لحملة سنة ١١٣٤ م / ٥٢٨ هـ فبعد أن حشد الملك الفونسو السابع جيشه واتجه ناحية بطليوس وخرب أراضيها أسرع الأمير تاشفين من أشبيلية فى قوات ضخمة والتقى مع قوات العدو بالقرب من سهل الزلاقة وانتصر عليهم وأسر عددا كبيرا منهم ثم قفل راجعا إلى قرطبة .
ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ٩٧ - ٢٠١ ؛ ابن عذارى ، نفس المصدر والجزء ، ص ٨٨ - ٨٩ ، انظر أيضا عنان ، نفس المرجع ، ج ١ ، ص ١٣٣ - ١٣٨ . ، سحر سالم ص ٥١٤ .
وتشير مدونة الإمبراطور " أن على بن يوسف قد دعى ابنه تاشفين بمناسبة توليه أمور الأندلس وقال له عليك برئاسة كل الممالك وأن تكون الملك الأعلى للملوك والأمراء والقواد من البحر حتى طليطلة وشنترين ومن الطرف الآخر حتى سرقسطة برشلونة وعليك أن تستولى على طليطلة والقلاع حتى نهر الدويرة لأن الطليطليين يستعدون لحربه .

La cronica de Alfonso VII , p . 289 .

٧ - Lopes , D , Quem era o rei Esmar do Batalha de Ourique Homenaje a D , Ferncisco Coderax , Zaragoza , 1904 , p . 19 . Lozoya , op . cit . , pp . 432 - 433 .

٨ - Cornica dos Godos , p . 268 ; Chronicon Lusitano , E . S , T 14 p .

409 ; Brandão , conica do conde D , Henrique , p 240 , CF . , also : Walter , op , cit . , pp . 28 - 29 . Ballesteros op . cit . , p. 384 .

٩ - تشير بعض المدونات البرتغالية أن الأمير الفونسو هنريكز قاد غزوة فى الأراضى القريبة من ليريا عام ١١١٧م / ٥١١ هـ واستولى على إحدى القلاع الحصينة بها وقتل كثيرا من العرب واستولى على وادى ليريا ثم منح حكم هذه المنطقة إلى Theotonio رئيس دير سانت كروس فى قلمرية وأسند حكم القلعة إلى باير Paio Gaterrez (Paio Guterres)

Duarte , op . cit . , p . 53 ; Brandão , mon . Lus . p . 167 .

ولكننا نرى أن هناك خطأ فى ذكر هذا التاريخ لأن ألفونسو هنريكز لم يبلغ عندئذ أكثر من السابعة من عمره مما يصعب عليه قيادة حملة حربية ، كما أن وجود على بن يوسف أمير المرابطين فى تلك الجهات ينفى تماما مقدرة البرتغاليين على القيام بهذه الغزوة .

١٠ - Galvão , op . cit . p . 61 .

١١ - Lopes , quem era o Rei Esmar ; Cesar op . cit . , p . 32 .

١٢ - Jan R ead . op . cit , p . 155 .

ويبدو ان البرتغاليين تأثروا بنظام الروابط والمناور الإسلامية التى الف المسلمون بناءها على امتداد السواحل فى الشام ومصر والمغرب والأندلس .

١٣ - تقع إلى الجنوب الشرقى من قلعة ليريا وإلى الشمال الشرقى من مدينة شنترين وهى تقع على حافة هضبة عالية وتأخذ أسمها طمان من النهر الذى يجرى فى واديها ، يرجع الفضل فى تأسيسها للدونيا تريزا وكانت قد سلمتها مع قلعة سورى Soure إلى جماعة الفرسان الداوية والاسبتارية الذين كانوا يمارسون نشاطهم من تلك القلعتين لحماية تلك المنطقة وقد اعتمد عليهم الأمير الفونسو هنريكز فى صد غارات المرابطين .

Brandão , cronica de cond D . Henrique , pp . 189 - 192; CF . also : Stephens , op . cit . , p . 43 , Inchbold , A . C . Lisboa E cintra , London 1907 , p . 183 .

١٤ - Herculano , op . cit . , T3 , pp . 21 - 22 ; ; Lopes , quem era .. , p . 20

Livermore , A now history of portual , p 54 , Duarand , op . cit . , p . 32 stephens , op . cit . , Loc . cit .

١٥ - cronica dos Godos , p . 268 , chronicon Lusitano , p 409 , Brandão , Mon . Lus .. p . 10 .

١٦ - La cronica de Alfonso VII , p . 263; Sandoval , op . cit . , p . 167.

١٧ - Herculano , op cit . , Loc cit . ; Stephens , op . cit . , Loc cit . , Lopes , quem era , p . 20 ; Livermore . A new history of portugal , p . 54 , Duaraad , op . cit . , Loc cit .

١٨ - لم نجد أى صدى لتلك الغزوة فى المصادر الإسلامية .

١٩ - ولعل السبب الذى حدا بالمؤرخين الإشارة إلى أنه فى سنة ١١٣٧ م / ٥٣١ تم الإغارة على القلعتين وهدمهما ، أنهم جمعوا بين الروايتين الأولى الخاصة بقلعة طمان والثانية والتى ذكرت قلعة ارينا (ليريا) والتى ذكرتها مدونة الإمبراطور وكما أشرنا من قبل أن هذه المدونة ذكرت القدر القليل من أحداث العلاقات بين الملك الفونسو هنريكز والإمبراطور الفونسو السابع مجتمعة دون فواصل زمنية مما جعل كثيرا من المؤرخين المحدثين يؤرخون بعض الأحداث لسنوات مخالفة للواقع .

٢٠ - Cesar , op . cit . , p . 37 .

٢١ - Ballesteros , op . cit . , p . 384 .

٢٢ - وطد جماعتى الدواية والإسبتارية فى هاتين القلعتين المذكورتين ومراكز أخرى متفرقة بطول خط الحدود مع المسلمين وقد اعتمد عليهم الملك الفونسو هنريكز فى مقاومة وصد غارات المسلمين .

Brandão , cronica do conde D . Henrique , p . 192 , CF . also , Stephens , op . cit . , p . 43 .

وكانت هذه الجماعات قد نشأت فى الشام ، فالداوية أسست فى بيت المقدس ١١١٨ م ومهمتها حماية طرق الحجاج ومحاربة المسلمين وحماية معبد سليمان Temple ومنها جاء اسمهم فرسان المعبد وشملهم برعايته ملك بيت المقدس بلدوين الثانى والذى أفراد لهم جناحا فى قصره ، أما الاسبتارية فان جذورها تمتد إلى ما قبل الحملات الصليبية عندما أقامت جماعة من تجار أمالفى فى ١٠٧٠ م مستشفى قريب من كنيسة بيت المقدس للعناية بالحجاج والذين نظموا أنفسهم بعد وصول الصليبيين إلى الشام وجمعت بين الفكرة الدينية والروح العسكرية .

ولمزيد من التفاصيل عن هذه الجماعة أنظر :

William of Tyre : A History of deeds done Beyond the sea , Vol . 1 , Now York , 1949 . pp . 524 - 526 ; CF , also , paul , L . Vie Militaire et Religieuse au Moyen Age , paris 1877 ; pp . 181 - 216 . Contamine . op . cit . , p . 94 .

نبيلة مقامى : فرق الفرسان الرهبان فى بلاد الشام رسالة ماجستير لم تنشر بكلية آداب . القاهرة ص ١٧ - ٢١ ، أسامة زكى زيد : الصليبيون واسماعيلية الشام فى عصر الحروب الصليبية . الأسكندرية ١٩٨٠ ، ص ٢٥١ - ٢٥٨ .

وكان دخول جماعتى الدواية والاسبتارية للبرتغال بين عامى ١١٢٦ - ١١٢٨ فى حكم الدونيا تريزا وكانت بداية لهما فى تأسيس مراكز من أجل توسيع نشاطهم واسهامهم فى رد هجمات المسلمين ، وقد أسرع العديد من الفرسان ليدخلوا فى خدمة الدونيا تريزا حيث كانت سخية جدا معهم بهذه المنح والامتيازات الأخرى العديدة التى منحتها إياهم ، ولمزيد من التفاصيل أنظر ما يأتى :

Brandao , cronica do conde D . Henrique , pp . 190 - 191 ; CF . also : Benevides , op . cit . , p . 74 ; Stephens , op . cit . , p . 32 ; Dailliez , L , Lorde de saint Jean de Jerusalem au ortugal XI - XV Siecles , Paris ,

1977 . p . 22 ; Herculano , op . cit , T 3 , p . 20 .

٢٣ - يتضح ذلك عند حديثنا عن الاستيلاء على لشبونة .

٢٤ - Duarte , op . cit . , pp . 60 - 61 ; Galvão , op . cit , pp . 61 - 62 ; Sil- va ; op . cit . , pp . 36 - 37 ; Brandão Mon .. Lus .. , pp . 117 - 118 ; Basto , op . cit . , p . 60 . CF . also : Herculano , op . cit . , pp . 31 - 32 ; Ol- iveira , P.M Ourique em Espanha , Lisboa 1941 , pp . 53 - 54 ; Denis , op . cit . p . 9 .

وتشمل منطقة الالنتخو عدة بقاع من منتصف وادى نهر التاجة فى خط مراز للنهر حتى الاسكترامادورا

Martins , O , Historia de portugal , Vol 1 , S / d , p . 37 .

٢٥ - Hertins , op . cit . T 3 , pp . 32 - 36 .

٢٦ - Ballesteros , op cit , pp . 384 - 385 ; Lozoya , op cit , pp . 432 - 433 .

٢٧ - يشير أوليفيرا إلى الأراء المختلفة ثم يعقب هو برأيه حول موقع المعركة

Oliveira , Ourique em Espaha , pp pp 59 - 61 ; jan read , op . cit . , p . 156 .

٢٨ - Lopes , Quem era ... , pp . 19 - 20 ; Oliveira , op . cit . , pp . 61 - 62 .

وجدير بالذكر أن حدود المناطق التابعة لمدينة شنترين تغير من وقت لآخر فانها فى بعض المرات وصلت حتى نهر المونديجو

Cesar , op cit , pp . 40 - 42 .

٢٩ - Oliveira , op . cit . , pp . 63 - 65 .

٣٠ - أشباخ ، نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٢٥٧ .

٣١ - تسمى أحيانا أوريخا ، أرويلا ، أريليا ، أربيلة .

عنان ، نفس المرجع ، ج ١ ، ص ١٥٣ ، ص ٥٠٤ .

٣٢ - Oliveira , op cit , pp . 33 - 35 .

٣٣ - المصادر الإسلامية وضعت هذا الحصار فى سنة ١١٣١ م / سنة ٥٢٥ هـ .

وتسمية حصن أرنبط ، ابن عذارى ، البيان ، ج ٤ ، ص ٨٤ - ٨٥ .

ولكن ابن القطان وضعها فى سنة ١١٣٩ م / ٥٣٣ هـ .

ابن القطان ، نفس المصدر ، ص ٢٤٥ .

أما المصادر والمراجع المسيحية أدرجتها ضمن أحداث ١١٣٩ م .

La cronica de Alfonso VII , p . 337 ; Anales Toledanos , C . L . R , T 1 p . 346 , CF . also ; Saraiva , op . cit . pp 53 - 54 ; Bosch , op . cit . , p 241 .

ويشير أوليفير أن الإمبراطور الفونسو السابع عندما رأى ضعف المرابطين جمع جيشا كبيرا للاستيلاء على حصن أوريليا مما دفع المرابطين إلى حشد مايقرب من ثلاثين ألف مقاتل قسموا إلى جزئين الأول

للهجوم على الإمبراطور المحاصر للحصن والثانى للهجوم على طليطلة ولكنهم فشلوا واستسلم الحصن للإمبراطور . Oliveira , op . cit . , pp . 33 - 35 .
وأشارت المصادر الإسلامية إلى تسليم الحصن له وطلب الأمان .
ابن عذارى نفس المصدر ، الجزء والصفحة ؛ عنان ، نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٥٠٥ .

٣٤ - Lafuente , op . cit . , p . 353 ; Stephens , op . cit .Loc cit

٣٥ - Denis , op . cit . , p . 9 .

٣٦ - Brandão , Mon .. Lus .. , p . 117 .
وبعض الروايات حددته بثلاثة عشر ألف ومائتين بين فرسان ومشاه دون رجال الشحن والقائمين على خدمة الجيش .

cesar , op . cit , p . 43 .

٣٧ - Brandão , Mon .. Lus .. , p . 118 .
اختلف الروايات البرتغالية فى تحديد عدد قوات المسلمين فالبعض أشار إليهم بأربعمائة ألف مقاتل .

Herulano , op . cit p . 36 ; Denis , op . cit . , Loc cit . Saraiva , op cit p . 541 .

والبعض الآخر أشار أنهم تسعمائة ألف مقاتل .

Cesar , op cit , pp . 42 - 43 .

٣٨ - اعتادت المصادر المسيحية على أن تشير إلى الولاة كملوك فاعتبرت إسمار ملكا وقد ذهبت المؤلفات الأجنبية مذاهب شتى فى تحقيق هذه الشخصية ربط بعضها بين إسم إسمار وأبو زكريا Ismar & Abuzicri على أساس أن أبو زكريا كان حاكما لشنترين وقت إستيلاء الملك الفونسو هنريكز عليها فى سنة ١١٤٧ م وفق ما أشارت مدونتى القوط وقلمرية .

Lopes , quem era .. p . 21 ; Oliveira , op . cit pp . 27 - 29 cesar op . cit . p . 39 .

وقد أشار إليه البعض الآخر أنه ابنا لإمبراطور المرابطين وأخا لتاشفين . Herculano , op . cit . , p . 169 .

بينما رأى فريق ثالث أن إسمار ابنا لعلى قائد أرويلة .

Oliveira , op . cit . pp . 29 - 31.

ولكن الباحث يرى أنه من خلال الأشكال المختلفة المكتوب بها إسم إسمار فانه يقترب من الإسم العربى اسماعيل ولكن من خلال استعراضنا لأسماء ولاة المرابطين فى منطقة غرب الأندلس فى كتاب مفاخر البربر ، لم نجد من ينطبق عليه هذا الإسم ، ولذا فاننا نرجح أن المدونات المسيحية لم تكتب اسمه بدقة وأنه من الممكن أن يكون أحد ولاة بطليوس أو اشبيلية أو المدن الهامة الأخرى الموجودة آنذاك فى غرب الأندلس التى ازداد بها ظاهرة كثرة تغيير حكامها وقتئذ لطبيعة الصراع المستمر بين المرابطين والمسيحيين

مؤرخ مجهول ، مفاخر البربر ، تحقيق ليفى بروفنسال ، الرباط سنة ١٩٣٤ م ، ص ٨١ - ٨٢ .

وتعنى بالخمسة ملوك ضم ولاة المدن المذكورة بالمتن .

٣٩ - Cronica dos Godos , p . 268 ; chronicon Lusitano , E . S . , T 14 , pp . 409 - 410 ; chronicon conimbricense , p . 331 , Duarte , op . cit , p . 60 , Galvão , op cit , pp 61 - 62 ; Silva , op, cit pp 36 - 37 . Brandão , Mon . Lus , pp . 117 - 118 Basto , op , cit . , p . 60 Recension breve continues Jusque A . P . , R . P . H . T 3 , p . 108 ; CF . also : Lopes , Quem era , p . 21 ; Oliveira , op . cit ,., pp . 16 - 17 ; Herculano , op . cit . , T3 p . 169 .

٤٠ - Brandão , Mon . Lus ... , p . 120 ; Sliva . op . cit . p . 42 .

وأنظر ما سبق ص من هذا البحث حول اختلاف المصادر فى تحديد أعداد القوات البرتغالية .

٤١ - كان الفارسان الأخيران هما ابن ايجزمونيز مربى الملك الفونسو ، أما بالنسبة لأسماء القادة المذكورين فان المصادر لم توضح لنا أخبار عنهم لأن المصادر المسيحية لم تسر على نهج كتب التراجم فى المصادر الإسلامية والتعرف يستنبط من الأحداث ، وقد عددت المدونات الكثير من أسماء النبلاء المشاركين فى الحملات .

٤٢ - Cesar , op . cit pp . 44 - 45 .

٤٣ - لم تذكر المدوات البرتغالية أسماء القادة المسلمين باستثناد ذكرهم لاسمار - Idem , pp . 45 - 46 .

٤٤ - Cronica dos Godos , p . 26 ; chronicon Lusitan , p . 410 .

٤٥ - Brandão , op . cit , p . 122 .

٤٦ - تشير المدونات البرتغالية إلى أن كثرة قتلى المسلمين قد أدى إلى تغطية أنهار كابرس Cabres وتيرجس Terges بالدماء ، بينما بالغت بعض الروايات الأولى فى عدد القتلى من المسلمين فأشارت بأن عددهم قد بلغ مائتى ألف رجل ولمزيد من التفاصيل راجع :

Cornica dos Godos p . 268 ; chronicon Lusitano . p . 410 , Galvão , op . cit . , p . 71 , Brandão , op . cit . , p . 122 .

Duarte , op . cit . , pp . 56 - 57 , Silva . op . cit , loc cit .

Basto , op . cit . , pp . 62 - 66 ; CF , also : Cesar op . cit . , pp 52 - 54 ; Stephens , op . cit . , pp . 44 - 45 .

Galvão , op . cit . , p . 71 ; Brandão , op . cit , p 122 ;

٤٧ - كانت غنائمه من لك المعركة عظيمة وزعها على أتباعه ، والتى من كثرتها جعلته يبقى ثلاثة أيام فى ميدان المعركة .

Chronicon Lusitano , p . 410 ; Galvão , op . cit . , p . 76 ; Silva , op . cit . , p . 47 .

٤٨ لم يكن هناك حدث فى تاريخ البرتغال له صدى وأهمية كبرى إلا معركة أوريك حيث اعتبرها البرتغاليون سببا فى تأسيس مملكتهم ، فقد ارتبطت معركة أوريك بمعجزات أسطورية تمثل سمة العصر أنذاك . وبدأت برواية ظهور السيد المسيح مع الصليب الأزرق فى السماء ووعده للأمير الفونسو بأنه سوف ينتصر فى المعركة ضد الأعداء كما أفاضت المدونات المسيحية المتأخرة فى سرد تفاصيل تلك المعجزة وكلما مر عليها الزمن أضيفت معجزات أخرى أهمها أن المعركة وقعت يوم ٢٥ يوليو الموافق عيد القديس شانت ياقب (القديس يعقوب) والذى ظهر ممتطيا فرسه الأبيض وقاتل مع المسيحيين لمساعدة الأمير الفونسو هنريكز وهى روايات تكررت كثيرا .
أنظر نفس المصادر السابقة بنفس الصفحات المذكورة والخاصة بأحداث معركة أوريك .
حقيقة أنه ابتداءً من عهد الملك الفونسو هنريكز والبرتغاليون يروون تلك الأساطير على أنها حقائق وكان الفونسو نفسه له دور فى ذلك لأنه أدرك فى إذاعته لتلك الروايات تخليدا له .

Cesar , op . cit . , p . 58 ; Saraiva , op . cit . , pp . 55 - 56 ; Jan Read , op . cit . , p . 155 .

ولكن منذ بداية هرقلانو فى أواسط القرن التاسع عشر الميلادى الذى أخذ ينتقد تلك الروايات وينتقد أهمية المعركة التى جعلت رجال الدين يثورون ضد محاولة هرقلانو الإقلال من أهميتها مع حذف كل الأساطير والمعجزات التى تحيط بها فكان دافع رجال الدين العاطفة وليس حب الحقيقة .
ويتضح أهمية معركة أوريك بالنسبة للبرتغاليين أن اتخذوا الصليب الأزرق مع العلامات الخمسة التى تمثل الولاة العرب الخمسة فى تلك المعركة شعار مملكة البرتغال الذى حتى يومنا هذا فى علم البرتغال .

٤٩ - لم تهدأ الاشتباكات بين البرتغاليين والمسلمين بعد نهاية معركة أوريك فأشار ابن قطان أنه فى عام ٥٣٣ هـ / ١١٣٩م قامت إحدى الحملات العسكرية المسيحية بمحاولة التوغل فى الأراضى الإسلامية ، ولكن استطاع جيش مؤلف من جنود شنترين ويابره التصدى لها وكان النصر فى بداية الأمر حليفا لمسيحيين ولكن سرعان ماكر المسلمون عيهم وهزمهم وقتلوا وأسروا عددا كبيرا منهم .
ابن القطان . نفس المصدر ، ص ٢٤٤ ، ولم يحدد المؤرخ جنسيتهم ولكن يمكن الاستنتاج بأنهم برتغاليين لان جهة الحملة كانت الأراضى القريبة من شنترين وهى إحدى الغارات المتبادلة والمستمرة بين الطرفين على مناطق الحدود .
والواقع انه لا يمكن الربط بين تلك المعركة ومعركة أوريك لأن معركة أوريك - كما ذكرت جميع المصادر المسيحية وافاضت فيها - النصر حليف البرتغاليين .

٥٠ - Silva , op . cit . , p . 50 .

٥١ cronica dos Godos , p . 269 ; chronicon Lusitano , E . S . , T 14 , pp - 410 - 411 ; Duarte , op . cit . , p . 62 ; Galvão op . cit . , p . 92 , Brandão , op . cit . , p . 135 ; Basto , op . cit . , p . 75 ; Silva , op . cit . , Loc cit . , CF . also : Walter , op . cit . , pp . 28 - 29 .

٥٢ Galvão , op . cit . , Loc . cit ; Silva , op . cit . , p . 51 ; Brandão . op . cit . , p . 135 ; Baez , op . cit . , p . 105 ; CF . also : Herculano . op . cit . , T 3 , p . 41 ; Ballesteros , op . cit . , pp . 384 - 385 .

٥٣ - Galvão , op . cit . Loc cit . 1/2 .

٥٤ - Cronica dos Godops , pp . 269 - 270 ; Chronicon Lusitano , p . 412 ;
CF . also , Livermore , A now history of portugal , 54 .

٥٥ - بلغت الحروب الصليبية فى الشام أوج قوتها وكانت سواحل البرتغال تشهد كثيرا من الصليبيين الذين يمرون بسواحلها فى طريقهم الى الشرق ، وسنتعرض لذلك بالتفصيل فيما بعد .

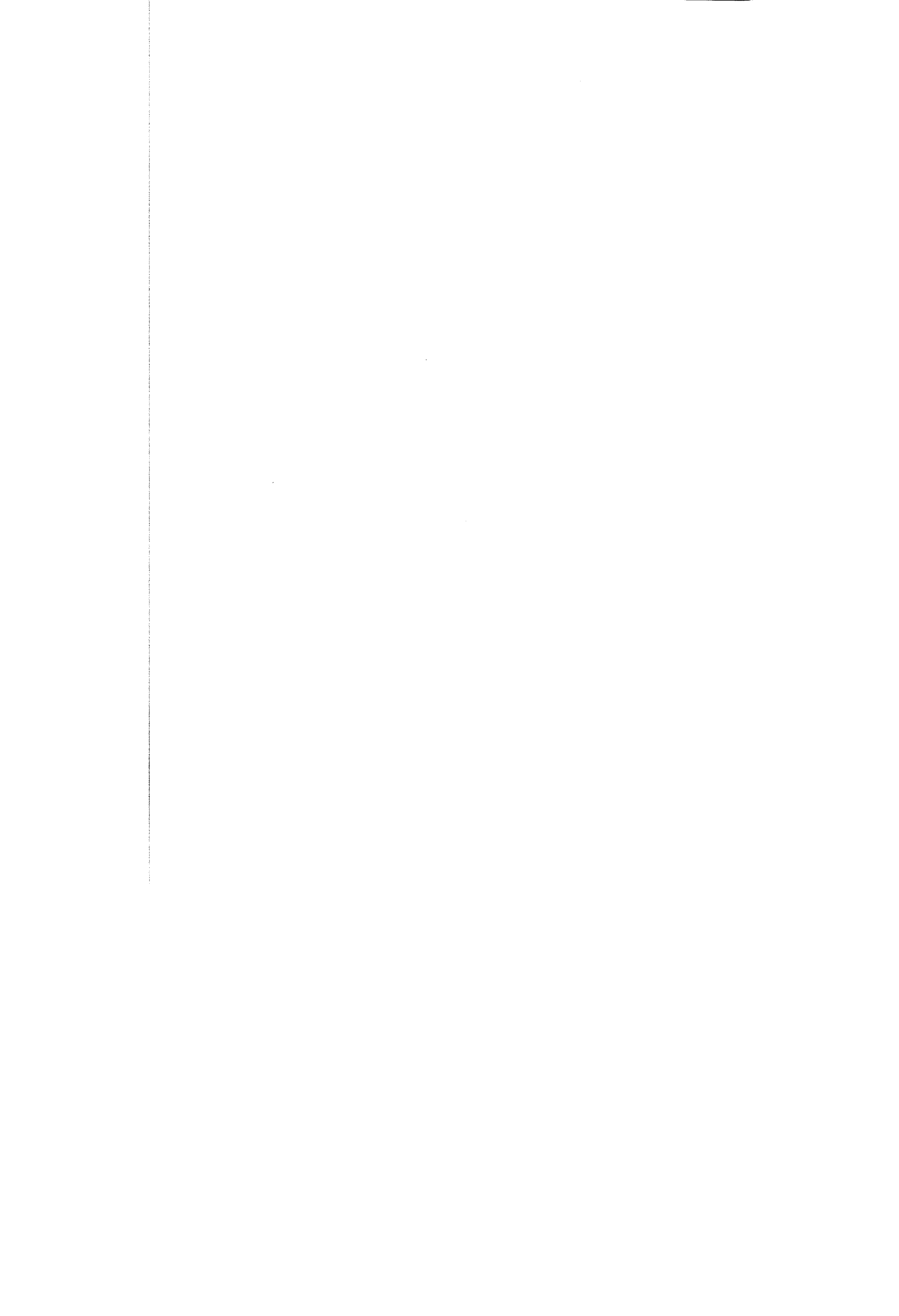
٥٦ - chronicon Lusitono , p . 413 ; CF also : Manoel Ramos e outros ,
Historia de potugal , Vol . 2 , Barcelone 1922 p . 41 ; Jan Read , op . cit .
, p . 230 ; Serrão , op . cit . , p . 94 .
وتضيف إحدى المدونات سبب رغبته فى الاستيلاء على لشبونة يرجع إلى حصانة المكان وكونه مركزا حربيا هاما يسبب ازعاجا كبيرا لكل أراضيه فضلا عما كان المدينة من مركز ممتاز يضيف مجدا لحكمه .

Silva , op . cit . , p . 54 .

الفصل الرابع

علاقة الفونسو هنريكز بالموحدين

(١١٤٦ - ١١٨٥م / ٥٤١ - ٥٨١ هـ)



الفصل الرابع
علاقة الفونسو هنريكز بالموحدين
(١١٤٦ - ١١٨٥ م / ٥٤١ - ٥٨١ هـ)

موقف الملك الفونسو هنريكز من الثورة ضد المرابطين وعبور الموحدين إلى الأندلس - ضعف المرابطين وثورة الأندلسيين عليهم - ثورة ابن قسيَ الحرب الأهلية فى الأندلس وأثر ذلك على نشاط الفونسو هنريكز فى حركة الاسترداد - استيلاءه على شنترين - الاستعدادات التى اتخذها الفونسو للاستيلاء على لشبونة بمعونة الصليبيين - حصار لشبونة - الاستيلاء عليها عام ١١٤٧م / ٥٤٢ هـ - الإجراءات التى اتخذت بعد استيلائه عليها .

حملاته الاستردادية جنوب نهر التاجة :

مساندة الفونسو لابن قسى ضد مناوئيه - حملاته المستمرة ضد المدن والقلاع الإسلامية جنوب نهر التاجة - استعدادات الخليفة عبد المؤمن من بن على لأجل صد خطر الممالك المسيحية ثم وفاته - تولى الخليفة أبى يعقوب يوسف وانشغاله عن الأندلس بتوطيد أموره فى بلاد المغرب .

علاقته بالخليفة أبى يعقوب يوسف :

استمرار الملك البرتغالى فى مهاجمة القلاع الإسلامية - نشاط خيرالدو سيمبافور فى جنوب نهر التاجة - استيلاؤه على عديد من المدن والقلاع الإسلامية - حصار خيرالدو لبطليوس واستنجاده بمليكه الفونسو هنريكز - حضور الليونيين واشتراكهم مع الموحدين فى قتال الملك البرتغالى ثم هزيمته وأسره - تسليم الملك فرديناند مدينة بطليوس للموحدين - استمرار ضغط البرتغاليين على مدينة بطليوس - وصول الخليفة أبى يعقوب إلى الأندلس لتفقد الأحوال بها - حصار الفونسو هنريكز لمدينة باجة - غاراته على القلاع الإسلامية المجاورة - عقد الهدنة بين البرتغال والموحدين - حملة سانشو ضد المدن والقلاع الإسلامية فى سنة ١١٧٨م / ٥٧٤ هـ وأثر ذلك على الموحدين -

نشاط الموحدين البحرى ضد سواحل البرتغال - استعدادات الخليفة وعبوره إلى الأندلس لمهاجمة مملكة البرتغال - اختيار شنترين هدفا للحملة البرية ، وسواحل البرتغال هدفا للأسطول الموحدى - تفاصيل حصار شنترين - اضطراب الجيش الموحدى وأسبابه - هجوم البرتغاليين على مؤخرة الجيش الموحدى - مقتل الخليفة أبى يعقوب - تقييم العلاقة بين البرتغال والموحدين وزسبابه - هجوم البرتغاليين على موخرة الجيش الموحدى - مقتل الخليفة أبى يعقوب - تقييم العلاقة بين البرتغال والموحدين .

كان لظهور الموحدين على مسرح الاحداث وماترتب على ذلك من القضاء على دولة المرابطين فى المغرب ، أثر كبير فى تشجيع أهل الأندلس على شق عصا الطاعة على المرابطين . وقد أرجع المؤرخين القدامى والمحدثين ذلك الأمر إلى الضعف والانحلال الذى أصاب المرابطين فى أواخر حكم على بن يوسف (١) فى الأمور الاجتماعية والسياسية بجانب الأمور الدينية لأن دولة الموحدين قامت أساسا بناء على دعوة دينية من المهدى بن تومرت ، ثم تبلورت بعد ذلك لتأخذ الطابع السايسى ، فوجدت كثيرا من الأتباع والمشايعيين فى المغرب مما أظهرها بمظهر القوة ، وساعد على أفول نجم المرابطين وهم فى أوج قوتهم فى أوائل عهد على بن يوسف عام ١١٢٠م / ٥١٤هـ (٢) وكانت الهزائم تتوالى على المرابطين على يد الموحدين حتى وفاة الأمير علي بن يوسف يناير ١١٤٣م / رجب سنة ٥٣٧ هـ (٣) وقد استمر الأمير تاشفين منذ وفاة أبيه يقاوم ضربات الموحدين حتى قتل فى وهران برابر سنة ١١٤٥م / رمضان سنة ٥٣٩ هـ (٤) وبوفاته أصبحت الدولة المرابطية فى مهب الريح حتى تمكن عبد المؤمن بن على من القضاء عليها ، وسيطر بذلك الموحدون على المغرب ، فنتج عن ذلك كثرة الثورات والتى بدأت منذ أواخر عهد تاشفين ضد حكم المرابطين فى الأندلس (٥) بصفة عامة وفي الجزء الغربى منه على وجه الخصوص اعتبارا من سنة ١١٤٤ م / ٥٣٩ هـ (٦) .

وكان من أول هذه الثورات وأهمها ثورة أحمد بن قسى فى غرب الأندلس (٧) وقد تميزت بفكرتها الدينية واشتهرت بأنها ثورة المريدين (٨) وقد انضم إلى دعوته كثير من

ولاة غرب الأندلس حتى دان له جزء كبير من المنطقة . ولكن سرعان مادب الخلاف بينه وبين أتباعه ، وعلى رأسهم سيدراى بن وزير صاحب باجه ، والذين انهوا الدعوة لابن قسى ودعوا لابن حمدين صاحب قرطبة فى فبراير سنة ١١٤٦م ، شعبان ٥٤٠ هـ (٩) فبادر بالفرار إلى المغرب للاستنجاد بعبد المؤمن بن على الخليفة الموحدى ، الذى سرعان ما استجاب لدعوته وأرسل معه حملة موحدية استطاعت الاستيلاء على قواعد غرب الأندلس فى سنة ١١٤٦م / سنة ٥٤١ هـ ، وأصلحت مابين ابن قسى وأتباعه (١٠) .

وكانت الأحداث السابقة خير معين للملك الفونسو هنريكز ، فأخذ يستعد إبان تلك الأحداث لإحراز مزيد من المكاسب على حساب الصراع القائم بين المرابطين والموحدين ، فبدأ باعادة ترميم القلاع وتأسيسها على الحدود الجنوبية لمملكته ، فأسس قلعة جيرمانيلو Germanelo وأعاد تأسيس قلعة ليريا عام ١٤٤ م / ٥٣٨ هـ (١١) التى هدمها الملك إسمار سنة ١١٤٠ م / ٥٣٤ هـ ، ثم قام بتأمين كل المنطقة المحيطة وقلعة سورى Soure لأنه أدرك عدم كفاية ماتقوم به جماعة الفرسان الداوية والاسبتارية من نشاط حربى يخرج من هذه القلعة لصد غزوات المسلمين (١٢) .

وكان الملك الفونسو هنريكز يقوم بكل ذلك تمهيدا لتوغله فى الأراضى الإسلامية وتوصيل حدوده حتى ضفاف نهر التاجة ، مما يعنى الاستيلاء على أهم قاعدتين من قواعد غرب شبه الجزيرة الايبيرية من أيدى الموحدين وهما شنترين ولشبونة .

وتعتبر شنترين إحدى المدن الهامة التى تتمتع بموقع جغرافى واستراتيجى واقتصادى هام جعلها تحتل مكانة بارزة على مدار التاريخ فى شبه الجزيرة الايبيرية ، فهى تقع على الضفة اليمنى لنهر التاجة ، فوق ربوة مرتفعة أمام منحنى نصف دائرى للنهر ، تبعد ستة وأربعين ميلا شمال مدينة لشبونة ، ولذا فهى تتمتع بحصانة طبيعية لوجودها على قمة جبل عال وبأسفلها المزارع على طول النهر الذى يستدير بها استدارة السور بالمعصم . ونظرا لخصوبة أرضها فكانت من المدن الزراعية ذات الثراء الفائق (١٣) مما جعلها هدفها لأطماع المسيحين منذ أوقات الفتح الأولى (١٤) .

وقد برزت أهمية استيلاء البرتغال على لشبونة وشنترين بعد أن اتخذهما المسلمون

قاعدتين لهجوم على الحدود البرتغالية (١٥) وماكان من محاولة الملك الفونسو هنريكز فى عام ١١٤٢م / ٥٣٧ هـ للاستيلاء على لشبونة وشنترين وفرض الجزية عليهما (١٦) وقد ساعدته الظروف كثيرا ، لتحقيق ذلك ، أثناء ثورة ابن قسى ضد المرابطين ، واشتعال الحرب الأهلية بين المسلمين فى شبه الجزيرة الايبيرية وقد أدرك تماما أنه بالضرورة عليه أن يستولى على شنترين ليحمى ظهره عندما يستولى على لشبونة .

وعندما وضع الفونسو هنريكز نصب عينيه فكرة الاستيلاء على شنترين ، أدرك أن هذا الأمر لن يتحقق إلا بعد أن يضع خطة حربية متقنة للتغلب على مناعة أسوار المدينة وشدة تحصيناتها من ناحية ولموقعها الاستراتيجى من ناحية أخرى (١٧) ، خاصة وأنه كان يفتقر لآلات الحصار والمعدات الثقيلة ، وقد اعتمدت خطته على الهجوم المباغت للمدينة وأرسل عيونه من خلال حملة صغيرة ليتجسسوا الأماكن الضعيفة فى الحصن ، ويدرسوا طبيعة المكان حول القلعة ، ثم القيام ببعض مناوشات مع حامية القلعة حتى يضطر حاكما المسلم طلب الهدنة فتظل الحملة تماطله فى ذلك حتى تنتهى فرق الجيش من تجهيز سلالم لتسلق الأسوار يصعد عليها بعض المحاربين ويطوقون الحصن ، فى نفس الوقت الذى يتقدم فيه فريق من المقاتلين إلى الأبواب الخارجية ليفتحوها بالقوة الرئيسية ثم يبدأو عمليات النهب والسلب وذبح السكان (١٨) .

وقد بدأ الفونسو هنريكز فى تطبيق هذه الخطة سرا دون أن يخبر بها أحدا باستثناء أحد فرسانه ويدعى ميم راميرز Mem Ramiers (١٩) والذى صحب معه مائتين وخمسين من أفضل الفرسان يضمون كثيرا من جماعة الفرسان الداوية ، من أجل استطلاع أحوال المدينة وحصونها وأسوارها وأسهل الطرق للاستيلاء عليها (٢٠) . وقد قام ميم راميرز باتمام هذه المهمة على خير مايرام ثم عاد إلى قلمرية ، وقدم تقريرا شاملا إلى الملك الفونسو متضمنا كل مايساعده على تسهيل مهمته فى الاستيلاء على المدينة(٢١).

خرج الملك الفونسو هنريكز بجيشه من قلمرية فى أول مارس سنة ١١٤٧م / شوال سنة ٥٤١ هـ في اتجاه شنترين مارا على دير سانت كروس فقدم رئيسه كل الإمكانيات المتاحة له من عتاد وجنود (٢٢) ثم اصل الجيش طريقه تى بلغ سلاسل جبال البوردوس

Albordos وحاصر المدينة من ناحية الشرق واستمر يحاصرها بطول السلاسل التى تحيط بها وقد ساعدته المعلومات التى أحضرها فارسه ميم راميرز كثيرا فى إحكام الحصار حول المدينة ، وقام بتجهيز عشرة سلالم خصص لكل منها اثنى عشر فارسا بهدف تسلق الأسوار (٢٣). وقبل إعطاء إشارة بدء الاقتحام أرسل إلى حاكم المدينة أبى زكريا Au-zary (Auzechri) (٢٤) ليعلنه بانتهاء الهدنة المبرمة بينهما منذ ثلاثة أيام (٢٥). وفى المساء وضعت السلالم فى مناطق خفية بالحقول القريبة من الأسوار ومع بداية بزوغ الفجر الصقت بالأسوار وبدأت أحد الفرق بقيادة ميم راميرز الهجوم فجأة على حراس المدينة ، وقتلوهم (٢٦) ، ثم اتجهوا إلى باب المدينة المعروف باسم المرمر Alhanarm وفتحوه ، ودخل الملك الفونسو هنريكز بباقى قواته المدينة يوم ١٥ مارس سنة ١١٤٧ م وقام بمذبحة مريعة فى سكانها ، ونجح بذلك فى الاستيلاء على المدينة بكاملها (٢٧). وتشير المدونات المسيحية أن أبا زكريا حاكم شنترين لاذ بالفرار مع ثلاثة من أتباعه بمجرد اقتحام البرتغال للمدينة واتجه إلى أشبيلية بحجة أنه لم يتلق مساعدة من أحد . ولكن أمير أشبيلية استدعاه استدعاه لتحقيق معه بسبب فشله فى الدفاع عن المدينة(٢٨).

ومما لاشك فيه أنه نظرا لانشغال المسلمين فى حروبهم الأهلية فى شبه الجزيرة الايبيرية لم تكن هناك فرصة لنجدة شنترين من الوقوع فى أيدى البرتغال (٢٩).

وجدير بالذكر أن المصادر العربية لم تشر إلى أحداث الاستيلاء على شنترين باستثناء ماذكره كل من ابن الخطيب والسلاوى قائلا :

« فكلب العدو على الأندلس فنازل الإشبونة وشنترين وألمرية وطرطوشه ولاردة وافراغه وطمع فى استيصال بلاد الإسلام » (٣٠) .

على أية حال أصبح الهدف الأكبر للملك الفونسو هنريكز بعد سقوط شنترين فى يديه هو الاستيلاء على مدينة لشبونة ذلك الميناء الهام فى غرب شبه الجزيرة ، ذات الموقع الاستراتيجى والاقتصادى والسياسى الهام ، وقد افاض المؤرخون المسلمون والمسيحيون

فى ذكر مناعتها وقوتها وأهميتها ، التى تأتى من موقعها الفريد على مدخل نهر التاجة فى التقائه مع المحيط الأطلنطى ، وهى تعتبر العاصمة الطبيعية للساحل الغربى لشبه الجزيرة الايبيرية ومركزا تجاريا وبحريا يربط بين شمال أفريقيا ودول أوربا الواقعة على المحيط الأطلنطى ذاتها ، وأنها تقع فى منطقة غنية محاطة بقلاع قوية مثل شنترة والمعدن Almada وبلمالة Palmela (٣١) ، وأشاد المؤرخون المسلمون بموقعها وانفرادها بالمزايا الطبيعية (٣٢)، التى جعلتها من أهم مراكز الغرب فى شبه الجزيرة ، ولذلك كانت مدينة لشبونة محط أنظار المسيحيين (٣٣) ولأن الملك الفونسو هنريكز منذ بداية الصراع بين المرابطين والموحدين وانشغال الطرف الأول بذلك أن يضع نصب عينيه الاستيلاء عليها. أدرك الملك الفونسو هنريكز أن فتحها يحتم أن يفرض عليها الحصار برا وبحرا مع ضرورة توافر أدوات الحصار الثقيلة ، وبدأت أولى محاولات الملك البرتغالى عندما انتهز فرصة وصول أسطول صليبى من فرنسا وانجلترا إلى سواحل جليقية (٣٤)عام ١١٤٢ م / ٥٣٦ هـ متجها إلى الأراضى المقدسة فى بلاد الشام للاشتراك فى الحروب الصليبية وطلب منهم أن يتعاونوا معه فى فتح لشبونة ، فيحاصر الصليبيون المدينة بحرا فى الوقت الذى تفرض فيه قوات البرتغال الحصار على المدينة عن طريق البر وذلك مقابل منحهم مكافآت مالية كبيرة فاستجاب قادة الأسطول إلى مطالب الملك وكان الأسطول الصليبى يتكون من سبعين سفينة تحمل أسلحة متنوعة وكثيرة . وقد اتجه لحصار المدينة وهاجم الضاحية المواجهة للأسطول ودمروها وقتلوا كثيرا من السكان الموجودين بها وأشعلوا النيران فيها دون أن يتمكنوا من دخول المدينة لقوة المدافعين عنها من ناحية وإدراكهم التام أن استعداداتهم الحربية تقل عن استعدادات المدينة من ناحية أخرى . وعندئذ رحل الأسطول الصليبى إلى بلاد الشام ، وفى نفس الوقت ترك الملك الفونسو هنريكز الحصار وعاد بجيشه ، مكتفيا فرضه على المدينة جزية (٣٥) .

وجدير بالذكر أن مدونتى القوط ولوزيتانيا أشارت إلى هذه الوقائع ضمن أحداث عام ١١٤٠م / ٥٣٤ هـ ولكن الأحداث التاريخية تنفى ذلك وتؤكد أنها حدثت عام ١١٤٢ م / ٥٣٦ هـ لعدة أسباب يأتي فى مقدمتها أن الملك الفونسو هنريكز كان مشغولا بحروبه

فى جليقية مع ابن خالته الإمبراطور الفونسو السابع عام ١١٤٠م / ٥٣٤ هـ وقد بلغ الصراع بينهما أشده فى هذا العام بالذات فليس من المعقول أن يشغل الملك البرتغالى نفسه فى حرب مع جبهتين فى آن واحد ، وثانيهما أن المدونتان السابقتين ذكرتا أن الحدود الجنوبية لمملكة البرتغال قد تعرضت فى هذا العام لهجوم الملك إسمار عليها ، وكان الفونسو هنريكز مشغولا حينئذ فى الدفاع عن حدوده الجنوبية وصراعه مع ابن خالته الفونسو السابع كما أن الفونسو هنريكز كان يدرك تماما أنه لايمكنه الهجوم على لشبونة إلا بعد إنشاء سلسلة التحصينات والترميمات للقلاع التى تهدمت أثر هجوم قوات إسمار عليها وإنشاء حصون جديدة مثل قلعة جيرمانيلو ولم يتم ذلك إلا فى عام ١١٤٢م/ ٥٣٦ هـ (٣٦) ، كما أن ملك البرتغال لايمكنه أن يغامر بالاستيلاء على مدينة لشبونة دون أن يكون قد وطد حدوده الجنوبية وأنشأ القلاع التى تحميها ، كما أن المتاريس والاستحكامات التى امتازت بها مدينة لشبونة فى صد هجمات البرتغاليين لم يبدأ العمل فيها إلا بعد عام ١١٤٠م / ٥٣٤ هـ . ولذلك فاننا نرى من خلال الشواهد العديدة أن الحصار كان فى عام ١١٤٢ م / ٥٣٦ هـ ، ومما يويد ذلك أن مدونة لوزيتانيا أشارت إليه ضمن أحداث عام ١١٤٢ م / ٥٣٦ هـ (٣٧) وأن الملك الفونسو هنريكز قد فرض الجزية على مدينتى شنترين ولشبونة ، مما يدل على أنه قد حاصر المدينيتين فى هذا العام واكتفى بتحصيل الجزية منهما ، وكانت هذه هى المحاولة الأولى لالفونسو هنريكز للاستيلاء على مدينة لشبونة .

على أية حال بعد أن أستولى الملك الفونسو هنريكز على شنترين استمر يواصل تجهيز قواته تمهيدا لتوجيه ضربة أخرى إلى لشبونة وأخذ يتحين الفرص لمرور أحد الأساطيل الصليبية بجوار السواحل البرتغالية ليستعين به فى الاستيلاء على المدينة . وفى شهر يونيو عام ١١٤٧ م / محرم ٥٤٢ هـ وصل اسطول صليبى إلى سواحل البرتغال يتكون من مائة وأربع وستين سفينة حربية (٣٨) تضم ثلاثة عشر ألف مقاتل من مختلف الجنسيات ، تضم عددا من الألمان تحت قيادة الكونت أرنولد كونت أرشوت Arnola count of Aerschot وعددا آخر من الفلمنك والفلاندرز والبلجيكيين تحت قيادة

كريستيان جيستيلز Christian of Ghistelles ومجموعة أخرى من الأنجليز بقيادة ثلاثة من كبار قادتهم وهم هرفى جلانفيل Herveo de Glanvill وسيمون دى بافور Sim~qo de Pavor وساريودى اشيلزSaherio de Archelles (٣٩) ويصف المؤرخ الصليبى (المجهول) المرافق للحملة فى خطابه المرسل إلى أحد أصدقائه فى الجزيرة البريطانية خط سير الأسطول منذ خروجه من موطنه حتى وصوله قرب سواحل جليقية وماتعرض له من عواصف شديدة أدت إلى الإطاحة به إلى ميناء بورتو على نهر منهو (مينه) (٤٠) .

كان الملك الفونسو هنريكز وقتئذ مقيما فى قلمرية يعد التجهيزات اللازمة لمواصلة فتوحاته فى المنطقة الواقعة بين شنترين حتى البحر ، وقد استطاع بالفعل أن يستولى علي بعض القلاع فى تلك المنطقة ولما نمى إلى علمه وصول الأسطول الصليبى إلى ميناء بورتو (٤١) ، أرسل بدرو أسقف بورتو مبعوثا دينيا إلى قادة هذا الاسطول ليكون حجة فى إقناعهم وأخذ هذا الأسقف يدعوهم فى خطبة دينية عامة إلى مساعدة الملك البرتغالى في الاستيلاء على مدينة لشبونة وأوضح لهم خدمة الله فى أسبانيا لاتقل أهمية عن خدمته فى بلاد الشام (٤٢) وأخذ يسهب فى الوعظ وأبرز لهم خطاب الملك الفونسو هنريكز ، وقد وعدهم فيه بالمال والثروات من الخزينة الملكية وأعطى لهم الضمانات اللازمة لتحقيق ذلك(٤٣) ، كما أنه وعدهم بكثير من الامتيازات الخاصة بمدينة لشبونة نفسها مثل الاستيلاء على كل مايجدوه داخل المدينة مع الاحتفاظ بحق افتداء الأسرى . كما أن الملك الفونسو هنريكز قد أرسل مع رئيس الأساقفة خوان بيكوليار Juan Pe-culiar عدة ضمانات جديدة أهمها قصر غنائم المدينة عليهم ومنحهم حق المواطنة والبقاء فى البرتغال إذ رغبوا فى ذلك ، واعفائهم من الضرائب . وقدم لهم بعض الرهائن تأكيدا لوفاء الملك الفونسو بوعده لهم . وعندئذ وافق قادة الأسطول الصليبى على مد يد العون للملك الفونسو هنريكز (٤٤) وأبحروا إلى مدينة لشبونة فى حين توجه إليها الملك الفونسو برا (٤٥) ولعل ذلك يوضح أن الصليبيين بصفة عامة كانوا يجرون وراء المنافع الاقتصادية ، دون النظر إلى أهمية العامل الدينى ، فهو يأتى فى مؤخرة العوامل الأخرى.

ويصف المؤرخ الإنجليزى وضع مدينة لشبونة فيذكر أن عدد سكانها آنذاك ، يقدر بستين ألف عائلة تتكون من مائة وأربع وخمسين ألف رجل منهم خمسة عشر ألف فارس دون النساء والأطفال وتضم أيضا سكان شنترين الذين نزحوا منها ، ويصف المدينة بأنها تشتمل على ضواحى دائرية ولها جبل عال محاط بسور دائرى وأسوار المدينة تنحدر إلى اليمين وإلى الشمال حتى ضفاف نهر التاجة والأسوار تأخذ شكلا دائريا فى اتجاه الضواحى للدفاع عن المدينة (٤٦) .

وجدير بالذكر أن الأعداد الموضحة بعاليه لاتعبر عن الحقيقة ، لأنه كيف تسنى له معرفة هذا العدد الهائل ، ويبدو أنه قد أراد المبالغة فى ذكر هذه الأعداد حتى يوضح مدى صعوبة الحصار وكثافة المدافعين .

وكيفما كان الأمر ، وأرسل الملك الفونسو هنريكز رئيس الأساقفة براغا خوان بيكوليار ، وبدرو أسقف بورتو إلى أسوار مدينة لشبونة ليعرضا على حاكم المدينة الاستسلام مقابل أن تحفظ لهم أملاكهم ، وأن يسمح للأهالى بالخروج من المدينة بأموالهم وأولادهم وزوجاتهم ومن يرغب منهم البقاء فى المدينة فسوف يسمح له بحرية العقيدة(٤٧)، ولكن لم يتلق الرسولان سوى الرفض التام والإصرار على الدفاع عن بلادهم وعندئذ بدأ الملك الفونسو فى توزيع القوات المسيحية حول المدينة فخرج على رأس قواته وتمركز فى الجبل شمال المدينة بينما كانت القوات الإنجليزية والنورمانية قد تركزت فى الغرب . أما الجهة الشرقية من المدينة فقد عسكر عندها الألمان والفلمنك بجانب انتشار السفن فى البحر لمنع وصول الإمدادات إلى سكان المدينة ، وأصبح الحصار بهذا الشكل متكاملا من جميع الجوانب .

وقد حاول المسلمون الخروج فى شكل جماعات لمهاجمة الربض الذى تمركز به قاذفو القلاع الإنجليز ، ولكنهم فشلوا وأجبروا على التقهقهر إلى داخل الأسوار وقضى الصليبيون اليوم الأول بعد إتمام الحصار فى بحث وفحص كل الجوانب والمداخل التى يستطيعون اقتحامها خاصة وأن المسلمين كانوا محصنين فى الطرف الأعلى من المدينة ، واستعد الصليبيون لشن هجوم عام على جميع الجهات بالاشتراك مع الملك الفونسو

هنريكز [٤٨] .

وقد بدأ الإنجليز فى قذف المدينة من الضاحية الغربيـة وهاجموا الريض بفرقة مكونة من ثلاثة آلاف جندى وتمكنوا من احتـلالها . وعندئذ أسرع المسلمون بالانسحاب إلى المدينة وعسكر المهاجمون فى الضاحية ونجحوا أثر محاولات عديدة فى إحداث نقب أو ثلمة فى السور ولكن المسلمين أسرعوا وسدوا هذه الثلمة (أو النقبة) وفى اليوم التالى ركزوا اهتمامهم فى الهجوم على الضاحية الغربية لاستردادها من أيدى الإنجليز والبرتغال ولكنهم فشلوا فى تحقيق ذلك هذا فى الوقت الذى كان فيـه الألمان والفلمنك يشددون هجماتهم على الضاحية الشرقية [٤٩] .

وقد ساعدت الظروف الإنجليز فى الضاحية الغربية اذ تمكنوا من كشف ممرات كهوف مشقوقة فى انحدار الجبل بها مائة ألف شحنة من القمح والشعير والذرة والبقول ، كان أهالى المدينة يخزنونها للاستفادة منها عند الحاجة ، كما اكتشفوا أيضا أن المؤن تصل إلى المحاصرين داخل المدينة من خلال أحد الأبواب الموجودة فى اتجاه نهر التاجة فأخذوا الحيطة وشددوا الحصار تماما حول تلك الأماكن [٥٠] .

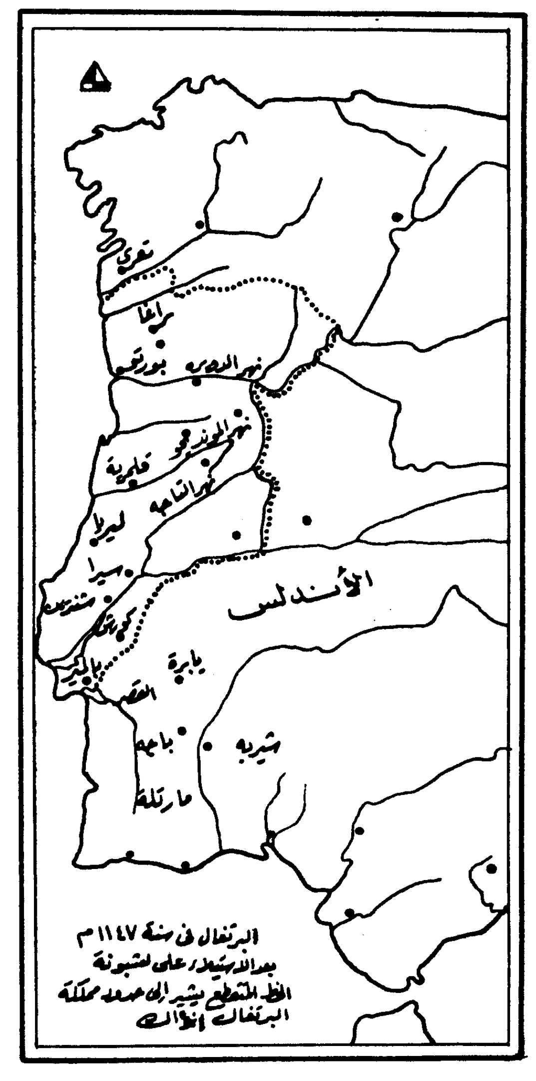
وجدير بالذكر أن وجود مخزن الغلال إنما يدل على أن أهالى لشبونة قد أدركوا بعد سقوط شنترين أن مدينتهم هعى الهدف التالى للملك البرتغالى فاستعدوا وقاموا بتخزين كثير من المؤن التى تكفيهم لحصار طويل .

على أية حال أدرك الفونسو أن الوسيلة الوحيدة لأضعاف قوة الأسوار ، إنما يتأتى من خلال ضربها بالمجانيق فتولى إعدادها الفلمنكيون واقتربوا بها من الأسوار وأخذوا يقذفونها بقوة لإحداث ثغرات بها ولكن بدون فائدة . فانتهز المسلمون من أهالى المدينة فرصة انشغال القوات المسيحية فى استخدام المجانيق وأرسلوا عشرة أفراد نجحوا فى التسلل عن طريق زورق فى النهر حاملين معهم رسالة إلى أبى محمد سيدارى حاكم يابرة وإلى مختلف حكام المناطق المجاورة يطلبون منهم النجدة ولكنهم وقعوا فى أيدى الصليبيين الذين وقفوا على مضمون الرسالة بالاستعانة بأحد المترجمين ثم قاموا بقتلهم[٥١] ولم يفقد أهالى لشبونة الأمل فى وصول أحد الرسل لطلب النجدة وقد نجحت

إحدى السفارات فى الوصول إلى محمد سيد راى بن وزير حاكم يابرة وفى الحال أرسل خطابا مع أحد أتباعه يخبر فيه أهالى المدينة بعدم استطاعته مد يد العون إليهم بسبب الهدنة المبرمة بينه وبين الملك البرتغالى . وقد عثر الصليبيون على جثة هذا المندوب ومعه الخطاب المذكور أسفل إحدى السفن الموجودة فى النهر (٥٢) .

ولكننا ننفى أمر الاتفاق بين الملك البرتغالى وسيدراى بن وزير حاكم يابرة (٥٣) لأنه كان مشغولا فى ذلك الوقت بالثورة ضد المرابطين تحت راية ثورة ابن قسى ثم دخل فى طاعة الموحدين فى نفس عام حصار لشبونة (١١٤٧ م / ٥٤١ هـ) (٥٤) مثلة مثل ابن قسى وكان انشغال مسلمى الأندلس بجانب الموحدين فى القضاء على دولة المرابطين فى الأندلس لم يتح لهم الفرصة لنجدة لشبونة بشكل منظم وإن كان لايمنع أن بعض أعداد من المسلمين فى الضواحى والقرى القريبة من لشبونة أخذوا على عاتقهم مهاجمة بعض الفرق الصليبية . والدليل على ذلك ماذكره المؤرخ الصليبى بأن بعض الصليبيين كانوا يذهبون - أثناء ذلك الحصار الطويل - للصيد فى المعدن Almada على الشاطىء وماكان من تعرضهم للقتل والأسر من هجمات بعض المسلمين عليهم ، ولذلك قرر الصليبيون عمل كمين فى تلك المنطقة ونجحوا فى قتل خمسمائة من المسلمين وأسر حوالى ثمانين رجلا وأمنوا تلك المنطقة وحملوا رؤوس القتلى على أسنة الرماح ليراها سكان لشبونة من فوق الأسوار ، لإحباط عزيمتهم (٥٥).

كيفما كان الأمر ، لم تفلح النبال والآلات والمقلاع بشكل فعلى فى هدم أسوار المدينة مما أحبط جهود المقاتلين المسيحيين وعندئذ عرض عليهم أحد مهندسى بيزا فكرة إنشاء برج خشبى متحرك على عجلات يلصقونه بسور المدينة فى الجانب الغربى لساعدهم فى تسلق الأسوار ، فوفقه الملك الفونسو على ذلك ، وبينما كان العمل مستمرا فى تشييد البرج كان الألمان والفلمنك يحاولون دفع مقلاع طويل تحت الأسوار ، وأخذوا يشددون الحصار وتوجيه الضربات العنيفة من ناحية البر والبحر ونظموا أنفسهم فى مجموعات ، يتكون كل منها من مئات الأفراد للضرب المستمر على أبراج المدينة ، وكانت هذه المجموعات تتناوب العمل كل منها لمدة عشر ساعات وبهذه الطريقة نجح الألمان والفلمنك



Manoel Ramos ; Historia de Portugal

فى إحداث بعض الثغرات ، ولكن المسلمين أسرعوا من كل ناحية وسدوها مرة أخرى بالأخشاب (٥٦) وقد استمر الوضع على هذا الحال وأصبح المسلمون منعزلين داخل القلعة يقاومون هجمات العدو وقد هبطت الروح المعنوية لدى الأهالى وانتشرت المجاعة وتفشت الأوبئة والأمراض من كثرة جثث القتلى الملقاة فى الطرقات وعندما كان الأهالى يخرجون من المدينة من حين لآخر بحثا عن الطعام يقعون فريسة فى أيدى الصليبيين (٥٧) .

وعندما انتهى العمل من تشييد البرج الخشبى ارتفعت الروح المعنوية لدى المسيحيين وزاد الأمل عندهم فى سرعة الاستيلاء على مدينة لشبونة ، وقد بلغ ارتفاع البرج ثلاثة وثمانين قدماً وفى إمكانه قذف خمسة آلاف حجرا خلال عشر ساعات متواصلة ، وقد شحن بمائتين من الفرسان المسلحين نصفهم من البرتغاليين والنصف الآخر من الإنجليز والنورمان وأخذ المسيحيون يجرون البرج حتى الصقوه بسور المدينة فى مواجهة برج القلعة الرئيسى الموجود فى إحدى زوايا المدينة المواجهة للنهر وقد حاول المسلمون إحراقه بكرات النيران الملتهبة ولكنهم فشلوا فى ذلك (٥٨) حتى أصبح المحاصرون داخل المدينة فى موقف صعب للغاية . ولم يعد عندهم من الأمل فى وصول النجدات إليهم ولذلك لم يجدو مفرا من طلب الهدنة وقاموا بتسليم بعض أفراد منهم كرهائن (٥٩) لإظهار جديتهم ورغبتهم فى طلب الهدنة .

وقد بدأت المشاكل تدب بين الصليبيين والملك إذ تراءى للطرف الأول أن الملك سوف يقبل الجزية من المسلمين ويرحل فقاموا بتمرد مسلح واستعد الملك لمقاومتهم بالقوة وحذرهم من التخلى عن الحصار حتى لاتذهب جهودهم سدى . وحاول أن يصحح لهم أفكارهم ويثبت لهم حسن نواياه وعندئذ تخلى الصليبيون عن تمردهم وفوضوا قوادهم للمباحثات مع الملك فأكد لهم أنه مازال على اتفاقه معهم وأنه لن ينقص من حقوقهم شيئا (٦٠) .

وبعد أن أنهى الملك المشاكل مع الصليبيين قبل استسلام المدينة مقابل أن يسمح للأهالى بالخروج منها بدون حمل أى متاع أو مال . وتنظيم طريقة دخول المدينة بحيث يتم ذلك على دفعات تتكون الأولى من مائة وأربعين محاربا من الإنجليز ومائة وستين من

الألمان والفلمنك ويسند لهم مهمة حفظ بوابة المدينة [٦١] ، ومنع المسلمين عند خروجهم من حمل أى متعلقات ، ورغم هذا التنظيم فقد دخل الألمان والفلمنك المدينة أولا واندفعوا فى طريقهم [٦٢] ويصف المؤرخ الصليبى المجهول فى هذا الصدد خديعة الألمان والفلمنك ويصور وحشيتهم عند دخول المدينة فيقول :

« وفتح الباب وأعطى الوعد بالدخول وعندئذ دبر الألمان والفلمنك إحدى الحيل لخديعتنا فقد أصروا على الدخول أولا ليعبروا عن شرفهم وأصالتهم واختير منهم مجموعة للدخول أولا ، ومالبثوا أن دخلوا حتى أتوا كثيرا من التهييج فى المدينة والطمع عابثين بالقسم والوفاء الذى وعدوا به الملك الفونسو هنريكز وأخذوا يجرون هنا وهناك وعملوا بسرعة على تحطيم الأبواب وبحثوا فى كل منزل وطردوا السكان وأهانوهم وسبوهم وضد الحق الإلهى . والإنسانية واتلفوا الأوعية والملابس واعتدوا على الفتيات البكر بشكل مهين وأخفوا كل ماسرقوه » .

وفى نفس الوقت أخذ نفس المؤرخ يمدح سلوك أهل جنسه من الإنجليز والنورمان بأنهم:

« أكثر اهتماما بالدين والوفاء والاحتفاظ بالقسم وأنهم مكثوا واستمروا هادين فى المكان الذى حدد لهم مفضلين الاحتفاظ بأيديهم نظيفة من السرقة والاغتصاب وإخلاصهم للقسم واتحادهم » [٦٣] .

وجدير بالذكر ، ما أشار إليه المؤرخ الصليبى الإنجليزى المعاصر لهذه الأحداث إنما يوضح مدى ما كان عليه وضع المدينة عند دخول الغزاة بها ، من انتهاك الحرمات والسلب والنهب والقتل دون أى اعتبار ، كما يوضح أيضا مدى حسد الصليبيين أنفسهم لبعضهم البعض . وقد أشار بعض المؤرخين بأن عدد القتلى بلغ مائتى ألف من المسلمين فى داخل

المدينة (٦٤) .

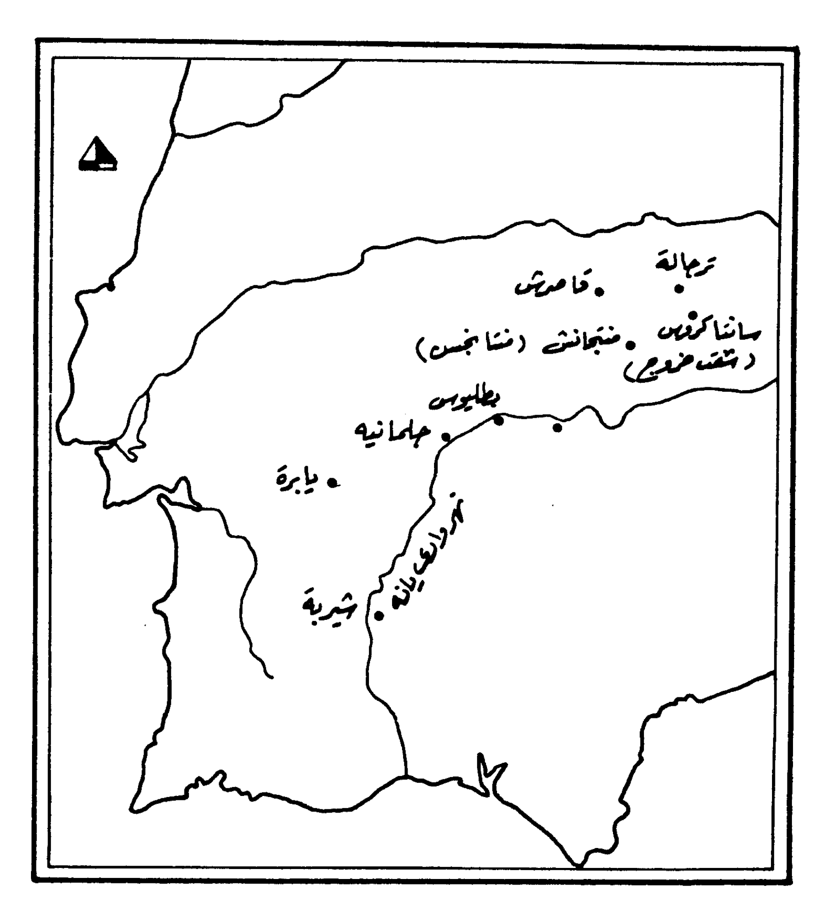
وأخيرا بعد سبعة عشر أسبوعا من الحصار البرتغالى الصليبى على مدينة لشبونة سقطت المدينة يوم ٢٤ أكتوبر سنة ١١٤٧ الموافق جمادى الأول سنة ٥٤٢ هـ (٦٥) .

وقد بدأ الملك الفونسو على الفور فى اتخاذ بعض الإجراءات الهامة لتوطيد الأمور فى لشبونة فاختار أحد الصليبيين الإنجليز يدعى جليبرت هاستينجز Gilberto de Hastings ليكون أسقفا للمدينة ومنحه سلطة الإشراف على الكنائس فى القلاع المجاورة لمدينة لشبونة كما عين بيدرو بيجاز Pedro Viegas حاكما للمدينة (٦٦) ، وفى نفس الوقت تعاون مع بعض القوات الصليبية فى حصار القلاع المجاورة لمدينة لشبونة فاستولى على المعدن Almada وبلمالة Palmela وشنترة (٦٧) . هذا رغم أن بعض المؤلفات تشير إلى أنه استولى على المعدن وبلمالة قبل استيلائه على لشبونة (٦٨) ، ولكننا ننفى ذلك لأن مدونة القوط تشير إلى أنه بعد الاستيلاء على شنترين نفس العام استولى على لشبونة فى شهر اكتوبر وتلاها بالاستيلاء على القلاع المذكورة سابقا (٦٩) ثم واصل الملك الفونسو الاستيلاء على بقية القلاع المجاورة للشبونة فى سنة ١١٤٨ م /٥٤٢ هـ فى منطقة الاكسترا مادور على حدود نهر التاجة

وهى الميكر Alemquer وأبيــدوس Obidos وأبراج نوفـــاس Torres Novas وبورتودى موز Porto de Moz (٧٠) .

وقد برزت مشكلة هامة للملك الفونسو وهى وجود منطقة كبيرة من أراضيه الجديدة بين ليريا ولشبونة كان قد تركها مخربة وخالية تقريبا من السكان كنتيجة لاستمرار الحرب بين المسلمين والمسيحيين وأصبح الأمر الآن يتطلب منه تدبير القوة الكافية للاحتفاظ بها كما أنه يحتاج أيضا إلى قوى بشرية لتوطينها من جديد . ولذلك قام بمنح كثير من الهبات والممتلكالت للصليبيين وعرض عليهم امتلاك أراضى تلك المناطق وشجعهم على الاقامة بها كأصدقاء ومواطنين برتغاليين (٧١) . فاستجاب البعض منهم بينما رفض البعض الآخر واتجه إلى الأراضى المقدسة بالشام .

وقد نجح الملك الفونسو هنريكز بذلك فى تعمير تلك المناطق وأسس مدنا وأديرة جديدة



إستيلاءات خيرالدو سيمبافور (مدن غرب الأندلس)

Huici : Historia Politica del Imperio Almohade

كما قام بتعبيد الطرق ومد الجسور (٧٢) .

وجدير بالذكر ، أن سقوط شنترين ولشبونة وماجاورهما من الأخرى كان ترجمة حقيقية لأوضاع المسلمين فى الأندلس وقتئذ ، وإيذانا بالتفوق للمملكة البرتغالية فى غرب شبه الجزيرة الايبيرية الناجم عن الجهود العديدة التى قام بها الملك لفونسو هنريكز لإذكاء الروح الصليبية بها .

بعد أن استقرت الأوضاع إلى حد كبير فى غرب شبه الجزيرة الايبيرية لصالح الملك الفونسو هنريكز ، حدث تطور كبير يساعده على مقاومة خطر الموحدين بها إذ ساءت العلاقة بين أبى القاسم أحمد بن الحسين بن قسى - قائد ثورة المريدين - والموحدين . وخشى من سطوة الموحدين عليه فأرسل سفارة إلى الملك الفونسو هنريكز فى عام ١١٥١م/ ٥٤٥ هـ (٧٣) يلتمس منه مساعدته ضد الموحدين فاستجاب له يقينا منه أن ذلك سوف يساعده فى القضاء على خطر الموحدين ، وأرسل إليه بفرس وترس ورمح ووعده بالعون المنشود ولكن الأحداث لم تسر فى مجراها الطبيعى لأن أهل شلب ساءهم اتصال ابن قسى بالملك البرتغالى ، فاقتحموا القصر الذى يقيم فيه وفتكوا به ورفعوا رأسه على الرمح المهدى إليه من الملك الفونسو هنريكز وعينوا بدلا منه ابن المنذر الأعمى رئيسا عليهم معلنين ولاءهم للدعوة الموحدية فى سبتمبر سنة ١١٥١ م / جمادى الأول سنة ٥٤٦ هـ (٧٤) .

وقد أورد أشباخ رواية أخرى (٧٥) أدرجها ضمن أحداث فبراير سنة ١١٤٦ م /شعبان ٥٤٠ هـ مضمونها أن أحد بن قسى عندما أدرك تفوق أعدائه من حوله دون أن يقدم الموحدين له المساعدة ، ارتد فى محنته صوب الفونسو هنريكز وطلب العون منه ضد أعدائه ، ووعده بالغنائم والهدايا وأن يدفع إليه الجزية كتابع له ولميتردد الفونسو عن إجابته وتوجه على رأس قواته مخترقا أراضى باجة وماردة لإمداد حليفة فعاث فيها عبثا وفسادا . وقد نشب بين الفريقين المتحاربين عدة وقائع دموية ، دون أن يحرز أحدهما نصرا حاسما ، ولما حل فصل الشتاء واشتدت وطأته عاد البرتغاليون إلى بلادهم مثقلين بالغنائم والتحف الثمينة ولكن ابن قسى كان أثار بتحالفه المشين مع النصارى وتعده

بالخضوع لملك البرتغال ثائرة أنصاره أنفسهم فحاصروه فى قلعة مارتلة ، وأسروه وسجنوه فى سجن باجة ، ولكن صديقه الوفى عبد الله بن على بن الصميل بذل جهدا كبيرا حتى أطلق سراحه وذلك فى عام ١١٤٦ م / ٥٤٠ هـ (٧٦) .

وجدير بالذكر أن رواية أشباخ تضيف أخبارا جديدة على روايتى ابن الأبار وابن الخطيب ، ولكننا لانؤيد ماجاء برواية أشباخ وتاريخ حدوثهافالتفاصيل الواردة بها تثير الدهشة والحيرة ، لأنها لم تذكر فى المصادر الإسلامية الأخرى ، خاصة وأن كل من المؤرخين الإسلاميين السابقين قد اقتبسا تلك الأحداث من كتابات ابن صاحب الصلاة مؤلف ثورة المريدين بصفته أحد المؤرخين المعاصرين لهذه الأحداث ولذلك فان رواية أشباخ يشبوها الخلط وعدم الاتساق ولعله استقى مادته من إحدى المخطوطات المتأخرة والمفقودة.

على أية حال بعد أن ثبتت أقدام الملك الفونسو هنريكز فى غرب الأندلس بدأ يوجه نشاطه ضد القلاع الإسلامية المجاورة فأشارت مدونة القوط بأنه عبر نهر التاجة متجها إلى الجنوب حتى وصل إلى قلعة قصر ابن أبى دانس Alcacer (٧٧) . واصطدم مع جيش كبير للمسلمين قوامه أربعون ألف فارس واستطاع أن ينتصر عليهم ووقع كثير منهم فى الأسر ، وفر الباقون إلى داخل القلعة وأصيب الملك الفونسو هنريكز باحدى الطعنات فى إحدى ساقية (٧٨) ولكنه فشل فى حصار القلعة والاستيلاء عليها مما دفعه فى عام ١١٥٢ م / ٥٤٧ هـ إلى إعادة الكرة مرة أخرى ولكنه أصابه الفشل مرة أخرى لقوة المدافعين وبسالتهم فى الدفاع عن القلعة (٧٩). وتعددت غاراته وعيثه فى القلاع جنوب نهر التاجة وكان لايكف عن تشجيع فرسانه وجماعات الرهبان الفرسان على القيام بغارات عنيفة فى أراضى المسلمين حتى استاء سيدارى بن وزير صاحب باجة ويابرة وتوجه إلى مراكش فى سنة ١١٥٥ م أواخر ٥٤٩ هـ مستعينا بالخليفة عبد المؤمن ابن على من خطر الملك البرتغالى طالبا منه المدد والعون فوعده الخليفة بذلك ووجه رسالة معه إلى أهل يابرة وباجة يعدهم بالعون المنشودة في مارس سنة ١٥٥ م / المحرم عام٥٥٠هـ(٨٠) .

على أية حال ، عندما تولى أبو محمد بن عبد الله بن أبى حفص (٨١) حكم اشبيلية

فى عام ١١٥٥م/ ٥٥٠ هـ أخذ يدعو للجهاد ضد البرتغاليين ، بعد أن كثرت شكاوى المسلمين فى غرب شبه الجزيرة ودعوة الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على ، القتال ضد الملك البرتغالي ، فخرج أبو محمد بن عبد الله بن أبى حفص بجنود أشبيلية وماحولها ووصل بطليوس ، وتم الاتفاق على غزو أراضى الملك الفونسو هنريكز فعبروا القنطرة على نهر التاجة واتجهوا إلى حصن أطرونكس (أطرنكش) Trancoso (٨٢) وأغاروا على المناطق المجاورة وجمعوا كثيرا من الغنائم وقتلوا كثيرا من المسيحيين حتى وصلوا إلى الحصن المذكور وهزموا حاميته وقتلوا جميع الرجال فيه وسبوا النساء ونهبوا الأموال(٨٣) وعندئذ احتشد البرتغاليون المجاورون لتلك المناطق وأسرعوا لملاقاة جيش المسلمين ولكنهم انهزموا وفر باقى أفراد الجيش البرتغالى بعد أن تركوا غنائم كثيرة ، فرجع أبو محمد عبد الله إلى أشبيلية وقسم الغنائم وأرسل إلى الخليفة يبشره بهذا النصر(٨٤) .

كان رد فعل الملك الفونسو هنريكز لهذه الغزوة سريعا ، إذ أخبرنا المؤرخ سيلفا Silva أن البرتغاليين توجهوا إلى أراضى المسلمين فى الالنتخو ودمروا كل مايقابلهم من أراضى زراعية ثم واصل الجيش البرتغالى سيره حتى مدينة باجة وحاصرها عام ١١٥٥ م / ٥٥٠ هـ لكن دون أن ينجحوا فى الاستيلاء عليها (٨٥) .

حاول الملك الفونسو هنريكز للمرة الثالثة الاستيلاء على قصر ابن أبى دانس فى ١١٥٧ م / ٥٥٢ هـ ففرض عليه حصارا شديدا فى نفس الوقت الذى وصل فيه أسطول صليبى مكون من سفن فرنسية وانجليزية وحاصرها من البحر ولكن بدون جدوى لاستماتة الأهالى فى الدفاع عن مدينتهم من ناحية ولمتانة الأسوار من ناحية أخرى (٨٦) . ولكن لم يعرف الملك الفونسو طريق اليأس بل ازداد إصرارا على الاستيلاء عليها ففى العام التالى سنة ١١٥٨ م / ٥٥٣ هـ انتهز فرصة وصول بعض السفن الصليبية من فرنسا والمناطق المجاورة - كما تشير مدونة القوط - واتفق مع قادتها على محاصرة المدينة بحرا من جبهتها الشمالية بينما يتجه هو على رأس جيشه ويفرض الحصار على المدينة من جهة البر وكان الحصار متكاملا واستعداداته ضخمة وقد تمكن الطرفان بهذه الطريقة إحكام

الحصار حول المدينة حتى ضيقوا الخناق على أهلها . واستمر الحصار مدة شهرين والقتال على أشده حتى سقطت فى أيديهم يوم ٢٤ يونيو سنة ١١٥٨م / جمادى الأول سنة ٥٥٣هـ وهم يحتفلون بعيد القديس خوان بابتيستا João Baptista ثم قاموا بطرد كل المسلمين منها (٨٧) .

وجدير بالذكر أنه لم تصل أية نجدات طوال مدجة الحصار من قبل الموحدين لإنقاذ المدينة ولعل ذلك مرجعه إنشغالهم التام بطرد النورمان الذين استولوا على المهدية وقتئذ(٨٨) . وكبح جماح ثورة محمد بن مردنيش فى شرق الأندلس (٨٩) هذا فضلا عن أن الموحدين كانوا مطمئنين إلى حامية المدينة وبامكانياتها الدفاعية فى مقاومة الحصار كما حدث من قبل فى المرات السابقة .

وقد أشار المؤرخ ستيفن فى هذا الصدد إلى الخليفة الموحدى عبد المؤمن أراد أن يرد الضربة إلى القوات البرتغالية بعد سقوط المدينة ، فعبر مضيق جبل طارق على رأس ثمانية عشر ألف من جنود الموحدين ، ونجح فى أن ينزل أول هزيمة منكرة بالملك الفونسو هنريكز وأجبره على العودة إلى لشبونة (٩٠) ولكننا لم نعثر على مضمون هذه الحادثة ضمن كتابات مؤرخ الموحدين ابن صاحب الصلاة فى كتابه المن بالامامة (٩١).

ولذلك فان الباحث يرى أن ماذكره المؤرخ ستيفن إنما يرجع إلى لبس شديد فى الفهم والخلط بين الأحداث المتشابهة نقلا عن كتابات المؤرخين ابن أبى زرع والسلاوى ، عندما ذكرا أن الخليفة عبد المؤمن عبر إلى الأندلس ونزل بجبل طارق وأقام شهرين ثم أمر بغزو غرب الأندلس ، فنهض إليه الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبى حفص من قرطبة فى جيش كبير من الموحدين وفتحوا حصن المرنكش (أطرنكش) من أجواز بطليوس ، وقتل جميع من كان به من النصارى فخرج إليه عندئذ الفنش من طليطلة لأغاثة الحصن فوجده قد فتح ، وتصد الموحدين لقتالهم فانهزم وقتل من جنوده ستة آلاف وأسر المسلمون الكثيرين وعادوا بهم إلى قرطبة واشبيلية (٩٢) .

وعلى ذلك يكون المؤرخ ستيفن قد فسر اسم « الفنش » على أنه الفونسو هنريكز رغم

أن النص أوضح أن الفنش جاء من طليطلة فيكون المقصود به الملك الطفل الفونسو الثامن ويبدو أن اللبس قد تأكد عند المؤرخ ستيفن عندما اطلع على رواية ابن عذارى الغامضة والتى يقول فيها " كان صدور أمير المؤنين من .... وذلك بعد أن أقام بجبل الفتح وبعث منه عسكرا جرارا إلى بلاد العدو برسم الغزو وتقدم بين يديه ، وقدم على القبائل ابن الشرقى وعلى الأندلسيين ابن صناديد ، فوصلوا إلى حصن بلقون فوجدوا طاغية الروم وقد استعد للقائهم ، فالتقى معهم فكان بين الفريقين حرب شديدة نصر الله فيه المسلمين على أعدائهم الكافرين ، وكانت هزيمة لم يعهد مثلها ، ونقلوا إلى الأمير عبد المؤمن فوجدوه قد قفل إلى حضرته لامور " (٩٣) . ويؤخذ على ابن عذارى فى هذه الرواية أنه لم يوضح اسم طاغية الروم فضلا عن أن الحملة كانت موجهة ضد غرب الأندلس ، المركز الدائم لغزوات الملك الفونسو هنريكز .

على أية حال أخذ الملك الفونسو هنريكز يوجه نظره بعد ذلك إلى مدينة باجة (٩٤) ففى ٣٠ نوفمبر سنة ١١٦٢ م / ٢٢ ذى الحجة ٥٥٧ هـ الموافق عيد القديس أندرو An-dre هاجم بقواته مدينة باجة واستولى عليها (٩٥) ويضيف ابن صاحب الصلاة أن هذه المدينة ظلت تحت سيطرة الملك البرتغالى نحو أربعة أشهر وثمانية أيام ، ثم غادرها بعد أن دمرها وخرب أسوارها (٩٦) ولعلنا نستدل من ذلك أنه لم يكن لديه القوة الكافية التى تساعده على الاحتفاظ بالمدينة خاصة وأنها فى عمق أراضى المسليمن وبعيدة إلى حد ما عن حدود مملكته .

أدرك الموحدون أن الضربات التى أنزلتها الممالك المسيحية بمختلف المناطق الأندلسية أثناء الحروب الأهلية المندلعة فى المنطقة إنما تمثل خطورة كبيرة عليهم وتحت إعلان الجهاد من أجل استعادة مافقده المسلمون فى الأندلس فأخذ الخليفة عبد المؤمن بن على بدعوة جميع الجهات والقبائل للقتال ، وإنشاء الأساطيل فأنشأ منها مائتى قطعة وقيل أربعمائة(٩٧) ثم سار على رأس جيش كبير إلى رباط الفتح استعدادا للعبور فى سنة ١١٦٣ م / ٥٥٨ هـ وعقد الخليفة عبد المؤمن عنتدئذ مجلسا من الزعماء والقواد للتشاور فى خطة العمل فى الأندلس فاقترح أبو محمد سيدارى بن وزير أن تقسم الحملة

إلى أربعة جيوش أولها يتجه إلى البرتغال لحرب الملك الفونسو هنريكز والثانى يتجه إلى مملكة ليون لمقاتلة الملك فرديناند الثانى بينما يتجه القسم الثالث إلى مملكة قشتالة وكان ملكها الفونسو الثامن طفلا تحت الوصايا ، أما القسم الرابع يتجه ضد مملكة أرجون وبرشلونة وملكها الفونسو الثانى وقد وافق الجميع على هذا الاقتراح واستحسنه الخليفة . ولكن لم تمض غير أيام قليلة حتى مرض الخليفة عبد المؤمن ثم مات (٩٨). وبناء على وصيته تمت البيعة لابنه يوسف فى مايو سنة ١١٦٣ م جمادى الآخرة سنة ٥٥٨ هـ .

وكان الملك الفونسو هنريكز حينئذ يترقب أحداث المغرب منذ وفاة الخليفة عبد المؤمن ، ثم انشغال ابنه يوسف بتثبيت حكمه والقضاء على مناوئيه وخاصة ابن مردنيش فى شرق الأندلس ، فقام بعقد معاهدة ليريز Lerez مع فرديناند الثانى ملك ليون فى ٣٠ ابريل سنة ١١٦٥ م وتوطيدا لأواصر الصداقة بين الطرفين زوج ابنته أوراكا من ملك ليون (٩٩) وفى نفس الوقت قرر استئناف نشاطه فى استرداد المدن والقلاع الإسلامية فجمع جيشا كبيرا من أهالى شنترين وهاجم المناطق المحيطة بمدينة بطليوس فالتقى بخمسمائة من جنود الموحدين المرسلين من أشبيلية لحماية قلعتها (١٠٠) ومع ذلك تمكن الموحدين من إنزال الهزيمة المنكرة بالجيش البرتغالى وسقط كل أفراده مابين قتلى وأسرى فضلا عن الغنائم العديدة التى استولى عليها .

وعلى الرغم من ذلك واصل الملك الفونسو هنريكز سياسته القائمة على الاستيلاء على المدن والقلاع الإسلامية ، فاستولى فى نفس السنة على قلعة سيزمبر Sizimbre وهى إحدى القلاع المجاورة لبطليوس ، وعندما علم أميرها بذلك وأحس بالخطر الذى يحدق به جمع جيشه ورحل لمديد العون إلى حامية القلعة ولكن وصل متأخرا بعد وقوعها فى أيدى البرتغاليين وقد اتجه الملك الفونسو هنريكز بعد ذلك لحصار حصن بلمالة Palmela(١٠١) فخرج أيضا أمير بطليوس على رأس ستين ألف رجل من المشاة وأربعة آلاف من الفرسان لنجدتها ولكن هزمهم الملك الفونسو وأتبع ذلك بعدة هجمات فى المنطقة المحيطة ببطليوس(١٠٢) .

ويتضح من خلال الروايتين السابقتين أن الملك الفونسو هنريكز كثف غزواته وغاراته

على القلاع الإسلامية عام ١١٦٥ م / ٥٦٠ هـ وعلى الرغم من أننا لم نعثر فى بطون المصادر الإسلامية على مايؤيد الرواية الثانية إلا أن طبيعة الصراع فى ذلك العام وكثرة نشاط الملك الفونسو لاينفى حدوث تلك المناوشات بين حاكم بطليوس والملك البرتغالى ، خاصة وأن الرواية الأولى تفسر وتؤيد بطريق غير مباشر الرواية الثانية .

واستمرارا لسياسة الفونسو هنريكز الهجومية على القلاع والمدن الإسلامية فى نفس هذا العام ١١٦٥ م / ٥٦٠ هـ ومابعده . وهناك حملة هجومية قام بها الفارس خيرالدو سيمبافور (جرانده الجليقى) Geraldo Sempavor(١٠٣) الذى كان الملك الفونسو هنريكز يعتمد عليه كثيرا فى ذلك الشأن لمهارته ،كفاءته العسكرية واتقانه الحيل والخدع العسكرية . فكان دائما يبدأ غزواته فى الليالى المطرة حالكة الظلام شديدة الرياح والبرد، وكان يعد السلالم ، بعلو سور المدينة التى يرغب فى الاستيلاء عليها ، فاذا نام الحراس فى برج المدينة يلقى السلالم بجوار البرج ويتسلقها بنفسه ثم ينقض على الحارس ويجبره أن يقوم بعادته المتبعة فى الصياح على التمام ليطمئن زملاءه باستتباب الأمن ، حتى يصعد بقية فرسان البرتغال ثم يصيحون صيحات عظيمة ويهجمون على المدينة يقتلون من يجدونه فى طريقهم ويستحوزون على كل مايجدونه من غنائم وأسرى (١٠٤) .

وقد ظهرت تكتيكاته الحربية بوضوح عندما استولى على قلعة مدينة يابرة (١٠٥) فى سنة ١١٦٦م / ٥٦١ هـ وهى تقع في وسط إقليم الالنتخو وأسست فى هضبة عالية تحيط بها الجبال من جميع الجهات وهى قريبة من قصر بن أبى دانس ، وأصبحت بعد ذلك قاعدة برتغالية تخرج منها القوات البرتغالية للهجوم على القلاع المجاورة . وتذكر المدونات البرتغالية أنه فى نفس العام اتجه خيرالدو إلى جبل مورش Mouros القريب جدا من يابرة ، يترقب الفرصة المناسبة لشن الهجوم عليها . وفى إحدى الليالى المظلمة اتجه بفرقته إلى برج القلعة المعروف باسم الطليعة Atalaia وصعد خيرالدو السور منتهزا فرصة استغراق حارس البرج فى النوم ووصل إلى أعلى البرج ودخل إليه وقطع رأس حارسه ، ثم اقتحم المدينة واتولى أولا على مخازن الأسلحة ثم انتشرت بعض جنوده فى شوارع المدينة بينما اتجه البعض الآخر منهم إلى باب المدينة وفتحوه لدخول بقية الجيش وأخذوا يقتلون سكان

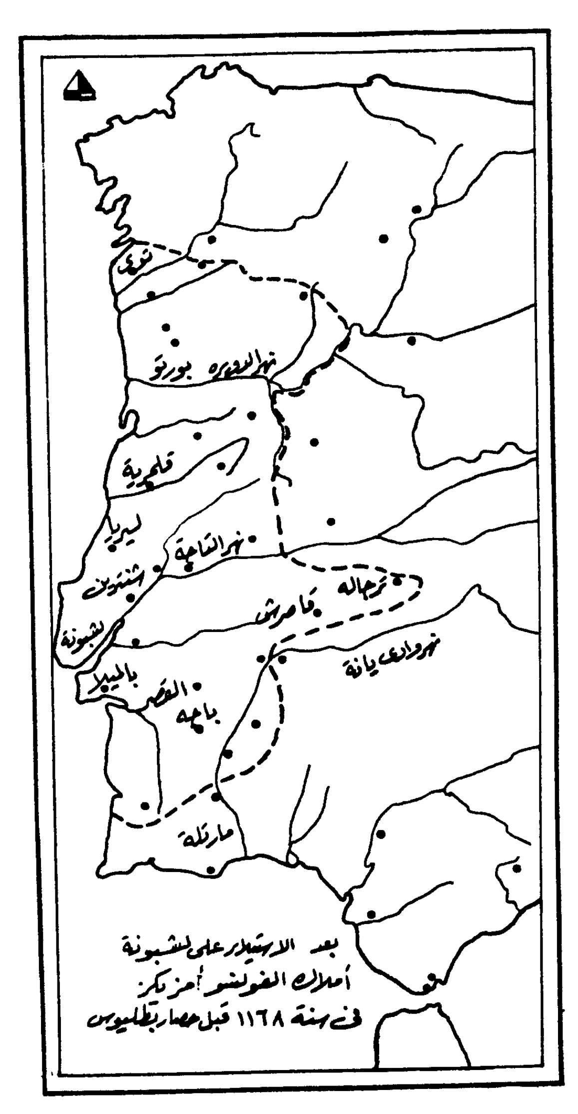
المدينة حتى استولوا عليها وعندئذ أرسل خيرالد وإلى الملك الفونسو يعلمة بالاستيلاء على المدينة (١٠٦) .

وهناك اختلاف بين المؤرخين حول العام الذى سقطت فيه يابرة وقلعتها مع مورش والطليقه فى أيدى البرتغاليين فالرأى الأول لمدونة القوط وقد أدرجت هذه الحادثة فى عام ١١٦٦ م / ٥٦١ هـ بينما أشار ابن صاحب الاصلاة إليها ضمن أحداث ابريل ١١٦٥ م / جمادى الآخر ٥٦٠ هـ ونفس الوقت أضاف بأنه قد أستولى على مدينة ترجالة Tru-jillo(١٠٧) وأغار على مدينة باجة (١٠٨) ولكننا نؤيد الرأى الأخير باعتبار مؤرخة كان معاصرا للأحداث .

وجدير بالذكر أن ابن صاحب الصلاة فى قوله قد ذكر أنه بعد أن استولى خيرالدو على ترجاله ويابرة " باعها من النصارى " .

وأننا نرى أن هذه العبارة غامضة وقد فسرها المؤرخ عبد الله عنان فى كتابه عصر المرابطين والموحدين بأن المقصود بها هى أن خيرالدو باعها إلى النصارى (١٠٩) معتمدا فى ذلك على أن خيرالدو كان يقوم بهذه الغارات والغزوات الأخرى لحسابه ولكننا لانؤيده فى رأيه لأن هاتين المنطقتين تعتبران ضمن مناطق الاسترداد للبرتغال وإنهما امتدادا لحدودها الجنوبية هذا فضلا عن أنه كان يعمل لحساب الملك الفونسو هنريكز والدليل على ذلك أن الملك الفونسو نفسه كان يؤازره ويمده بالمال والجنود واتضح ذلك بشكل جلى أثناء حصاره لبطليوس ، وفق ماسيتضح فيما بعد فليس من الممكن أن يترك الملك الفونسو هنريكز نطاق امتداد فتوحاته إلى الجنوب لأى شخص يعمل لحسابه الشخصى ويبدو أن تشابه بعض من حياة خيرالدو مع السيد الكمبيادور (١١٠) جعلت المؤرخين يتشبعون بتلك الفكرة ويعتبرونه كذلك مثل السيد الكمبيادور .

كيفما كان الأمر ، نجح خيرالدو أن يستولى بعد ذلك على قاصرش Caceres الواقعة إلى الغرب من ترجالة فى صفر سنة ٥٦١ هـ / ديسمبر ١١٦٥ م وتبعها بالاستيلاء على حصن منتجانش Montachez الواقع إلى جنوبها الشرقى فى جمادى الآخرة سنة ٥٦١هـ/ ابريل ١١٦٦م .



Manoel Ramos ; Historia de Portugal

كما استولى أيضا بعد ذلك على حصن شيربه Serpa وتلاه بحصن جلمانية Turmeña الواقع على مقربة من غربى بطليوس واتخذه قاعدة للإغارة عليها والتضييق على أهلها (١١١) .

وكان لانشغال الموحدين بمقاتلة ابن مردنيش فى شرق الأندلس ، بجانب الفتن والاضطرابات المنتشرة فى بلاد المغرب (١١٢) له دور كبير فى انتهاز الملك الفونسو هنريكز وأتباعه هذه الفرصة لإنزال الضربات العنيفة بالمدن والقلاع الإسلامية فبعد تعيين أبى عبد الله بن أبى ابراهيم واليا على اشبيلية فى ٥٦١ هـ / ١١٦٦ م هاجم بعض البرتغاليين من شنترين حصن طلياطة Tejada Tablada) (١١٣) بالقرب من أشبيلية ، فتصدى لهم أبو عبد الله بجيشه وانتصر عليهم وجمع الغنائم وأسر منهم مائة فارس(١١٤) وأشار ابن صاحب الصلاة أيضا أنه فى عام ٥٦٣ هـ / ١١٦٨م خرج أتباع ابن مردنيش من مدينة وادى واش (١١٥) فى جيش كبير بالاشتراك مع خيرالدو وقواته واتجهوا إلى مدينة رندة (١١٦) وأغاروا عليها وقاموا بعمليات السلب والنهب . وعندما علم والى غرناطة أبو عبد الله بما حدث أرسل إليهم على الفور نجدة سريعة التقت بهم أثناء عودتهم فى منطقة بين وادى آش وغرناطة مما اضطرهم الالتجاء إلى جبل شاهق فطاردتهم جيوش الموحدين ونجحوا فى قتل عدد كبير منهم وأسر الباقى واستولوا على كل الغنائم وعندئذ أرسل أبو عبد الله والى غرناطة إلى الخليفة يعقوب يوسف يبشره بالنصر (١١٧).

وجدير بالذكر أننا نستبعد اشتراك خيرالدو فى هذه الغزوة لأنه كان وقتئذ مشغولا فى الاستيلاء على الحصون والقلاع المؤدية إلى مدينة بطليوس تمهيدا للاستيلاء عليها . كما أننا نرى أن مدينة رنده بعيدة جدا عن منطقة اهتمامات ملك البرتغال وتابعه خيرالدو .

على أية حال كانت القلاع والحصون الواقعة فى منطقة بطليوس التى استولى عليها الملك الفونسو هنريكز وتابعه خيرالو بمثابة المعبر إلى بطليوس (١١٨) أهم قواعد الغرب الأندلسى (١١٩) .

بدأت أحداث حصار بطليوس بوصول خبر استيلاء خيرالدو سيمبافور مع مليكه



معسكرات الجيش
المحـــاصـــر لمدينة
لشــــبــــونة فى
عام١١٤٧م

ACAMPAMENTOS DO EXÉRCITO SITIADOR
NA CONQUISTA DE LISBOA, EM 1147.

Ao centro vê-se a cidade de Lisboa;
no lado esquerdo o acampamento dos ingleses,
aquitanos e bretões;
à direita o dos flandrenses e colonenses;
ao norte o arraial de el-Rei D. Afonso Henriques.

Gravura de Francisco Vieira Lusitano,
junto ao ante-rosto da obra: *El Alfonso del Cavallero
Don Francisco Botello de Morais y Vasconcellos*, Lucæ, 1716

مصور من مدونة فتح لشبونة

Conquista de Lisboa aos Mouros 1147

الفونسو هنريكز عليها إلى المغرب وأنهم حاصروا الموحدين ومعهم حاكم المدينة عمر بن تيمصلت داخل قصبة المدينة وذلك فى رجب سنة ٥٦٤ هـ / ابريل سنة ١١٦٩ م(١٢٠) ، بينما اختلفت المدونات البرتغالية والأسبانية فيما بينها حول تاريخ حصار المدينة فذكرها البعض ضمن أحداث عام ١١٦٨ م (١٢١) رجب ٥٦٣ هـ ، بينما ذكرها البعض الآخر عام ١١٦٩ م (١٢٢) ، رجب ٥٦٤ هـ وترى الدكتورة سحر عبد العزيز سالم فى كتابها «التاريخ السياسى لمدينة بطليوس » أن التاريخ المنطقى للحصار يقع فى شهر رجب عام ٥٦٣ هـ وليس رجب ٥٦٤ هـ وفق ماذكرته المصادر الإسلامية لأنه من الثابت أن الخليفة أبا يعقوب يوسف تباطأ فى إرسال النجدة لإنقاذ المدينة ، فلم تصلها إلا فى ربيع الآخر عام ٥٦٤ هـ فكيف يكون ذلك والمدينة لم تهاجم بعد (١٢٣) ويؤيد الباحث ماتوصلت إليه الدكتورة سحر فى هذا الشأن بالنسبة للتاريخ الهجرى دون الموافقة على مطابقة هذا التاريخ بعام ١١٦٨ م وإنما نرى أن الحصار قد تم عام ١١٦٩ م لأنه من الثابت عندما وقع الملك الفونسو هنريكز فى أسر الملك الليونى فرديناند الثانى ابريل سنة ١١٦٩ م - عند اشتباكهما فى حصار بطليوس - تنازل عن كل المدن والقلاع التى استولى عليها فى جليقية ، ثمنا لإطلاق سراحه ولكن لم يتم ذلك قبل شهر ابريل سنة ١١٦٩ م لأنه خلال شهرى مارس وابريل ١١٦٩ كانت تلك المدن والقلاع تحت سيطرته من خلال منحه امتيازات لمدينة توى (١٢٤).

كيفما كان الأمر ، زحف خيرالدو إلى مدينة بطليوس وهاجمها ، وأدرك عندئذ واليها أبو على عمر بن تيمصلت أن إمكاناته الحربية لاتساعده على صد المهاجمين ولابد من وصول نجدة كبيرة من الخارج ، ولذلك امتنع بالقصبة وأرسل يستنجد بالموحدين فى إشبيلية ، ولكن ماكاد خيرالدو يستولى على المدينة حتى أتى مليكه على رأس قواته ودخل بطليوس وحاصر الموحدين داخل القصبة وحدد لهم مهلة للتسليم (١٢٥) وكان لخبر حصار البرتغاليين لمدينة بطليوس رد فعل كبير لدى ملك ليون فرديناند الثانى لأنه طبقا لمعاهدة ساهاجون المنعقدة فى عام ١١٥٨ م / ٥٥٣ هـ مع أخيه سانشو الثالث ملك قشتالة تقع هذه المدينة ضمن منطقة نشاط وفتوحات فرديناند الثانى الداخلة فى حركة

الاسترداد (١٢٦) . ولذلك عندما علم ملك ليون بحصار القوات البرتغالية لبطليوس أسرع بجيشه حتى لاتقع فى يده ، وأرسل رسولا خفيا إلى واليها ابن تيمصلت المحاصر بالقصبة وإلى أهل المدينة من الأندلسيين ينبئهم بوصوله لنجدتهم (١٢٧) وفى نفس الوقت طلب من واليها أن يدله على أفضل الطرق التى يمكن أن يسلكها جيشه لدخول المدينة فبعث ابن تيمصلت بعض رجاله إلى مكان خفى فى طرف أسوار القصبة لم يفطن إليه البرتغاليون(١٢٨) ونجح الموحدون فى عمل نقبة بسور القصبة والخروج منه إلى أقرب أبواب المدينة وفتحوه لجنود ليون واتحدوا مع القوات الليونية فى قتال القوات البرتغالية واشتد القتال بين الطرفين وأبدى الموحدون وحلفاؤهم الليونيون شجاعة فائقة فى القتال حتى مزقوا صفوف القوات البرتغالية واضطر ملكهم الفونسو هنريكز إلى الفرار ولكن أثناء اقتحام باب المدينة مسرعا اصطدمت ساقه اليمنى بعمود الباب بشدة ، فسقط من فرسه وكسرت ساقه وأغمى عليه فحمله أصحابه فاقدا للوعى إلى بلدة (قايه) الواقعة على مقربة من شمال المدينة فطاردتهم قوات الملك فرديناند وأسرت الملك الجريح وخيرالدو وبعض أتباعهما (١٢٩) وعندما عرض الفونسو على الملك الليونى استقبله بلطف وعامله بكرم ، فانتهز الملك البرتغالى هذه الفرصة وعرض على فرديناند الثانى أن يقوم بتسليمه كل مملكته وأن يلبى جميع طلباته مقابل إطلاق سراحه ولكن الملك الليونى اكتفى باسترداد كل المناطق التى يسيطر البرتغاليون عليها فى جنوب جليقية بجانب كل المدن والقلاع التى استولى عليها خيرالدو سيمبافور من الموحدين فوافقه الفونسو هنريكز على مطالبه وتم إطلاق سراحه وغادر البرتغاليون المدينة (١٣٠) وعندئذ قام الملك فرديناند الثانى بالوفاء بوعده ، على حد تعبير ابن صاحب الصلاة ، وسلم المدينة إلى واليها ابن تيمصلت واستولى الموحدين على كل ماتركه البرتغاليون وراءهم من العتاد والمتاع والمؤن . ثم غادر الليونيون المدينة فى ٢٢ شعبان عام ٥٦٣ هـ/ مايو ١١٦٩ . وقد وصلت أبناء ذلك النصر إلى إشبيلية فى الوقت الذى كان أبو حفص عمر يستعد للمسير لانقاذ بطليوس(١٣١).

وهنا نتساءل لماذا سلم الملك فرديناند الثانى مدينة بطليوس إلى الموحدين دون

الاحتفاظ بها خاصة وهى تعتبر من مناطق نشاط فتوحاته ؟ .

ويرى الباحث أن هذا الأمر يرجع إلى عامين اثنين : أولهما أن الموحدين سبق لهم أن مدوا يد العون إلى الملك فرديناند الثانى وعقدوا معه تحلفا فى ٥٦٣ هـ / ١١٦٨ م ضد نونيز بيريز دى لارا المسيطر على الملك الطفل الفونسو الثامن ، فأمدوه بفرقة كاملة بقيادة أبى العلاء بن عزون وأبو على عمر بن تيمصلت والحافظ موسى بن حمود ودخلوا مع قوات فرديناند أراضى قشتالة وحاربوا خصومه ، ثم ساروا معه حتى حدود اشتوريا ثم عادوا سالمين (١٣٢) ، أما العامل الثانى فيدو مرجعه أن الملك فرديناند الثانى قد أدرك أن إمكاناته الحربية لاتساعده على الاحتفاظ بمدينة بطليوس بسبب وصول الإمدادات والقوات الموحدية إلى المدينة لنجدتها هذا فضلا عن أن جبهاته تجاه مملكة قشتالة والبرتغال مازالت مفتوحة (١٣٣) .

على أية حال قام الخليفة أبو يعقوب يوسف بتغيير والى مدينة بطليوس ابن تيمصلت وعين الحافظ أبا يحيى بن الشيخ أبى حفص عمر بدلا منه فتوجه على الفور إلى بطليوس فى صحبة عدد كبير من جنود الموحدين والأندلسيين وقام بتأمين وتحصين أطرافها ثم حفر بئرا كبيرا داخل القصبة (وهى المعروفة بالقورجة) ، تنفيذا لأمر الخليفة حتى يتسرب إليه ماء نهر وادى يانه استعدادا لمواجهة ماقد يقع من حصار خارجى للمدينة أو أمور أخرى طارئة (١٣٤) . ولكن الخطر ظل مستمرا لأن خيرالدو مازال يتوق إلى الاستيلاء على المدينة وبدأ بالفعل يستعد بقواته لتحقيق ذلك وانتهز فرصة انشغال الوالى الجديد بأعمال الحفر والتحصينات وأخذ يشن الهجمات والغارات المتوالية على المدينة ولما استعصت عليه أدرك ضرورة تأييده بقوات كبيرة ثم قسم قواته إلى قسمين كمن القسم الأول فى مكان خفى بمعظم جنوده بينما قام القسم الثانى بمهاجمة أحواز بطليوس القريبة وعندما تصدى له والى المدينة وكادوا يطبقون على القسم الثانى المهاجم حتى تظاهروا بالهزيمة والفرار فتبعه الموحدين حتى وصل إلى مقر الكمين وعندئذ اطبق جنود الكمين على الموحدين وهزموهم وأسروا كثيرا منهم فى أواخر سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م (١٣٥) .

ولم يمض شهر رجب سنة ٥٦٥ هـ / ابريل سنة ١١٧٠ م حتى كانت غارات خيرالدو قد

انهكت قوى حامية المدينة وقلت بها الأقوات لقطع طرق الإمدادات إليها مما دفع الموحدين فى أشبيلية إلى تجهيز قافلة كبيرة مزودة بالطعام والآلات بلغ قوامها خمس آلاف دابة بقيادة أبو يحيى زكريا بن على تحت حراسة فرقة من جنود الموحدين باشبيلية وعندما اقتربت القافلة من مدينة بطليوس خرج إليها خيرالدو فى قواته لمواجهتها . وساعده فى ذلك قوات الملك الفونسو هنريكز التى أرسلها من شنترين ونشبت معركة حامية بين الفريقين انهزم فيها الموحدون وقتل كثير منهم وعلى رأسهم قائد القافلة الحافظ أبو يحيى واستولى خيرالدو على قافلة المؤن كلها فى ٢٦ شعبان سنة ٥٦٥ هـ / ١٤ مايو ١١٧٠م(١٣٦) وكان لهذه النكبة أثر كبير لدى الموحدين فى اشبيلية وقرطبة مما دفع الشيخ أبو حفص إلى الكتابة للخليفة يخبره بما أحدثه المسيحيون على جوانب الأندلس فى ٥٦٥هـ / ١١٧٠ م وفى نفس الوقت عقد السيد عثمان أبو سعيد وعدد من زعماء الأندلس على رأسهم الزعيم أبو محمد سيد راى بن وزير اجتماعا فى اشبيلية للتشاور فى الخطة التى يجب اتباعها ، فقرروا أن يذهب أبو سعيد على رأس فرقة من الجنود إلى مدينة بطليوس لتقوية جبهتها الدفاعية فوصلت الحملة بالفعل إلى بطليوس فى أشد لحظات الضيق عليها عام ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م (١٣٧) ووجد أبو سعيد قوات الملك فرديناند الثانى عند سهل الزلاقة شمال شرقى بطليوس بالقرب من وادى نهر يانه ، يراقب أحداث بطليوس خوفا من وقوعها فى أيدى البرتغاليين مرة أخرى - فأرسل إليه سيد راى بن وزير وأبو العلاء بن عزون (١٣٨) ، وبعض شيوخ الموحدين ليقفوا على نية الملك الليونى عما إذا كان مازال متمسكا بتحالفه وصداقته للموحدين من عدمه ، وعندما تم اللقاء بين الطرفين اقنعهم الملك فرديناند أن سبب وجود قواته بالقرب من المدينة هو حمايتها ومنع سقوطها فى أيدى البرتغاليين ، وتأكيدا لقوله جدد مع الموحدين روابط الصداقة والتحالف ، ثم قفل عائدا إلى بلاده (١٣٩) بعد أن أطمأن إلى عدم تمكن القوات البرتغالية من الاستيلاء عليها بعد وصول امدادات الموحدين إليها . ولكى يطمئن أبو سعيد من تثبيت نفوذ الموحدين فى بطليوس قرر التوجه إلى حصن جلمانية مركز العمليات الحربية البرتغالية ضد مدينة بطليوس وضيق الحصار حول شهر ربيع الأول سنة ٥٦٦ هـ / نوفمبر سنة ١١٧٠ م فلاذ خيرالدو بالفرارمنه ما سهل عملية الاستيلاء عليه ثم أمر أبو

سعيد بعد ذلك بهدمه (١٤٠) .

قرر الخليفة أبو يعقوب يوسف فى رمضان سنة ٥٦٦ هـ / مايو سنة ١١٧١ م عبور المضيق إلى الأندلس ليتفقد أحوالها وتنظيم الأحوال العسكرية بها ضد الممالك المسيحية فبادر وأرسل حملة عسكرية محملة بالمؤن والعتاد اللازمة لمدينة بطليوس بلغ قوامها أربعة آلاف بغل محملين بالقمح والشعير والآلات المعينات يؤيدهم قوة من جنود الأندلس لمواجهة ماتعانيه المدينة من كثرة هجمات البرتغاليين عليها ، وواصلت الحملة سيرها عبر القنطرة الموضوعة على الوادى إلى إطريانة Triana حتى وصلت مدينة بطليوس فى صفر سنة ٥٦٧ هـ / نوفمبر سنة ١١٧١ م ولكى يتم تأمين المدينة ، هاجم أفراد الحملة حصن لبيون الواقع على مقربة من شرقى بطليوس على ضفاف وادى يانه واستولوا عليه وأسروا من بداخله من البرتغاليين (١٤١) .

وكان الخليفة أبو يعقوب يوسف فى ذلك الوقت مشغولا فى مدينة وبذة القشتالية وغيرها من الحصون الأخرى التابعة لقشتالة(١٤٢) الأمر الذى ساعد الفونسو هنريكز فى انتهاز هذه الفرصة والتوجه إلى مدينة باجة للاستيلاء عليها بعد أن فقد الأمل فى الاستيلاء مدينة بطليوس لمتانة أسوارها وجدة استحكاماتها وخاصة بعد حصاره الأول لها

وكانت مدينة باجة حينئذ من أهم قواعد الغرب الأندلس وقد ساعدت ظروفها وأحوالها السياسية الملك الفونسو هنريكز على تحقيق طموحاته والاستيلاء عليها ، فبعد أن بسط الموحدون سيطرتهم عليها عينوا عمر بن تيمصلت التينملى حاكما عليها ولكنه لم يفلح فى تهدئة الفتن المشتعلة بين أعيانها ودهماء المدينة فولوا عمر بن سحنون بدلا منه ولكنه كان يغلب عليه الطيش وعدم الحكمة فوطد علاقاته مع فئة الدهماء حتى استوزر منهم وتمادى فى اضطهاد الناس وضربهم بالسياط واجترأ على سفك الدماء وسلب الأموال بالباطل حتى راح ضحيته كثير من الفقهاء وأعيان البلد فاشتدت الفتنة ، بالمدينة واشتعلت نار الثورة ضد حاكمها (١٤٣). وعندئذ خرج الملك الفونسو على رأس قواته وفى صحبته خيرالدو سيمبافور ، وتوجه إلى المدينة فى ليلة مستهل المحرم سنة ٥٦٨ ـ / ٢٣ أغسطس ١١٧٢ م منتهزا فرصة ضعف حامية أبراج المدينة لإهمال القائمين على حراستها

بسبب حبس ابن سحنون لرواتبهم ، وقد وصل البرتغاليون إلى سور المدينة زحفا على أيديهم وأرجلهم حتى تمكنوا أن يثبتوا السلالم على برج القصبة المعروف باسم برج الحمام دون أن يشعر بهم أحد من حراس الليل ثم صاحوا صيحتهم المأثورة وماكاد الوالى عمر بن سحنون وأهل المدينة يستيقظون من نومهم حتى كان البرتغاليون قد ملكوا البرج واحتلوا القصبة فى الحال فانتشر الذعر فى المدينة وتدلى الوالى من السور وفر إلى مرتلة وماكاد الصباح يبزغ حتى استولى البرتغاليون على المدينة وأخذ سكانها يلوذون بالفرار وتلاحقهم سيوف القوات البرتغالية من كل جانب ، وفقد الموحدون كثيرا من قواتهم مابين أسرى وقتلى فضلا عن أموالهم ومتاعهم (١٤٤) ولم يستطع الموحدون تقديم النجدات إلى أهالى باجة لانشغالهم فى حملاتهم فى شرق الأندلس ، وجدير بالذكر يبدو أن الملك الفونسو هنريكز قد أدرك مدى الخطر المرتقب فيما لو توحدت القوات الموحدية وأتت من شرق الأندلس لنجدة المدينة كما أنه تأكد من صعوبة الاحتفاظ بالمدينة لاتساعها وصعوبة الدفاع عنها وبعدها عن حدود مملكته فضلا عن أنها كانت محاطة بالمدن والقلاع الإسلامية من كل جانب الأمر الذى يؤدى إلى صعوبة إمدادها بالمؤن اللازمة والمساعدات السريعة بالإضافة إلى هذا وذاك خشى الملك الفونسو من هجوم الملك الليونى على حدوده الشمالية خاصة وأن العلاقات بينها كانت سيئة وكل يتربص للآخر من أجل غزو أراضيه ولذلك قرر عدم الاحتفاظ بها وأمر بتدمير أسوارها وإشعال النيران فيها ، ثم انسحب منها فى يناير ١١٧٣م / جمادى الأول سنة ٥٦٧ هـ (١٤٥) وعندئذ أرسل أهلها إلى الخليفة يطلبونه بالعمل على تعمير مدينتهم فعين أبا بكر وزير حاكما عليها وكرس كل جهوده حتى نجح فى تعميرها واستعادة رونقها (١٤٦) .

كيفما كان الأمر ، رأى الخليفة بعد حملة الملك الفونسو هنريكز على جنوب الأندلس ، أن يوطد استحكامات مدينة بطليوس خوفا من معاودة الملك البرتغالى الهجوم عليها ، فجهز حملة كبيرة للمرة الثانية (١٤٧) بلغ تعدادها حوالى أربعة آلاف فارس فضلا عن قوات من جنود الأندلس والعرب بقيادة أبى يعقوب بن أبى عبد الله تيجبت ، وعبد الله ابن اسحاق بن جامع وأمدها بكثير من المؤن والعتاد بلغت ثلاث آلاف دابة ، وكان كل هذا

من أجل توطيد وتقوية بطليوس ( ) مما كان له أكبر الأثر فى انصراف البرتغاليين عن متابعة هجماتهم ضد المدينة وتوجيهها إلى مناطق أخرى .

وقد تطورت الأحداث التاريخية بعد ذلك فى صالح الموحدين إلى حد كبير ، فكانت ضربات جيش الخليفة أبى يعقوب ضد مملكة قشتالة شديدة ، لدرجة أن تقدم نونيو دى لارا الوصى على الملك الفونسو الثامن لطلب الصلح والمهادنة مع الموحدين فوافق الخليفة أبو يعقوب على ذلك وعندئذ أدرك الملك الفونسو هنريكز أنه أصبح بمفرده فى ساحة القتال ضد الموحدين فأرسل بدوره سفراء من قبله فى ذى الحجة سنة ٥٦٨ هـ / يوليو ١١٧٣ م إلى أشبيلية ومكثوا بها شهرين فاستقبلهم الخليفة استقبالهم حسنا وتعاهدوا معا على عقد الهدنة بين الطرفين ثم عادوا بعد ذلك إلى قلمرية ، بعد أن وقعوا هدنة لمدة خمس سنوات فى صفر سنة ٥٦٩ هـ / سبتمبر ١١٧٣ م (١٤٩) .

ولاشك أن ماحدث كان فى صالح الموحدين حتى يكون عندهم فسحة من الوقت يتفرغون من خلالها لإعادة تنظيم شئون الأندلس وتعمير المناطق المقفرة من جراء هجمات البرتغاليين عليها .

وكان لهذا الاتفاق رد فعل عنيف لدى خيرالدو فغضب من ملكية وقرر التخلى عنه والدخول فى خدمة المسلمين (١٥٠) . فأكرمه الخليفة وقبل دخوله فى طاعته وخدمته . وقد أشارت إحدى الروايات (١٥١) أن الخليفة صحبه إلى مراكش ومنحه العطايا فى السوس غير أن خيرالدو كاتب مليكه الفونسو هنريكز فى لشبونة يخبره بمكانه ويطلب منه الحضور على رأس اسطوله لأخذه ووعده بعدم التخلى عنه ولكن لسوء حظه وقع الخطاب فى يد الخليفة فأرسل كتابا إلى عامله موسى بن عبد الصمد فى درعة يأمره بقتل خيرالدو وأصحابه بمجرد وصولهم إليه . وفى نفس الوقت لم يظهر الخليفة لخيرالدو خبر معرفته بما تم وأقنعه بالمسير إلى درعهة بحجة أنها أفضل من السوس فنفذ ماطلب منه وسار على رأس ثلاثمائة وخمسين فردا من أتباعه وهناك لقى مصيره التعس على يد موسى بن عبد الصمد عام ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م (١٥٢) .

ويشير ابن عذارى إلى رواية أخرى تختلف قليلا فى تفاصيلها عن الرواية السابقة

وتنص على أنه عندما دخل خيرالدو فى خدمة الموحدين أرسل إليه الفونسو هنريكز سرا يثنيه عما فعل ويطلب منه العودة مرة أخرى إلى صفوف البرتغاليين ، فوقعت المراسلات فى يد الخليفة وظهر منها ولاء خيرالدو وتعاونه مع مليكه السابق فقبض عليه وعلى أصحابه وأرسلوا إلى سجلماسة ، واعتقلوا بها تحت رقابة شديدة وعندما حاول خيرالدو الفرار قبض عليه مرة أخرى وقتل عام ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م (١٥٣) .

وجدير بالذكر أن الاختلاف بين الروايتين ليس فى المضمون العام وإنما فى تحديد عام مقتل خيرالدو واننا نؤيد التاريخ الثانى لأن خيرالدو كان له نشاط كبير ضد الموحدين بعد عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م (١٥٤) .

كيفما كان الأمر فمنذ عقد الهدنة والأحداث الحربية بين الموحدين والبرتغاليين فى حالة ركود تام . حتى تجددت الاشتباكات بينهما فى عام ١١٧٧ م / ٥٧٣ هـ عندما نقض الملك الفونسو هنريكز الهدنة وخرج بجيشه إلى مدينة باجة وهاجها وطع زروعها وكاد أن يستولى عليها ، ولكنه فك الحصار من حولها وفضل الاتجاه إلى أشبيلية التى بها القوة الرئيسية للموحدين للقضاء عليها فزحف إلى ضاحيتها الغربية ودخل ضاحية طريانه Tri-ana وهدمها ثم عاث فى أحواز أشبيلية فساداً ، ووجد صعوبة اقتحامها ففضل الرجوع مرة أخرى إلى مدينة باجة فى شهر المحرم من عام ٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م ، لأن واليها عمر بن تيمصلت خرج منها على رأس قوة من الباجيين ، وانضم إليه على بن وزير حاكم حصن شيربة Serpa وأغاروا جميعا على قصر أبى دانس . ونشبت معركة شرسة بينهم وبين البرتغاليين ولكن وصلت نجدة برتغالية من شنترين أثناء المعركة عززت صفوف بنى جنسهم ، وساعدتهم على هزيمة الموحدين ووقع كل من ابن تيمصلت وابن وزير فى الأسر مع عدد كبير من الفرسان بينما سقط الباقون مابين قتيل وجريح وعندما وصل الخبر إلى أهل مدينة باجة بادروا بالفرار إلى مدينة مرتلة . وفى شهر المحرم سنة ٥٧٤ هـ / يوليو ١١٧٨ م وحمل ابن تيمصلت إلى قلمرية ونال قسطا وافرا من العذاب ثم أعدم بينما افتدى ابن وزير نفسه بأربعة آلاف دينار (١٥٥) . وتشير إحدى الروايات البرتغالية إلى أن الأمير سانشو قد سار بجيشه تجاه اشبيلية ووصل إلى مدينة طريانة Triana ودمر أسوارها ، ثم

عاث فسادا فى ضواحى منطقة أشبيلية (١٥٦) بينما تضيف رواية أخرى أن الملك الفونسو هنريكز ، عندما أدرك عجزه عن مباشرة سير المعارك بسبب الكسر الموجود فى ساقه ، انتهز هذه الفرصة وفوض ابنه نيابة عنه فى قيادة الجيش ، ليضع قدمه على بداية طريق المجد والشهرة وقد خرج الجيش بالفعل فى يوليو سنة ١١٧٨ م / المحرم ٥٧٤ هـ وأخذ طريق تجاه يابرة وبقى بها بضعة أيام ليراقب تحركات المسلمين ، ثم رحل منها فى ٨ أكتوبر سنة ١١٧٨ م / ربيع الآخر ٥٧٤ هـ واتخذ الطريق الطريق مباشرة إلى قلعة خينتا Ginta وقتل كثيرا من المسلمين الموجودين بها ، ثم اتجه إلى اشبيلية عن طريق جبال سييرا مورينا Serra Morena . وعندما علم الاشبيليون بوصول هذا الجيش ، تجمعوا للخروج لملاقاته ولكنهم انهزموا واستولى البرتغاليون على ضاحية طريانة وعاثوا فساداً فى ضواحى اشبيلية ثم فرضوا الحصار بعد ذلك على مدينة لبلة Niebla لبضعة أيام أجبروا خلالها الأهالى على تسليم أسلحتهم . وقد نمى إلى علم الأمير سانشو عندئذ أن ابن وزير وعمر بن تيمصلت ، قد حاصرا بجيوشهما مدينة باجة دون أن يكون بها عدد كاف من الجنود البرتغاليين لحمايتها فتشاور الأمير سانشو مع قادته وقرر إرسال نجدة سريعة إليها مكونة من ألف وأربعمائة فارس بقيادة دون بدرو بابيز Pedro Paaez ثم لحق بها الأمير سانشو بعد ذلك ونجحوا جميعا فى هزيمة الموحدين وتخليص المدينة من الحصار المفروض حولها ووقع ابن وزير وعمر بن تيمصلت فى الأسر (١٥٧) .

ويرى الباحث أن الذى قام بقيادة الحملة هو الأمير سانشو (١٥٨) وأن الروايتين مكملتان لبعضهما ، فبعد أن خرج ابن وزير وعمر بن تيمصلت من باجة لإغارة على حصن قصر أبى دانس ، انتهز الأمير سانشو هذه الفرصة وفرض الحصار على مدينة باجة ، فاضطر هذان الحاكمان إلى العودة إلى باجة واشتبكا بجيوشهما مع البرتغاليين فانهزم المسلمون ووقع هذان الحاكمان فى الأسر .

على أية حال لم يستسلم الموحدين للهزيمة التى لحقت بهم على يد الأمير سانشو ، فتجمعت جيوشهم فى أكتوبر سنة ١١٧٩م / جمادى الأول سنة ٥٧٥ هـ وهاجموا قلعة ابرانتس Abrantes ولكنهم تركوا الحصار بعد أربعة أيام للخسائر الجمة التى لحقت بهم

فى مواجهة القوات البرتغالية [١٥٩] ولكن سرعان ماقام الموحدون مرة أخرى فى العام التالى بالهجوم على قلعة كلوتش Coluchi وهدموها وقتلوا كل سكانها [١٦٠].

وجدير بالذكر كانت جملة المعارك السابقة التى نشبت بين الموحدين والبرتغاليين تتسم بالطابع البرى ولكن اعتبارا من عام ١١٧٩ م / ٥٧٥ هـ أخذت المعارك تأخذ دورا جديدا يتصل بالنشاط البحرى . وكان الموحدين قد اهتموا بانشاء الأساطيل البحرية منذ أواخر عهد الخليفة عبد المؤمن بن على (١١٦١ - ١١٦٣ م / ٥٥٧ - ٥٥٨ هـ)[١٦١] ووقع أول احتكاك بحرى بينهم وبين البرتغال فى عام ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م فعندما كثرت اعتداءات البرتغاليين برا على الأراضى الإسلامية فى شبه الجزيرة الايبيرية ، ضمن حركة الاسترداد ، قرر الخليفة أبو يعقوب يوسف إعداد الأسطول الموحدى وعقد لواءه لغانم بن مردنيش بهدف غزو شواطىء البرتغال ، فسار الاسطول الموحدى من سبته باتجاه لشبونة ، وهاجم ثغرها واستولى على سفينتين من السفن البرتغالية ، وعاد مرة أخرى إلى سبته فجاء رد فعل البرتغاليين لذلك عنيفا إذ توجهوا بحملة بحرية إلى سواحل الغرب الإسلامى فى شبه الجزيرة ، وهاجمت السفن البرتغالية شواطىء ولاية الغرب واستولت على جزيرة شلطيش الواقعة قباله ولبة فى مصب نهر اوديل وأسرت كثيرا من سكانها المسلمين ، فقام الخليفة أبو يعقوب فيما بعد بافتدائهم [١٦٢] ويرجع سبب توجيه هذه الحملة ضد مدينة لشبونة إلى أنها أهم مدن الساحل الغربى لشبه الجزيرة ، وبها دار لصناعة السفن البرتغالية فأراد الموحدين تدمير السفن الراسية فى ميناء لشبونة .

وقد شجع نجاح هذه الحملة البحرية الخليفة أبو يعقوب كثيرا فأمر بخروج الأسطول مرة أخرى والهجوم على بعض ثغور البرتغال فأسند إلى غانم بن مردنيش وأخيه أبى العلا قيادة الأسطول وأمرهما بالإبحار إلى شمال مدينة لشبونة حيث سان مارتين دى بورتو وعندما نفذ المسلمون إلى نهر الدويره اتجهوا إلى الداخل وهاجموا بورتودى موس Porte de Mos ولكن كان حاكمها دون فواس روبينو يدرك نية الموحدين فأمر بتحصين القلعة والاستعداد للدفاع عنها . وفى نفس الوقت أرسل لطلب النجدة من كل المناطق المجاورة له وخاصة شنترين فهرع لنجدته عدد كبير من الفرسان ودبر البرتغاليون كمينا للمسلمين فى

جبال منديجا ، فانقضوا عليهم وفرقوا صفوفهم وقتلوا كثيرا من الموحدين وقاموا بعمليات السلب والنهب مما أدي إلى هروب السفن الموحدية وعندئذ خرج دون فواس روبينو بأسطوله واشتبك مع الاسطول الموحدى وانتصر عليه وأسروا كل من فيه من المقاتلين (١٦٣) فى موقعة رأس اسبيكل Cabo de Espichel فى المحرم سنة ٥٧٦ هـ يونيه سنة ١١٨٠م(١٦٤)، ويبدو أن غانم بن مردنيش وأخوه قد أسر فى هذه المعركة البحرية وأطلق سراحه بعد ذلك (١٦٥) .

وجدير بالذكر أن الملك الفونسو هنريكز بدأ ينتبه لخطر الموحدين البحرى على مملكته ولذلك اتخذ عدة إجراءات لتأمين سواحله فأرسل خطابان لمدينة لشبونة من أجل تحصينها من ناحية البحر وفى نفس الوقت أمر الأسطول بالاستعداد للإبحار ومهاجمة سواحل المسلمين فى المغرب ، ولذلك تحرك القائد روبينو بالأسطول للهجوم على مدينة سبته قاعدة لأسطول الموحدى (١٦٦) فى سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م . وعندئذ أسرع قائد أسطول سبته آنذاك عبد الله بن جامع بالتحرك والإنضمام إلى أسطول أشبيلية بقيادة أبى العباس الصقلى وتوجها معا لمواجهة الأسطول البرتغالى المتجه إلى سبته وتم اللقاء عند رأس اسبكل وأحرز الأسطول الموحدى نصرا كبيرا نجم عنه أسر عشرين سفينة بما تحمله من جنود وأمتعة وعادوا منتصرين ، وقتل الكثير من البرتغاليين وعلى رأسهم قائد الأسطول روبينو (١٦٧) .

وجدير بالذكر أن طليطلة وشنترين كانتا تمثلان مركزين حربيين هامين ، اتخذهما المسيحيون لشن الغارات منهما ضد قوى الموحدين فى شبه الجزيرة الايبيرية ويشير المؤرخ ابن عذارى فى هذا الصدد إلى أن المسيحيين قد انتهزوا فرصة طول غياب أمير المؤمنين عن الأندلس ، وأكثروا من شن غاراتهم على الأراضى الأندلسية (١٦٨) ، مما دفع الموحدين إلى رد هذه الغزوات ضد مملكة البرتغال ففى المحرم سنة ٥٧٧ هـ / مايو ١١٨١م خرجت حملة حربية من أشبيلية بقيادة أبى عبد الله محمد بن وانودين الهنتاتى واتجهت نحو الشمال الغربى صوب مدينة يابرة مركز جماعة رهبان فرسان يابرة ، وهاجموها وعاثوا فى أحوازها فسادا ودمروا المزروعات والأشجار ، واستولوا على كثير من الماشية ونجح

المسلمون فى بداية الأمر أن يشددوا الحصار دون أن يتمكن البرتغاليون من فك حصارهم ولكن خرج فى أحد الأيام بعض البرتغاليين من يابرة فجأة واشتبكوا مع الموحدين فى معركة حامية انهزموا فيها شر هزيمة وقتل منهم عدد ضخم بينما لجأ الباقون إلى داخل المدينة فأقام عليها ابن وانودين يومين ثم انصرف عنها وهاجم فى طريق عودته حصنا آخر للمسيحيين واستولي عليه وأسر كل من به من الرجال والنساء ثم عاد إلى اشبيلية مثقلا بالغنائم والأسرى (١٦٩) .

ولكن لم يستسلم البرتغاليون للهزيمة فأعادوا تنظيم صفوفهم تمهيدا للانتقام من الموحدين ، وخرجت عدة حملات حربية من شنترين ضد المسلمين فى (الجرف « الشرف » El - Jarafe) فى أحواز أشبيلية ولكنهم انهزموا وقتل من البرتغاليين مايقرب من مائة وسبعين فارسا ، ولكن سرعان ما أعد البرتغاليون كمينا للمسلمين نتج عنه استشهاد جماعة منهم (١٧٠) .

وخرجت في العام التالى سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م حملة برتغالية من شنترين ولشبونة بلغ قوامها ألف فارس ومثلهم من المشاة ، وعبرت نهر وادى يانه واجتاحت الشرف جنوبى أشبيلية حتى وصلت إلى قرية شلوقة (١٧١) علي مصب نهر الوادى الكبير وقتلوا كل من وجدوه من المسلمين بها فضلا عن الأسرى والغنائم ثم استولوا على حصن القصر (١٧٢) وغيره من حصون تلك الناحية وعادت عن طريق لبلة دون أن يقف فى سبيلها أحد(١٧٣) .

ويتضح من تلك الحملات أن الوضع فى شبه الجزيرة الايبيرية أصبح فى منتهى الخطورة أثر الضربات التى وجهت إلى المسلمين بها من قبل مملكتى البرتغال وقشتالة ويتطلب الأمر إرسال حملة ضخمة يقودها الخليفة بنفسه لشد وشحذ همم المسلمين فى المغرب والأندلس خاصة بعد أن استغاث الأندلسيون أنفسهم به . وفى جمادى الآخرة سنة ٥٧٩ هـ سبتمبر سنة ١١٨٣ م أعد الخليفة حملة كبيرة واجتمع مع شيوخ الموحدين ليستشيرهم فى أمر خط سير الحملة فوافقوا بالإجماع على توجيهها إلى الأندلس لغزو المسيحيين والجهاد فى سبيل الله فوافقهم الخليفة على ذلك (١٧٤) .

وإذا كان هناك رأى يقول أن الخليفة عندما خرج من مراكش لم يكن لديه رأى حاسم فى

شأن الغزوة التى ينوى القيام بها فاننا لانؤيده لأن الاستعدادات التى أعدها الخليفة والأحداث التى كانت تمر بها الأندلس حينئذ من حيث ضغط وغزوات الممالك المسيحية ضد الأراضى الإسلامية فى شبه الجزيرة الايبيرية ، فضلا عن سيطرة الموحدين فى تلك الفترة على أراضى الأندلس بعد قضائها على ثورة ابن مردنيش ، كما أن الموحدين لايواجهون مشاكل ذات بال فى المغرب . كل ذلك بجانب استغاثة الأندلسيين وطلب الغوث من الخليفة ، توضح أن استعداداته كانت من أجل مهاجمة الممالك المسيحية الأسبانية ، ووقف هجماتها على الأراضى الأندلسية .

على أية حال تقدمت الجيوش الموحدية وعبرت المضيق بقيادة الخليفة أبى يعقوب يوسف ووصلت أشبيلية لإعادة تنظيم الحشود والاستعدادات (١٧٥) . واستقر الرأى على أن تتجه الحملة إلى البرتغال لعدة أسباب يأتى فى مقدمتها أن مملكة البرتغال هى المملكة الفنية التى أنزلت بالموحدين ضربات وحشية عديدة متخذة من مدينة شنترين قاعدة رئيسية تشن منها معظم الهجمات على الأراضى الإسلامية ، فضلا عن أن البرتغال حققت أضخم انجازاتها آنذاك بالاستيلاء على العديد من المدن والقلاع الإسلامية مثل شنترين ولشبونة وشنترة ، كما أنه لايغيب عن الأذهان مافعله خيرالدو وسيمبافور وحملاته وغاراته الوحشية واستيلائه على المدن والقلاع الأندلسية . وفى نفس الوقت كان ملكها الفونسو هنريكز حينئذ هو أقدم الملوك المسيحيين ومحاربيهم ضد المسلمين فى شبه الجزيرة الايبيرية فأدرك الخليفة أن الخطر الحقيقى تجاه المسلمين فى الأندلس يكمن فى مملكة البرتغال دون غيرها من الممالك المسيحية الأخرى .

وقد اعتمد الخليفة أبو يعقوب يوسف فى خطته الحربية على حشد أكبر عدد ممكن من المقاتلين من جميع طوائف المسلمين فى المغرب والأندلس ، كما اعتمد على السفن الحربية فى نقل القوات والسلاح والآلات والمؤن إلى الأندلس ، على أن يتم الحصار برا وبحرا ، وتشير مدونتا القوط ولوزيتانيا إلى أن الخليفة قد اعتمد فى خطته الاستيلاء على كل مدن البرتغال حتى نهر الدويرة (١٧٦) ولكن ذلك كان لايتحقق إلا بمهاجمة مملكة البرتغال من البر والبحر حتى ضفاف نهر دويره ثم يواصل المسلمون الزحف بعد ذلك من ضفاف

التاجة ودويرة إلى قلب مملكة قشتالة فى الوقت الذى تتقدم فيه القوات الإسلامية الزاحفة من الجنوب بشغل جيوش المسيحيين (١٧٧) .

وقد بالغ المؤرخون فى وصف ضخامة الاستعدادات وعدد جيش الخليفة حتى أن الحميرى يحددهم بأربعين ألف فارس من أنجاد العرب الفرسان ومن الموحدين والجنود والمطوعة وفرسان الأندلس ماينيف على مائة ألف فارس ليصل المجموع الكلى لهم حوالى مائة وأربعين ألف جندى (١٧٨) . بينما تشير روايات المدونات الأولية أن عددهم بلغ ثمانية وسبعين ألف مقاتلا وقد أشارت مدونة القوط أن عدد الملوك المشتركين فى هذه الحملة قد بلغ ثلاثة عشر ملكا يصاحبهم تسعة جيوش (١٧٩) أما المدونات المتأخرة فقد حددت عددهم بأربعمائة ألف فارس وخمسمائة ألف من المشاة (١٨٠) بينما حددت المصادر الإسلامية عدد جيش المسلمين مابين ثمانين ومائة وأربعين ألف مقاتل .

كيفما كان الأمر بدأ الجيش الموحدى السير من أشبيلية فى شهر صفر سنة ٥٨٠ هـ الموافق شهر يونيو سنة ١١٨٤ م فوصلت طلائعه بعد تسعة أيام إلى حصن العرجة Alanje فى طريق بطليوس ثم واصلت السير حتى وصلت إلى مدينة بطليوس نفسها وهناك أكمل الخليفة استعداداته وتنظيم جنوده ثم بدأ السير من بطليوس فى شهر ربيع الأول من نفس العام تجاه الشمال الغربى مخترقا الناحية اليسرى من وادى التاجة فعبروا نهر التاجة واتجهوا إلى شنترين حيث نزلت الجيوش الموحدية جميعا فى التل المرتفع المشرف على شنترين من ناحيتها الشرقية والغربية يوم الأربعاء السادس عشر من ربيع الأول سنة ٥٨٠ هـ ٢٧ يونيو سنة ١١٨٤ م (١٨١) وكان الأسطول الموحدى حينئذ عند مصب نهر الوادى الكبير ومصب وادى يانه متخذا طريقه إلى مياه لشبونة (١٨٢) ويذكر ابن أبى زرع أن هدف الأسطول الرئيسى كان مدينة لشبونة (١٨٣) ولكن الباحث يرى أن هدفه كان العمل على شغل القوات البرتغالية على سواحل البرتغال وعلى الأخص فى لشبونة لعدم إتاحة أى فرصة لهم فى مساعدة شنترين وفتح جبهتين للقتال فى شنترين ولشبونة .

وقد اختلفت الوايات العربية عن روايات المدونات المسيحية فى تفاصيل ذلك الحصار فتشير المصادر العربية إلى أن الخليفة أمر القوات الموحدية أن تتقدم حتى أبواب المدينة ثم

يفرضوا حولها الحصار وقد قدم الموحدين فى الربض الواقع فى جنوبها الشرقي والممتد علي طول نهر التاجة ونصبت فيه خيمة الخليفة بينما احتشد البرتغاليون بقيادة ملكهم الفونسو هنريكز داخل شنترين وقصبتها وجددوا تحصيناتها وأصبحوا مستعدين للدفاع عنها (١٨٤).

ولكن المدونات البرتغالية تشير إلى أن الموحدين أرادوا الانتقام من البرتغال كرد فعل لحملات الأمير سانشو وغاراته العديدة السابقة ضد الأراضى الإسلامية (١٨٥) . فاتجهوا لحصار داخل مدينة شنترين ولكنه كان قد حصنها وقوى دفاعها قبل وصول المسلمين إليها(١٨٦) وتشير المصادر الإسلامية أن القوات البرتغالية أقامت حواجز متينة للاعتصام بها والدفاع عن أنفسهم من ورائها ويصف ابن عذارى وابن صاحب الصلاة حالة المسلمين وروحهم المعنوية العالية وحماسهم وكيف اقتحموا الربض وحققوا انتصارات كبيرة فى ذلك وهدموا الكنيستين اللتين به (١٨٧) .

وقد اتفقت الروايات المسيحية فى تفاصيلها فى هذا الصدد مع الروايات الإسلامية باستثناء بعض الإضافات التى تمجد شأن البرتغاليين مثل المبالغة فى كثرة عدد القتلى والجرحى من المسلمين واستماته القوات البرتغالية فى القتال والصمود أمام المسلمين وتضيف المدونات البرتغالية إلا أن الأمير سانشو كان بداخل مدينة شنترين وعندما أدرك اقتراب جيش الموحدين من المدينة أرسل في طلب النجدة من كل المناطق المجاورة ، وكتب إلى أبيه لمساعدته ، فسرعان مالبى الفونسو هنريكز النداء . وجمع كل مايستطيع حشده من القوات واتجه وفى صحبته رئيس اساقفة بورتو لنجدة شنترين (١٨٨) . ويشير ويثى ميرانده بأن القتال بدأ يوم ٢٤ يونيو الموافق عيد القديس خوان واستمر ثلاثة أيام استطاع الموحدين خلالها أن يحدثوا ثغرة فى سور المدينة ولكن عندما وصلت النجدة فى اليوم التالى تغيرت الظروف لصالح البرتغاليين وحدث تخلخل فى جبهة المسلمين نتج عنه مقتل حوالى ١٥ ألف محارب منهم وقام البرتغاليون باستخدام جثث القتلى لسد الثغرة التى أحدثها المسلمون فى سور المدينة وفى نفس الوقت قدم أسقف شانت ياقب مع عشرين ألف رجل وخاضوا معركة ضارية راح ضحيتها حوالى ثلاثين ألف مسلم (١٨٩) وجدير بالذكر

أن الرواية المسيحية الأخيرة تناقض ماجاء بالرواية الأولى . تؤكد الرواية الثانية أن الملك الفونسو هنريكز هو الذى أتى بنفسه على رأس النجدة بينما تناقض الرواية الأولى ذلك . ويشير المراكشى (١٩٠) صراحة أن الملك الفونسو هنريكز كان قد جمع قوات كبيرة وحصنها قبل وصول حملة الموحدين ولكن الباحث لايؤيد الرواية التى تذكر حضور أسقف شانت ياقب إلى ميدان المعركة لأنه يتبع ملك ليون فرديناند الثانى وكان بين البرتغال ومملكة ليون كثير من المشاكل - كما ذكرنا من قبل - .

كيفما كان الأمر اختلف المؤرخون فى تفاصيل الدور الأخير من الحصار بينما يذكر ابن عذارى بأن الخليفة أصدر أمره يوم الأثنين ٢١ ربيع الأول / ٢ يوليو عام ١١٨٤ م بالكف عن القتال وبتحرك الجيش الموحدى من مكانه إلى غرب مدينة شنترين وقد أبدى أفراد الجيش دهشتهم لهذا الأمر وتلقوه بكثير من التململ والارتباك وقد حدث فى نفس اليوم أن توجهة إحدى فرق الجيش الموحدى للإغارة على بسائط المسيحيين ولكنها انهزمت هزيمة شديدة مما جعل أفرادها يرتدون إلي المحلة منهزمين وعندئذ عزم الخليفة على الارتحال وترويح الجيوش والنفوس من السآمة والكلال (١٩١) .

ويرى المؤرخ عبد الواحد المراكشى أن سبب الانسحاب إنما يرجع إلى خوف الجيش الموحدى من اشتداد البرد عليهم أو فيضان نهر التاجه فلايستطيعون عبوره فتنقطع عنهم الإمدادات . ولذلك وافقهم الخليفة على الارتداد عن شنترين والرجوع إلى أشبيلية حتى إذا تغيرت الظروف عادوا مرة أخرى لحصار المدينة ولكن حدث وأن سارع أحد القضاة المشاركين فى الحملة والمعروف بأبى الحسن على بن عبد الله بن عبد الرحمن المالكى بالانسحاب دون ترتيب سابق مما أحدث الخلل فى الجيش الموحدى وتعرض مؤخرته لهجوم البرتغاليين (١٩٢) ويرى الباحث أن هذه الرواية لاتتفق مع ظروف الأحداث إذ أن الحصار كان فى ٢ يوليو سنة ١١٨٤ م ، وانسحب الجيش بناء على الرواية بعد ستة أيام فى ٨ يوليو أى فى فصل الصيف وليس الشتاء وفى الوقت نفسه فان استعدادات الجيش الموحدى توضح أنه يستعد لحصار طويل خاصة وأن شنترين مشهورة بحصانتها الطبيعية ومتانة أسوارها ، فضلا عن أنه من أبسط قواعد الحنكة الحربية أن توجيه الحملات إلى حصار المدن ، تتطلب دراسة الظروف المناخية للمنطقة المراد توجيه الحملة إليها .

وقد أوضح ابن أبى زرع أن سبب الانسحاب يرجع إلى البلبلة التى حدثت أثر صدور أمر الخليفة بتغيير موضع تمركز أفراد الجيش من شرق مدينة شنترين إلى غربها لأن الخليفة كان قد أمر ابنه أبا اسحاق بقيادة جزء من قوات الجيش الموحدى نهارا والتوجه لغزو مدينة لشبونة (١٩٣) ولكن أساء الابن الفهم وظن أن الرحيل يبدأ على الفور فى أثناء الليل مما جعل أفراد الجيش يظنون أن أمير المؤمنين عازم على الرحيل بكل قواته فتأهبوا واندفعوا وارتحلوا دون أن يعلم الخليفة بذلك وأصبح هو ومن معه من أفراد حاشيته فقط فى المعسكر (١٩٤) .

وإذا انتقلنا إلى المدونات المسيحية نجد أنها ترجع سبب الإنسحاب إلى كثرة النجدات التى وصلت المدينة المحاصرة بقيادة الملك الفونسو هنريكز وماسببته من مذابح كبيرة راح ضحيتها مايقرب من عشرين ألف مسلم . ويرى الباحث أن الخليفة قد انزعج كثيرا من وصول ملك ليون على رأس قواته لمساندة الفونسو هنريكز (١٩٥) فقرر تغيير خطة حصاره لشنترين قبل أن تتكاتف القوتان معا وتعمل على تحطيم قواته ، ولكن أدى ذلك التحرك إلى خلل فى الجيش بسبب ضخامة القوات الإسلامية التى يصعب التحكم فيها .

ويرى الباحث من خلال ما أشارت إليه المصادر المختلفة من عربيةومسيحية أن الخلل الذى أصاب صفوف الجيش الموحدى ومانتج عنه من الانسحاب من مدينة شنترين إنما مصدره المبررات التى وردت فى الروايات المختلفة وهذه المبررات جميعا هى التى دفعت الخليفة إلى الانسحاب والكف عن القتال ضمانا لسلامة قواته .

على أية حال عندما أقبل الصباح ووجد الخليفة أن معظم جيشه قد رحل ولم يكن حوله سوى الساقة أمر بضرب الطبول فاجتمع عدد قليل من الفلول الباقية ولكن أدركت القوات البرتغالية عندئذ ماحدث فى معسكر الموحدين فنادوا بالخروج من المدينة وهاجموا القوات المنسحبة بشدة حتى أدركوا فرقة الخليفة وأصابوه بجراح خطيرة فأمر الخليفة عندئذ بتفريق الجموع ورجوع كل جندى إلى قبيلته بعد تخريب المنطقة المحيطة بالمدينة ، ولم تمض سوى أيام قليلة حتى زسلم الروح فى ١٨ ربيع الآخر سنة ٥٨٠ هـ / ٢٩ يوليو سنة ١١٨٤ م (١٩٦) .

ويروى المراكشى فى كتابه المعجب رواية مقاربة لوفاة الخليفة تتضمن أن البرتغاليين عندما علموا بما حدث فى معسكر الموحدين خرجوا بخيول كثيرة وقاتلوا حتى بلغوا خيمة

أمير المؤمنين فاستطاعوا النفاذ إليه وقام أحدهم بطعنه تحت سرته ولكن تحامل على نفسه وعبر نهر التاجة جريحا ولم يمض على ذلك ثلاثة أيام حتى توفى متأثرا بجراحه (١٩٧) .

كيفما كان الأمر تعد هزيمة الموحدين على يد البرتغاليين من أكبر الكوارث التى أصابت المسلمين وقتئذ ، فعلى الرغم من كثرة عدد الجيش الموحدى إلا أن الضعف الذى انتاب الجيش يكمن فى سوء التخطيط وعدم التنظيم القيادى للمعركة . فكان الجيش الموحدى على حد تشبيه المؤرخين له أشبه بكتلة بشرية مفككة لايجمعها أية قيادة حازمة ولاهدف مشترك فانهارت لديه فكرة الجهاد التى خرج من أجلها ، وماترتب على ذلك من عدم استشارة الخليفة لقادته من ناحية وعصيان أوامره الصادرة دون دراسة (١٩٨) ، من ناحية أخرى . فضلا عن هذا كان الجيش يضم كل طوائف المغرب والأندلس وممثلا فيه كل عرق وبطن من بطون المسلمين فلم تكن بينهم وحدة واحدة ، مما أدى إلى صعوبة وضع حدود التسلسل القيادى والتنظيم الإدارى للجيش .

وعلى ذلك فكانت غزوة شنترين محاولة جادة لوقف خطر البرتغاليين وملكهم الفونسو هنريكز واسترداد بعض المكاسب التى أحرزتها تلك المملكة ضد المسلمين .

ولقد ترتب على فشل المسلمين فى هذه المعركة أن أثبتت مملكة البرتغال وجودها كمملكة مستقلة لها كيانها ومجدها فى المعارك التى خاضتها ضد المسلمين فى الأندلس مما سيكون لذلك أكبر الأثر على مستقبل مملكة البرتغال فى المراحل التالية .

وجدير بالذكر أن العلاقة بين الملك الفونسو هنريكز وأبى يعقوب يوسف كانت تمثل فترة توازن بين المسلمين ومملكة البرتغال أنهت بها تفوق مملكة البرتغال السابقة أى فترة الشغور (الانتقال) مابين المرابطين والموحدين والتى أحرزت فيها مملكة البرتغال أكبر مكاسبها . حقيقة أن مملكة البرتغال فى هذه الفترة مثلت تهديدا كبيرا للموحدين ، وكان لها نشاطها المكثف فى الأراضى الإسلامية ، ولكن معظمها كان بمثابة غارات مفاجئة ماتلبث أن تعود إلى أراضيها ، وإن كانت من خلال نشاط خيرالدو قد استولت على بعض المدن والقلاع ، إلا أن الموحدين سرعان ما استردوا معظمها مرة أخرى من الملك فرديناند الثانى الذى كان قد استولى عليها من خيرالدو عندما وقع فى أسره .

وفاة الملك الفونسو هنريكز

كانت وفاة الملك الفونسو هنريكز فى ٦ ديسمبر سنة ١١٨٥ م / رمضان ٥٨١ هـ

ودفن فى دير سانت كروس (سنت أقروج) فى مدينة قلمرية [١٩٩] وذلك بعد حكم دام أربعة وستين عاما .

ويشير المؤرخون إلى أن الملك الفونسو هنريكز عاصر الملوك المشهورين مثل هنرى الثانى لك انجلترا وفيليب أغسطس ملك فرنسا والإمبراطور فردريك بربا روسا ، إذ شهرته تفوقهم ، لأن حكمه بدأ فى حافة أوربا ، بدأ من لاشىء بالمقارنة إلى الموارد الكبيرة لمعاصرية المشهورين ، وكانت أعماله وماتركه أكثر قوة وبقاء من أى واحد منهم [٢٠٠] .

ولنشاطه ضد المسلمين واستعانته بالصليبيين وتشبعه بالروح الصليبية دفع أحد المؤرخين إلى القول بأنه أعظم ملك صليبى فى شبه الجزيرة الايبيرية .

ونتيجة لما قدمه لبرتغاليين خاصة والمسيحية عامة ، فأنهم كانوا ولاسيما رجال الدين يشيدون بذكر هذا الملك ، وكان رهبان دير الكوبازه الذى يرجع فضل تأسيسه [٢٠١] إليه يحتفلون حتى العصر الحديث بعيده برسوم خاصة احتفالهم بعيد قديس . ولكن البابوية لم تصدر بذلك قرارها بتقديسه بالرغم مما بذله يوحنا الثالث ملك البرتغال فى هذا الصدد [٢٠٢].

الهوامش :

١ - أشار المراكشى " فأما أحوال جزيرة الأندلس فانه لما كان آخر دولة أمير المسلمين أبى الحسن على بن يوسف ، اختلت أحوالها اختلالا مفرطا أوجب ذلك تخاذل المرابطين وتواكلهم وميلهم إلى الدعة وإيثارهم الراحة وطاعتهم النساء فهانوا على أهل الجزيرة ، وقلوا فى أعينهم ، واجترأ عليهم العدو ، واستولى النصارى على كثير من الثغور المجاورة لبلادهم . وكان أيضا من أسباب ماذكرناه من اختلالها ، وقيام ابن تومرت بسوس واشتغال على بن يوسف به عن مراعاة أحوال الجزيرة " .
المراكشى ، المعجب ، ص ٢٧٧ .
ويرى د . السيد عبد العزيز سالم أن رأى المراكشى فيه افتراء واضح وتجاهل لحقيقة الأوضاع السياسية فى الأندلس يبرره تحيز المراكشى للموحدين وميله إلى قضيتهم فقد ولد فى مراكش سنة ٥٨١ هـ بداية عهد أبى يوسف يعقوب .
المنصور. عبد العزيز سالم ، تاريخ المرية ، ص ٩١ - ٩٢ .
٢ - ابن أبى زرع ، ج ٢ ، ص ١٠٠ ؛
عنان ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٥٧ .

cronica Latina de los Reyes de castilla , pp . 6 - 7 .
٣ - ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج ١ ، ص ٤٥٦ .
عنان ، المرجع السابق ، ج ١ . ص ٢٤١ .

Gonzalez , La epoce de Alfonso VIII , pp . 87 - 89 .
٤ - ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٧ ، ص ١٢٦ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٢٨٤ ، عنان ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

Rodrigo , J . R . , Historia Arabum , Universided , 1974 , p . 71 .
٥ - يقول المقرى " فلما اشتغل لمتونة فى العدوة بحرب الموحدين اضطربت عليهم الأندلس وعادت الفرقة بعض الشىء "
نفخ الطيب ، ج ٤ ، ص ٦٦ .
ويشير عنان إلى أن عوامل الثورة الأندلسية تكمن منذ الفتح المرابطى ذاته ، حيث كانت الفكرة القومية تجيش بأذهان فريق كبير من أبناء الأمة الأندلسية على أساس اعتبارهم أجانب احتلوا بلادهم وحكموها.
عنان ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٠ .
٦ - ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ١٠٥ ، ابن أبى زرع ، نفس المصدر ج ٢ ، ص ١٠٠ ، اللحلل الموشية ، ص ١٠٩ .
٧ - زعيم الثورة هو أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسى ، وهناك رأى بأنه كان مولدا يرجع إلى أصل نصرانى . وقد نشأ فى أحواز شلب واشتغل فى بداية أمره مشرفا بشلب ثم اتبع طرائق الصوفية ، وتبحر فيها حتى غدا من شيوخها .
ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ١٩٧ ، عنان ، نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٧ . وكان فى أول أمره يدعى الولاية وكان صاحب حيل ورب شعوذه ، وكان مع هذا يتعاطى صفة البيان وينتحل طريق البلاغة " المراكشى ، المعجب ، ص ٢٨٠ - ١٨٢ ؛ وانظر أيضا ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٢٨٥ ؛ أشباخ ، نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٢١٥ - ٢١٦ ؛ عنان ، نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٣٠٧ .

عصمت عبد اللطيف دندش ، الأندلس فى نهاية المرابطين ومستهل الموحدين ص ٧٠ - ٧١

ولمزيد من التفاصيل أنظر الدراسة القيمة لسحر عبد العزيز ، ص ٥٢٦ - ٥٣٤ .

٨ - ألف ابن صاحب الصلاة كتابا عن المريدين واسمه " ثورة المريدين " يعالج فيه كل أحداث ثورة ابن قسى والذى اعتبر المصدر الأول للمؤرخين الأقدمين ، أنظر التحقيق فى تاريخ المن بالامامة لابن صاحب الصلاة ، دراسة وتحقيق عبد الهادى التازى ص ٢٩ - ٣٣ .

وقد استمدت الثورة فلسفتها من مؤلف ابن قسى نفسه وعنوانه " خلع النعلين واقتباس الأنوار من موضع القدمين " وهو مخطوط قام بدراسته كرسالة دكتوراه جودريش Goodrich وهو مصور ميكروفيلم بالمعهد الأسبانى العربى بمدريد ورقمه MF - 17 واسمه قد أتى من توضيحه فى المؤلف من أمر الله سبحانه وتعالى إلى سيدنا موسى عليه السلام " اخلع نعليك إنك بالواد المقدس " ، أنظر المخطوط ، ص ٦٥ . ويستطرد فيه بشكل صوفى كثيرا من الأمور الدينية التصوفية .

Goodrich , D . R . , Asufi Revolt in portugal Ibn Qasi and his kitab Khal al - Na - L ayne , columbia Universty , 1978 , p . 1 12 ; Codera , op . cit . , pp . 34 - 35 ; Jan Read , op . cit . , pp . 156 - 157 .

٩ - ابن الأبار نفس المصدر والجزء ص ١٩٩ ، المراكشى ، المعجب ص ٢٨١ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ ؛ عنان ، نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٣٠٩ - ٣١٠ أنظر أيضا :

Goodrich , op . cit . , p . 20 ; Jan Red , op . cit . , p . 157 .

Gonzalez , La epoca .. , p . 883 .

كان ابن حمدين قاضى قرطبة ، وبعد قيام ثورة ابن قسى نهض هو بثورته وتسمى بأمير المسلمين المنصور بالله ، النباهى ، تاريخ قضاة الأندلس ، بيروت سنة ١٩٦٧ ص ١٠٣ ؛ لضبى . بغية الملتمس ، مجريط سنة ١٨٨٤ م ، ص ٣٢ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٢٩١ .

١٠ - ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص ٣٠٥ ؛ ابن خلدون ، م ٦ ، ص ٤٨٦ ،

النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٢٢ ، ص ٤١٣ - ٤١٤ .

تعرضت مدونة الإمبراطور لتفاصيل كثيرة عن ثورة الأندلسيين أنظر :

وانظر أيضا الدراسة المستفيضة عن هذا الموضوع لسحر سالم ، ص ٥٢٦ - ٥٣٤ .

La cronica de Alfonso El Emperador , p . 313 , CF . also : Goodrich , op . cit . , Loc cit . Codera , op . cit . , p . 47 ; Callaghan , A History of Medieval Spain , p . 228 ; Herculano , op . cit . , pp . 61 - 63 .

١١ - CF . cronica dos Godos , p . 270 ; chronicon Lusitano , p . 415 ; also : Walter , op . cit . , p . 29 .

١٢ - Serrão , op . cit . , pp . 92 - 93 .

١٣ وصفها الإدريسى بقوله " على جبل عال كثير العلو جدا ولها من جهة القبلة حافة عظيمة ولاسور لها ، وبأسفلها ربض على طول النهر ، وشرب أهلها من مياه عيون ومن ماء النهر أيضا ولها بساتين كثيرة وفواكه عامة ومباقل وخير شامل "

الإدريسى ، صفقة المغرب وأرض السودان ، مصر والأندلس ، ص ١٨٦ وقد وصف ابن خاقان مناعتها بقوله " فأخبرنى أنه سايره إلى شنترين قاصية أرض الإسلام السامية الذرى والأعلام ، التى لايروعها صرف ولايقرعها طرف ، لأنها متوعرة المراقى معفرة للراقى ، متمكنة الرواسى والقواعد من ضفة نهر استدار بها استدارة القلب بالساعد ، قد أطلت على خمائلها أظلال الفردوس ، واقتطعت فى الجو أكثر من خصتها "

ابن خاقان ، قلائد العقبان ، ص ٤٣ ، ٤٤ ولمزيد من التفاصيل أنظر وصفها فى المؤلفات التالية ، الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١١٣ ؛ أبو الفدا تقويم البلدان ، ص ١٧٢ - ١٧٣ ، القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد ص ٥٤٢ ؛ ابن غالب ،فرحة الأنفس فى تاريخ الأندلس ، ص ٢٢ ؛ الاصطخرى المسالك والممالك ، ص ٣٥ ،

١٤ - كانت أولى المحاولات لفرويلا الأول ملك إشتورياس (٧٥٧ - ٧٦٨ م) والذى توغل بحملة إلى الجنوب واستولى على مدينة شنترين ووصل إلى مدينة لشبونة وقام بتخريب تلك المنطقة واتخذ من شنترين قاعدة لحملاته ضد المسلمين وظلت فى يده سنوات قليلة حتى سنة ٧٦٠ عندما استطاع عبد الرحمن الداخل استردادها .

Cesar , op . cit . , p . 8 .

والمحاولة الثانية فى سنة ١٠٩٣ عندما سلمها ابن الأفطس إلى الفونسو السادس نكاية فى المرابطين وزجل مساعدته ضدهم ولكن استردت مدينة شنترين سنة ١١١١ م / ٥٠٤ هـ على يد سير ابن أبى بكر أنظر تفاصيل ذلك فيما ذكناه فى الفصل الأول .

١٥ - أنظر ماسبق فى الفصل الثالث .

١٦ - أنظر ماسبق فى الفصل الثالث .

١٧ - Herculano , op . cit . , T 3 , p . 157 .

١٨ - Jan Read , op . cit . , pp 157 - 158 .

١٩ - أشارت إليه بعض المصادر والمراجع تحت اسم ميم مونيز Galvão , op . cit . , p . 97 . Mem Moniz بينما أطلقت عليه البعض الآخر اسم مندو مونيز Mendo Moniz ابن دون ايجز مونيز الذى كان وصيا على الملك الفونسو .

Duarte , op . cit . , p 56 ; Basto , op . cit . , pp . 82 - 83 .

إلا أنه يبدو أن هذه الأسماء لشخص واحد ويرجح أنه ابن ايجز مونيز . رغم أنه كان هناك رأيا يذكر بأنه من أصل مستعرب . Serrão , op . cit . , p . 94 .

٢ - Gavão , op cit , Loc cit . , Duarte , op . cit . , Loc . cit CF also Serrão , op cit , Loc cit Sephens op . cit . , p . 49 .

٢١ - Duate , op . cit . , Loc cit .

٢٢ - Silva , op . cit . pp . 60 - 61 ; CF . also : Serrão , op . cit . , p . 94 ; Stephens , op . cit . , p . 49 .

٢٣ - Silva , op . cit . p . 70 ; Brandão , op . cit . , pp . 163 - 164 ; CF . also : Herculano , op . cit . , T 3 , p . 70 .

٢٤ - كان أبو زكريا كما تشير المصادر والمؤلفات الأسبانية والبرتغالية من أعظم المحاربين المسلمين المشهورين فى منطقة بلتيا Belatha (غرب الأندلس) وسبق له أن أنزل هزيمة ساحقة بفرسان الداوية فى سورى Soure فى سنة ١١٤٤ م / ٥٣٨ هـ وان خصما قويا للملك الفونسو هنريكز .

Brandão , op . cit . , pp . 152 - 153 ; CF . also : Stephens , op . cit . , p . 49 .

وهناك أحد الآراء التى ترتبط بينه وبين الملك إسمار ، أنظر ماسبق .

٢٥ - Basto , op . cit . , pp .8 2 - 83 ; CF . also : Herculano , op . cit . T3 , pp . 71 - 72 .

٢٦ - Silva , op . cit . , pp . 72 - 73 ; Herculano , op . cit . , T 3 , p . 71 .

٢٧ - cronia dos Godos , pp . 270 - 271 ; Galvão , op . cit . , pp . 105 - 107 ; Brandão , op . cit . , pp . 163 - 164 ; CF . also : Herclano , op . cit . , T3 , p . 72 ; Serrão , op . cit . , p . 95 ; Suarez , op . cit . , p . 232 , Stephens , op . cit . , p . 49 ;

٢٨ - Galvão , op . cit . , p . 108 ; Brandão , op , cit . , p . 164 .

٢٩ - شهد ذلك العام سنة ١١٤٧ م شدة الصراعات والحروب . الأهلية بين المسلمين ، وفى نفس الوقت كان عام المكاسب للممالك المسيحية ، إذ استولت على مدن طرطوشة ولاردة والمرية وقد اشترك فى الأخيرة من خارج شبه الجزيرة جنوة وبيزا وفرنسا ، وجميع ملوك شبه الجزيرة ماعدا الملك الفونسو هنريكز الذى كان مشغولا بفتوحاته .

لمزيد من التفاصيل أنظر :

المراكشى ، المعجب ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ ، ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج ٤ ص ٣٤٦

La cronic de Alfonso VII , pp . 407 - 449 ; Moret y Aleson , op . cit ., p . 421 .

عبد العزيز سالم ، تارخ مدينة المرية ، ص ٩٤ ، أشباخ ، نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٢٣٣ - ٢٣٥ .

٣٠ - ابن الخطيب ، نفس المصدر السابق والصفحة ، السلاوى ، الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٠٥ .

٣١ - Serrão , op . cit . , p . 96 .

أشار الحميرى إلى حصن المعدن بقوله « ويسمى بذلك لأن عند هيجان البحر يقذف بالذهب التبر هناك ، فاذا كان الشتاء قصد إلى هذا الحصن أهل تلك البلاد فيجدون المعدن الذى به إلى انقضاء الشتاء ، وهو

من عجائب الأرض »
الحميرى ص ١٦ .
أما بلمالة فقد أوردها ابن عذارى قلمالة وأوردها الحميرى بلمالة ونميل إلى بلمالة لأن أصلها كلمة برتغالية - وقريبة من نطقها بالبرتغالية - وتقع بلمالة على الضفة الجنوبية لنهر التاجه إلى الشرق قليلا قبالة مدينة لشبونة وتعتبر إحدى القلاع المدافعة عن مدينة لشبونة وهى لايفصلها عنها سوى نهر التاجه
ابن عذارى ، نفس المصدر ، والجزء ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .
الحميرى ، ص ١٠٧ .
٣٢ - وقد لمسنا ذلك من خلال زيارتنا لمدينة لشبونة فى أكتوبر سنة ١٩٨٩م ، موقعها الفريد الحصين على منطقة مرتفعة وتحيط بها تحصينات طبيعية وقد أشار الإدريسى وهو معاصر لتلك الفترة إليها بقوله " مدينة لشبونة على شمال النهر المسمى تاجه وهو نهر طليطلة ، وسعته أمامها ستة أميال ويدخله المد والجذر كثيرا وهى مدينة حسنة ممتدة مع النهر ، ولها سور وقصبة منيعة وفى وسط المدينة حمات حارة فى الشتاء والصيف ولشبونة على نحر البحر المظلم وعلى ضفة النهر من جنوبه قباله مدينة لشبونة حصن المعدن ويسمى بذلك لأنه عند هيجان البحر يقذف هناك بالذهب والتبر . فاذا كان زمن الشتاء قصد إلى هذا الحصن أهل تلك البلاد فيجدون المعدن الذى به إلى انقضاء الشتاء وهو من عجائب الأرض ومن مدينة لشبونة كان خروج المغرورين فى ركوب بحر الظلمات " .
الإدريسى ، صفة المغرب ، ص ١٨٣ - ١٨٤ .
أما الحميرى فقد وصفها " أشبونة بلأندلس من كورباجة المختلطة وهى مدينة الاشبونة والأشبونة بغربى باجة وهى مدينة قديمة على سيف البحر تنكسر أمواجه فى سورها . واسمها قودية وسورها رائق البنيان بديع الشأن وبابها الغربى عقدت عليه حنايا ، فوق حنايا على عمد من رخام مثبتة على حجارة من رخام وهو أكبر أبوابها ولها باب غربى أيضا يعرف بباب الخوخة مشرف على سرح فسيح يشقه جدولا ماء يصبان فى البحر ، ولها باب قبلى يسمى باب البحر تدخل أمواج البحر فيه عند مده ، وترتفع فى سوره ثلاث قيم ، وباب شرقى يعرف بباب الحمة ، والحمة على مقربة منه ومن البحر دىماس ماء حار وماء بارد فاذا مد البحر واراهما وباب شرقى أيضا يعرف بباب المقبرة " .
الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٦ ، ولمزيد من التفاصيل عن جغرافية لشبونة أنظر القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٤٦٩ .أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٧٢ - ١٧٣ ، ياقوت الحميرى ، ج ٢ ، ص ١٩٥ .
٣٣ - يرجع تأسيس مدينة لشبونة إلى العصر اليونانى وارتبط تأسيسها ببعض الأساطير التى تروى أن مؤسسها كان قائد يونانى Ulysses ومنه أخذت المدينة اسمها Ulyssipo وحورت بعد ذلك إلى اسم Olisipo وكانت لها مركز متميز فى العصور التالية .

Benevides , op . cit . , pp . 88 - 89 ; Stephens , op . cit . , p . 51 .
ديورانت ، قصة الحضارة ، ج ٤ ، م ٤ ، ص ٢٥١ .

Livermore ; A New history of portugal , p . 17 ; Eppstein , op . cit . , p . 31 .

عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ١٠٩ .
ونتيجة لاهميتها الفائقة تعددت محاولات المسيحيين الاستيلاء عليها فكانت المحاولة الأولى عن طريق

الملك الفونسو الثانى (العفيف) ملك ليون فى عام ٧٩٢ م ظلت فى سيطرته حوالى عشرين عاما حتى استردها المسلمين .

المحاولة الثانية فكانت سنة ٨٥١ علي يد الملك اوردينو الأول ملك ليون وبقيت فى سلطته بضعة أشهر .

المحاولة الثالثة فكانت سنة ١٠٩٣ عندما سلمها ابن الأفطس للملك الفونسو السادس واسترجعت بعد فترة قليلة .

Benevides , op . cit . , Loc . cit , Stephenes , op . cit . , Loc . cit .

٣٤ - كان هذا الأسطول قد رسا فى ميناء جايا Gaia ولكن نتيجة لإحدى العواصف دخل بعد ذلك فى نهر الدويرة .

٣٥ - conica dos Godos , p . 269 ; chronicon Lusitano , pp . 411 - 412 ;

CF , also : Livermore , A new history of portugal , pp . 45 - 55 ; Lafuente , op . cit . , p . 354 ; Callaghan , op . cit . , 230 ; Herculano , op . cit . , pp . 45 - 46 .

٣٦ - cronica dos Godos , p . 270 ; Lafuente , op . cit ., p . 354 .

٣٧ - cronicon Lusitano , p . 413 ; CF . also : Manoel Ramos , op . cit . , p . 41 ; Jan Read , op . cit . , p 127 .

٣٨ - نظمت لك المجموعات فى كتائب صغيرة خصص قائد لكل ألف صليبى ، وكل سفينة كانت قد أصبحت كابرشية بها قسيس .

٣٩ - بالبحث فى سنتى المصادر والمراجع التى أطلعت عليها لم أجد تفاصيل تتعلق بهؤلاء القادة .

٤٠ - conquista de Lisboa ao Mouros 1147 , Lisboa , 1936 , pp . 38 - 39 .

CF . also : Herculano , op . cit . , T 3 p . 75 ; Livermore , A new history of portugal , p . 57 .

دون أحد الإنجليز المرافقين للحملة كل المعلومات المتعلقة بها وأرسلها إلى أحد اصدقائه فى انجلترا يشرح فيها تفاصيل الحملة ويعتبر هذا الخطاب المصدر المعاصر الدقيق لأحداث غزو لشبونة وقد إعتمد عليه كل المؤرخين المتأخرين عنه زمنيا الحديثين منهم فى تأريخهم لأحداث هذه الفترة الزمنية ولمزيد من التفاصيل أنظر الدراسة التحليلية ص من هذا البحث .

وقد اختلف بعض المؤرخين فى عدد السفن المشتركة فى الحملة فيقول جودين نقلا عن دودشان وروبيردى مونت سان ميشيل أن عدد البواخر الحربية كانت مائتين ولكها للفلندرز والألمان والإنجليز بينما يذكر اسنشيروا Acenheiro أن عدد السفن يتجاوز مائة وثمانين سفينة ، وقد أقلعت من الساحل الإنجليزى ١٢ ابريل سنة ١١٤٧ م ووصلت إلى شواطىء مدينة شنترة يوم ٢٨ من يونيو وكانت حينئذ تحت سيطرة المسلمين .

Codein , op . cit . , p . 2 .

ولكن نظرا لأن المؤرخ الصليبى كان معاصراً لرجال الحملة ومشتركا فيها فان معلوماته هى الأقرب إلى الحقيقة ..

٤١ - Galvão , op . cit . , pp . 110 - 111 ; Silva , op . cit . , . pp . 76 - 77 ;

Basto , op . cit , p . 92 ; Brandão , op . cit . p 167 .

٤٢ - وكما أن الصليبيين كانوا من أمم مختلفة فالأسقف ذكر خطبته باللغة اللاتينية والتى كانت تترجم إلى مختلف اللغات ..... Herculano , op . cit , Loc cit

٤٣ - Conquista de Lisboa , pp . 43 - 45 ; CF . also : Jan Read , op . cit . , p . 159 .

٤٤ - Conquista de Lisboa , pp . 63 - 64 ; CF . also : Livermore , A new history of potugal , pp . 58 - 59 ; Callaghan , op . cit . , pp . 230 - 231 . الواقع أن المصادر البرتغالية أشارت إلى عرض الملك الفونسو هنريكز ثمنا لمساعدته بشكل غامض حتى لاتضيع فكرة الكفاح الدينى (العامل الدينى) ، أما باقى التفاصيل فهى تستنبط من الأحداث وخاصة صراع الصليبيين مع بعضهم البعض على هذه المكاسب بينهم .

٤٥ - Livermore , op . cit . , Loc . cit ; Jan Read , op , cit . , p . 159 .

٤٦ - Conqista de Lisboa , p . 60 ; CF . also : Herculano , op . cit . , p . 78

٤٧ - Brandão , op . cit . , pp . 169 - 171 ; CF . lso : Herculano , op . , cit . , T3 , p . 82 ; Livermore , op . cit . Loc . cit ; Manoel , op . cit . , p . 57 ; Daniel , op . cit . , p . 87 .

٤٨ - Herculano , op . cit . , T3 p . 83 ; Livermore op . cit . , Loc . cit . Manoel , op . cit . p . 58 .

٤٩ - conquista de Lisboa , p . 80 . CF . also : Jan Read , op . cit . , p . 159 - 160 ; Herculano , op . cit . , pp . 83 - 84 .

٥٠ - conquista de Lisboa , p . 81 ; Livermore op . cit . , Loc . cit .

٥١ - conquista de Lisboa , pp . 84 - 86 ; CF . also : Herculano , op . cit . , T3 pp . 87- 88 . كانت الرسالة موجهة إلى حاكم يابرة أبو محمد سيدراى ومضمونها يدور حول طلب المساعدة بعد أن قتل عدد كبير من سكان المدينة ، وفى نفس الوقت يحثونه على مهاجمة القوات المحاصرة . ويرى الباحث أنه كان من الأجدر أن يبعث الرسالة مع مندوب واحد فقط وليس عشرة كما تذكر المدونة ولكنهم كانوا حاملين لرسائل عديدة ولجهات مختلفة وذهابهم مجتمعين يرجع أنه كان لتعاونهم فى حمل أحد الزوارق إلى ماء النهر .

٥٢ - conquista de Lisboa , p . 87 ; CF . also : Livermore , op . cit . , pp . 59 - 60 ; jan Read , op . cit . , p . 160 .

٥٣ - هذه هى رواية المؤرخ الصليبى ولكن ليس هناك اتفاق أو هدنة بينهما .

٥٤ - أبو محمد سيدارى بن وزير كان حاكما ليابرة ومن زعماء الغرب وله دور كبير فى ثورة ابن قسى ضد المرابطين ، أنظر ماسبق وسوف يكون له دور كبير فى الأحداث التالية .

٥٥ - conquista de Lisboa , pp . 87 - 88 .

٥٦ - conquista de Lisboa , pp . 89 - 90 ; CF . also : Livermore , op . cit . , pp . 59 - 60 .

٥٧ - Jan Read , op . cit . , p . 160 .

٥٨ - conquista de Lisboa , pp . 98 - 100 ; CF . also : Herculano , op . cit . , T3 , p . 94 ; Castro , op . cit . , pp . 308 - 309 ; Manoel , op . cit . , p . 60 .

٥٩ - conquista de Lisboa , pp . 100 - 101 ; CF . also : Castro , op . cit . , p . 309 , Manoel , op . cit . , p . 61- 62 .

٦٠ - Jan Read , op . cit . , pp . 160 - 161 ; Livermore , op . cit . pp . 60 - 61 ; Manoel op . cit . , pp 62 - 63 .

٦١ - يقصد بهذا الباب ، الباب الشرقى وهو المدعو باب الحمة ولمزيد من التفاصيل أنظر وصف الحميرى لها وأيضا أنظر :

Duarte , op . cit . , p . 72 ; Galvão , op . cit . , p . 113 .

٦٢ - Livermore , op . cit . Loc . cit .

٦٣ - Conquista de Lisboa , pp . 106 - 107 .

٦٤ - Duarte , op . cit . , p. 72 .

ولكن هناك إشارة من أحد المؤرخين بأن عدد سكان المدينة كان ٢٠٠ ألف ويرى الباحث أن عدد القتلى المذكور مبالغ Godin , op . cit . , p . 3 فيه فكيف يكون سكان المدينة ٢٠٠ ألف نسمة ويقتل نفس هذا العدد بينما يصل عدد الصليبيين ثلاثة عشر ألف بجانب البرتغاليين .

٦٥ - Cronica dos Godos , p . 270 chronicon Lusitano , p . 414 ; chron- icon conimbricense , p . 331 .

٦٦ - Conquista de Lisboa , p . 109 ; Atkinson op . cit . p .72 ; Livermore , op . cit . , p . 61 .

٦٧ - وصف الحميرى شنترة بقوله " من مدائن الاشبونة على مقربة من البحر ويغشها ضباب ذدائم ، وبينها والبحر قد ميل وهناك نهر ماؤه يصب فى البحر " .

الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ص ١١٢ - ١١٣ ، أنظر أيضا القزوينى نفس المصدر ص ٥٤٢ ، ياقوت الحموى ، نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٣٦٢ .

٦٨ - Galvão , op . cit . , p . 110 ; Silva , op . cit . , pp . 76 - 77 ; Brandão , op . cit . , p . 167 .

٦٩ - Cronica dos Godos , p . 271 ; Chronicon Lusitano , p . 414 ; Chron- icon conimbricense , p . 331 ; CF . also : Herculano , op . cit . , T3 p . 107 .

٧٠ - Duarte , op . cit . , p . 79 ; Galvão , op . cit . , p . 123 ; CF : also : Stephens , op . cit . , p . 53 .

٧١ - Galvão , op . cit . , p . 114 ; CF . also : Herculano , op . cit . , T 3 , p . 111 ; Suarez , op . cit . , p 232 , Nowel . op . cit . , p . 9 .

٧٢ - Stephens , op . cit . , p . 53 .

٧٣ - أشارت المصادر الإسلامية إلى الملك الفونسو هنريكز باسم صاحب قلمورية ، قلنبرية (قلنبيرة) وتسميه أيضا ابن الريق ، ابن الرنق ، ابن الرنك ، ابن الرند والأخيرة التى أشار أليها ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٣٩٢ .

٧٤ - ابن الأبار ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٢٨٩ ؛ عنان المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٣٠ راجع أيضا :

Goodrich , op . cit . , p . 21 ; Codera , op . cit . , pp . 50 - 51 .

٧٥ - أشباخ ، المرجع السابق ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

لم يشر أشباخ إلى المصدر الذى استقى منه تلك الرواية ولكننا نرى من مضمونها أنها مأخوذة من مصادر عربية ومع ذلك قد بحثنا كثيرا فى كل المصادر الأندلسية المعروفة لنا قدر الإمكان فلم نجد هذه الرواية .

٧٦ - ويضيف أشباخ أحداثا بعيدة عن الحقيقة بأن ملك البرتغال استجاب لنداء ابن قسى وتوجه بجيشه مخترقا أراضى باجة وماردة لإمداد ابن قسى بالمساعدة وأنه التقى فى مواقع عديدة مع المسلمين وأحرز النصر عليهم ثم عاد إلى بلاده حاملا الغنائم والتحف الثمينة .

أشباخ نفس المرجع والصفحة .

٧٧ - مدينة بغرب الأندلس ، تقع إلى الجنوب الشرقى من لشبونة وهى على نهر سادو ، (شطوير) على المحيط الأطلنطى ، الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس . ص ١٦٠ - ١٦١ ، عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٥ .

٧٨ - Cronica dos Godos , p . 271 .

٧٩ - Herculano , op . cit p . 113 ; Stephens , op . cit . , p . 54 . Manoel Ramos , op . cit . , p . 76 .

٨٠ - ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث - ميرندا ، ص ٣٠ ، عنان ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٤٠ - ٣٤١ .

٨١ - أبو محمد بن عبد الله بن أبى حفص أحد قواد الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على والذى استخدمه فى كثير من المهام الصعبة .

أنظر ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص ٢٩ - ٣٠ .

٨٢ - كان حصن أطرونكس قد هاجمه الملك إسمار فى عام ١١٤٠ م واستولى عليه وهدمه فى غروته ، فأعاد تأسيسه الملك الفونسو ومنحه مع كل الأراضى التى حوله إلى رهبان دير سانت كروس (شنت قروج) والذين حصنوه بالاشتراك مع جماعات الرهبان الفرسان - الاسبتارية والداوية - والذين شنوا غارات عديدة ضد المسلمين .

أنظر ماسبق .

٨٣ - ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ميرندا ، ص ٣١ .

٨٤ - نفس المصدر والجزء والصفحة .

عنان ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٤٤ - ٣٤٥ .

٨٥ - Siva , op . cit . , pp . 86 - 87 ; Brandão , op . cit . , p . 189 .

٨٦ - Brandão , op . cit . , p . 192 - 193 ; CF . also : Herculano , op . cit . ,

T3 , p . 113 ; Stephens , op . cit . , p . 54 ; Manoel Ramos , op . cit . , p . 79 .

شهدت سواحل البرتغال مرور العديد من السفن المتجهة إلى الشام محملة بالصليبيين ، وكثيرا ما استعانت بهم البرتغال فى مشاريعها ضد المسلمين .

٨٧ - Cronica dos Godoz , p . 271 ; Chronicon Lusitano , p . 415 , chronicon , conimbricense , p . 332 . , Recension breve continuee jusque , A . P . 109 ; Brandão , op . cit . , p . 193 ; CF . also : Herculano , op . cit . , pp . 114 - 115 ; Stephens , op . cit . , p . 54 ; Ballesteros , op . cit . , p . 386 ; Lozoya , op . cit . , p . 433 .

أشار ابن الأبار فى الحلة السيراء إلى أن الروم قد استولوا على مدينة قصر ابن أبى دانس سنة ١١٦٠م / ٥٥٥ هـ .

٨٨ - ابن عذارى ، البيان القسم الثالث ، ميرانده ، ص ٣٩ .

٨٩ - ابن صاحب الصلاة ، المسن بالامامة ص ١١٥ - ١٤٦ ؛ ابن عذارى ، البيان القسم الثالث ، ص ٣٩ ك عنان ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٥٣ - ٣٧٢ .

٩٠ - Stephens , p . cit . p . 55 .

٩١ - ابن صاحب الصلاة ، ص ١٤٧ - ١٧٢ .

٩٢ - ابن أبى زرع ، ج ٢ ، ص ١٦٣ - ١٦٤ السلاوى ، ج ٢ ، ص ١٢٦ .

ويضيف كتاب الحلل الموشية أن الجيش الذى قاده أبو محمد عبد الله بن أبى حفص يقدر عدده بثمانية عشر ألف مقاتل . الحلل الموشية ، ص ١٢٩ .

٩٣ - ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ميرندا ، ص ٤٦ .

٩٤ - باجة : بلد فى الجنوب تقع فى منتصف الطريق بين يابرة والفارو بينها وبين قرطبة مائة فرسخ وهى أقدم مدن الأندلس بنيانا وأولها اختطاطا واليها انتمى يولش القيصر وهو أول من سمى قيصر وهو الذى سماها باجة وتفسير باجة فى كلام العجم " الصلح " وحوز باجة وخطتها واسعة ولها معاقل موصوفة بالمتعة والحصانة الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ٣٦ ، أنظر أيضا ابن الكرديوس ، تاريخ الأندلس لابن الكردويس ووصفه لابن الشباط ص ١٤٦ .

كانت هذه المدينة قد خضعت لحكم الموحدين ، ٥٤٥ هـ / ١١٥٠ م إذ أعلن ابن وزير صاحب باجة ويابرة دخوله فى طاعة الموحدين وكذلك الحال بالنسبة لمحمد ابن على بن الحجام حاكم بطليوس فى نفس العام وهذا مايناقض رواية ابن أبى زرع الذى أشار بأن الموحدين قد استولوا على بطليوس وباجة ويابرة وحصن القصر فى ٥٥٦ / ١١٦١ م سحر عبد العزيز سالم ، التاريخ السياسى لبطليوس ، ص ٥٤٣ - ٥٤٤ ؛ عنان ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٣٠ ، أشباخ ، ج ١ ، ص ٦٠ أما عن رواية ابن أبى زرع أنظر ، ج ٢ ، ص ١٦٤ .

٩٥ - Cronica dos Godos , pp . 271 - 272 ; Chronicon Lusitano , p . 415 ; Chronicon conimbricense , p . 232 Duarte , op . cit . , p . 80 ; Brandão , op . cit . , p . 197 ; çf . also : Walter , op . cit . , p . 66 ; Ballesteros .

٩٦ - أشار ابن صاحب الصلاة بقوله " وقد كان النصارى أهل شنترين غدروا مدينة باجة ليلة السبت الثانى والعشرين من ذى الحجة الموافق أول ليلة دجنبر من عام سبعة وخمسين وخمس مائة ، سكنوها أربعة أشهر وثمانية أيام ثم هدموا أسوارها واقفروها " ابن صاحب الصلاة ، ص ٣٧٣ ، أنظر أيضا عنان ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٩٣ .

Herculan , op . cit . , T 3 , p . 122 .

٩٧ - ابن صاحب الصلاة ، ص ٢١٣ - ٢١٤ ابن أبى زرع ، ج ٢ ، ص ١٦٤ - ١٦٥ .

٩٨ - ابن صاحب الصلاة ، ص ٢١٨ ، عنان ، ج ١ ، ص ٣٩٣ ، أشباخ ج ٢ ، ص ١١ - ١٥ .

Huici , Historia politica , p . 232 .

٩٩ - أنظر علاقة الفونسو هنريكز بفرديناند الثانى ملك ليون من هذا البحث .

١٠٠ - ويشير إلى ذلك ابن صاحب الصلاة ص ٢٦٩ - ٢٧٠ بقوله :

" وبعثوا عند وصولهم أشبيلية منهم حملة مباركة نحو الخمس مائة فارس إلى مدينة بطليوس لحماية ضيعتها فيسر الله تعالى لهم غزو شرذمة ذميمة كبيرة من النصارى ، أهل شنترين أعادها الله وهزموهم وغنموهم وأستأصلوهم قتلا وسبيا فكان ذلك عنوان الفتح لما يذكر بعد فى هذه الغزوة " .

أنظر ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ميراندا ، ص ٦٣ .

١٠١ - يبدو أن هذه القلعة كان قد فقدها بعد استيلائه عليها عام ١١٤٨ م انظر ماسبق .

١٠٢ - Galvão , op . cit . , p . 127 ; Silva , op . cit . , p 21 ; Brandão , op . cit . , pp . 214 - 215 .

١٠٣ - أما عن أصل خيرالدوا سيمبافور (جرانده الجليقى) فقد أشار امريكو كاسترو بأنه كان أجنبيا وذلك عن طريق لقبه الذى أكثر قربا لفرنسا من البرتغال .

Castro , op . cit . p . 309 .

ولم تشر المدونات البرتغالية عما كان من أصل برتغالى أم أحد الفرسان الصليبيين الذين استقروا فى البرتغال ، وقد أفادتنا المصادر العربية بصورة واضحة عنه فأوضحت أن اسم (جرانده الجليقى) دون أن يعنى ذلك أنه جليقى إذ كانت المصادر الإسلامية تنظر إلى البرتغال على أنها جزء تابع لجليقية ، لأن صورة البرتغال كمملكة مستقلة لم تتضح لهم فى تلك الفترة خاصة وأن خريطة الممالك المسيحية كثيرا ما تتغير ، ولكننا نرجح بأنه كان صليبيا ممن بقوا فى البرتغال لإحراز المكاسب العديدة من وراء معاونة الملك الفونسو هنريكز .

وفى حديث ابن صاحب الصلاة عن خيرالدوا (جرانده الجليقى) يشير إلى مقولة المسعودى فى كتابه مروج الذهب وذكر أصناف الروم " أشد ماعلى أهل الأندلس من الأمم المحاربة لهم الجلالقة على أن الأفرنج حرب لهم غير أن الجلالقة أشد بأسا " . ص ٣٧٢ .

أما رواية المسعودى عن ذلك " أما الجلالقة أشد من الإفرنجة وأعظم منهم نكاية والرجل الواحد من الجلالقة يقاوم عدة من الإفرنجة " .

المسعودى ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ١ ، القاهرة ، سنة ١٩٦٦ ، ص ٣٧ .

١٠٤ - ابن صاحب الصلاة ، ص ٣٧٣ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ميرانده ، ص ٧٨ ؛ عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٦ - ٢٧ هناك بحث للويز عن خيرالدوا سيمبافور ويطلق عليه السيد البرتغالى تشبها بالسيد الكمبيادور .

Lopes , Cid portugues Geraldo Sempavor , R . P . H . Coimbra 1940 , pp . 94 - 95 ; Coelhe , potugal na España Arabe , Vol . 3 , Lisboa 1973 . pp . 277 - 278 .

ويرجع الفضل فى القاء الضوء عليه وعلى تكتيكاته الحربية لابن صاحب الصلاة .

١٠٥ - ويصفها الإدريسى " مدينة يبورة ، كبيرة عامرة بالناس ، ولها سور وقصبة ومسجد جامع وبها الخصب الكثير الذى لايوجد بغيرها وهى أحسن البلاد بقعة ، وأكثرها فائدة والتجارات إليها داخلة وخارجة ومن مدينة يبورة إلى مدينة بطليوس مرحلتان " .

الإدريسى ، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ص ٨١ .

وأنظر الحميرى ، ص ١٩٨ ، وأيضا مصدر الإدريسى وهو مخطوط بعنوان ، انس المهج وروض الفرج - مخطوط حكيم أوغلى ، ص ١٤٤ .

١٠٦ - cronica dos Godos , p . 272 ; chronicon Lusitano p . 415 ; chronicon conimbricense , p . 332 ; Duarte . op . cit . , p . 80 ; Brandão , op . cit . , pp . 220 - 221 .

١٠٧ - وصفها الحميرى بقوله " كالحصن المنيع لها أسوار وأسواق عامرة وخيل ورجال ، يقطعون أعمارهم فى الغارات على بلاد الروم ، والأغلب عليهم التلصص والخداع "

الحميرى ، ص ٦٣ .

١٠٨ - ابن صاحب الصلاة ، ص ٣٧٣ ؛ ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ص ٧٨ ، أنظر أيضا :

Huici , Hisoia politica , p . 232 ; Stephens , op . cit . , pp . 55 - 56 ; Lomax , op . cit . , p . 14 ; Callaghan , op . cit , p . 237 ; Herculano , p . cit . , p . 125 .

١٠٩ - عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧ .

١١٠ - كان السيد الكمبيادور معاصرا للملك الفونسو السادس وقضى فترة تابعا له ، ثم سعى إلى تحقيق مكاسب شخصية له وكان يعمل دائما لحسابه الشخصى ولمن يدفع له أكثر حتى ساءت علاقته بالملك الفونسو السادس . وقد ألف رامون منديث بيدال كتابا عن تاريخ أسبانيا فى عهد السيد الكمبيادور وتناول فيه هذه الشخصية بالدراسة والتحليل Pidal , España del cid

وللمخص عن حياته أنظر : أشباخ ، ج ١ ، ص ١١١ - ١١٧ .

١١١ - ابن صاحب الصلاة ص ٣٧٣ - ٣٧٤ ، ابن عذارى ، اقسم الثالث ص ٧ - ٧٩

ابن خلدون ، م ٦ ، ص ٤٩٩ .

Cronca dos Godos , p . 272 ; Chonicon Lusitano , p . 425 ; Chronicon conimbricense , p . 332 ; Brandão . op . cit . , p . 222 ; CF . aso : Huici , Historia politca ... , p . 238 ; Ganzalez , Reconquista y Repolacion , p . 182 ; Coelo , op . cit . , p . 278 ; Ballesteros , op . cit . , p . 386 .

١١٢ - ابن مردنيش يسيطر على شرق الأندلس ورفض الدخول فى طاعة الموحدين وفى شعبان سنة

٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م اشتبك الموحدين مع جيوشه فطلب عندئذ الموحدين نجدات من الخليفة فى مراكش فارسل أخاه أبا حفص والذى جمع الموحدين فى الأندلس لقتال ابن مردنيش ونجحوا فى تحقيق بعض الانتصارات عليهم والاستيلاء على عدد من المدن التابعة لابن مردنيش مما دفع ابن مردنيش إلى جمع جيش ضخم والتقى مع الموحدين فى فحص الجلاب ولكنه انهزم . ابن صاحب الصلاة ، ص ٢٧٠ - ٢٧٥ ، ص ٣٠٧ - ٣٠٩ ابن عذارى البيان ، القسم الثالث ، ميرانده ، ص ٦٣ - ٦٨ ؛ السلاوى ، ج ٢ ، ص ١٣٢ ؛ عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٤ - ١٩ .

Huici , Historia Politica , pp . 230 - 231 .

١١٣ - طلياطة : بينها وبين أشبيلية ، عشرون ميلا ، وتقع غرب إشبيلية على مقربة من طريانه وفى الجنوب الغربى من لبلة ، الحميرى ص ١٢٨ - ١٢٩ .

١١٤ - ابن صاحب الصلاة ، ص ٢٩٥ - ٢٩٦ ؛ ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص ٦٧ - ٦٨

١١٥ - هى مدينة كبيرة بالأندلس قريبة من غرناطة تقع على ضفة أحد الأنهار المنحدرة من جبل شيلر . والموجود فى شرق المدينة وتمتاز بكثرة الفواكه والزيتون والقطن الحميرى ص ١٩٢ .

١١٦ - رنده " بالأندلس من تاكرنا وهى مدينة قديمة بها أنهار كثيرة وهى على نهر ينسب إليها واجلب الماء إليها من قرية بشرقيها ومن جبل طلويرة بغربيها " الحميرى ص ٧٩ .

١١٧ - ابن صاحب الصلاة ، ص ٣٥٦ - ٣٥٩ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ميرانده ، ص ٧٥ - ٧٦ .

١١٨ - بطليوس ، فى الأندلس من إقليم مارده بينهما أربعون ميلا وسورها مبنى بالتراب وهو اليوم مبنى بالكلس والجندل وبنى سنة ٤٢١ هـ وهى مدينة جليلة فى بسيط من الأرض ولها ربض كبير أكبر من المدينة فى شرقيها فخلا بالفتين وهى على ضفة نهرها الكبير المسمى الغور (نهر وادى يانه) لأنه يكون موضعا يحمل السفن ثم يفور تحت الأرض حتى لاتوجد منه قطرة وينتهى جريه إلى حصنه مارتلة ، ويصب قريبا من جزيرة شلطبش ومن بطليوس إلى إشبيلية ستة أيام ومنها إلى قرطبة ستة مراحل " . الحميرى ، ص ٤٦ .

ولمزيد من التفاصيل عن هذه المدينة أنظر أيضا الإدريسى ، انس المهج وروض الفرج مخطوط حكيم أوغلى ص ١٤٤ ؛ أبو الفدا ، تقويم البلدان ص ١٧٢ - ١٧٣ ياقوت الحموى ، ج ١ ، ص ٤٧٧ ، البكرى ، جغرافية الأندلس وأوربا ص ١٢١ - ١٢٣ .

١١٩ - كانت هناك محاولات سابقة لألفونسو هنريكز للاستيلاء عليها ويوضح ذلك أحد النقوش المسجل على شاهد قبر الفقيه أبى القاسم خلف ، الذى استشهد بشرقى جامع بطليوس على أيدى المسيحيين عندما هاجم العدو مدينة بطليوس فجأة بتاريخ الأول من ربيع الآخر سنة ٥٥٦ هـ . ٦ إبريل ١١٦١ م والوجه من الرخام (٥١ × ٣٢ سم) ، عثر عليها فى مدينة بطليوس عام ١٨٧٧ م وبها النص التالى « بسملة كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام هذا قبر الشيخ الفقيه أبى القاسم خلف بن حسين بن فرحون البكرى نور الله ضريحه وقدس روحه واستشهد بشرقى جامع بطليوس عين غدر العدو لها فى صبيحة يوم الخميس أول يوم من ربيع الآخر عام ستة وخمسين وخمسمائة » . سحر عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص ٥٤٧ ، والواقع أن الدكتورة سحر قد استنبطت أن المسيحيين هم البرتغاليون وذلك أن تلك المنطقة كانت مجالا لنشاط البرتغاليين .

١٢٠ - يشير ابن صاحب الصلاة بقوله " حدثنى أبو محمد سيدارى بن وزير قال : كان السبب فى تعجيل حركة الشيخ المرحوم أبى حفص إلى الأندلس بالعسكر المبارك من حضرة مراكش وصول الخبر

بغدر اللعين جرانده الجليقى ببطليوس وتملك ابن الرنك الغادر صاحب قلمرية لها . حصر الموحدين الذين فيها قصبتها مع حافظهم أبى على عمر بن تيمصلت وذلك فى شهر رجب الفرد من عام أربعة وستين وخمسمائة المؤرخ به " . ابن صاحب الصلاة ص ٣٧٥ - ٣٧٦ .

ولمزيد من التفاصيل أنظر ابن عذارى ، البيان ، اقسم الثالث ، ص ٧٩ - ٨٠ ، لسلاوى ، ج ٢ ، ص ١٣٣ ، ابن خلدون ، م ٦ ، ص ٤٩٩ .

١٢١ - Cronica dos Godos , p . 272 ; Chronicon Lusitano , p . 415 ; Recension breve Continuee Jusque , A . P . , p . 110 ; Duarte , op . cit . , p . 80 ; Brandão , op . cit . , p . 22 .

١٢٢ - Luca , Chronicon Mundi , p . 107 ; Silva , op . cit . , p . 98 , CF . also : Huici , Historia politica .. , p . 237 ; Lopes , cid portugues , p . 93 ; Jan Read , op . cit . , p 161 ; Lomax , op . cit . , p . 149 ; Coelho , op . cit ., pp . 280 - 281 . ; Gonzalez La epoca de Alfonso VIII , p . 230 .

١٢٣ - سحر عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص ٥٥٩ - ٥٦٠ .

١٢٤ - Documentos , N 6 , Galiendo , Tuy en la baja Edad Media ; CF . also : Gonzalez , Regesta , pp . 78 - 79 .

١٢٥ - ابن صاحب الصلاة ، ص ٣٧٥ - ٣٧٦ ؛ ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ميرانده ، ص ٧٩ - ٨٠ ، أنظر أيضا عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ض ٣٦ .

أشباخ ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٩ .

Huici , Historia politica , p . 236 .

١٢٦ - راجع ماسبق ، فى هذا البحث .

١٢٧ - هناك رواية مسيحية تقول بأن الملك الليونى وصل إلى بطليرس بناء على رسول مبعوث من حاكمها يطلب منه النجدة مقابل الخضوع الإقطاعى له . Gonzalez , Regesta , p . 80 .

١٢٨ - ابن صاحب الصلاة ، ص ٣٨٠ - ٣٨١ ، ابن عذارى ، القسم الثالث ، ص ٨٠ .

Rodrigo , Historia de Rebus Hisaniae , p . 165 ; Luca , Chronicon Mundi , p . 107 ; Duarte , op . cit . , pp . 85 - 86 ; Galvão , op . cit . , p . 131 ; Alfonso de Torres , op . cit . , p . 68 .

عنان . المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٧ - ٣٨ .

١٢٩ - ابن صاحب الصلاة ، ص ٣٨١ ؛ ابن عذارى ، القسم الثالث ، ص ٨٠ ، ابن خلدون ، م ٦ ، ص ٤٩٩ ، عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٨ .

Huici , Historia politica , pp . 236 - 237 ; Coelho , op . cit . , pp . 280 - 281 ; Lomax , op . cit . , p . 149 - 150 , Callaghan , op . cit . , p 283 .

١٣٠ - Rodrigo , Historia de los hechos de España , p . 292 ; Cronica Latina de los Reyes de Castilla p . 11 ; primrea cronica general de España p

. 675 ; Duarte op . cit . p . 86 ; Alfonso de Torres , op . cit . , pp . 68 - 69 .

١٣١ - ابن صاحب الصلاة ، ص ٣٨٢ - ٣٨٣ ؛ ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص ٨٠ - ٨١ ، عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٨ - ٣٩ .

١٣٢ - تشير المدونات المسيحية بأن المسلمين قد تسلموا مدينة بطليوس من الملك فرديناند الثانى على شرط دفعهم الجزية والخضوع الإقطاعى له ، وأن يلتزموا بأعادة المدينة إليه عند الطلب ، ولكنهم دروا به بعد ذلك وسلموها إلى أمير المؤمنين .

Alfonso de Torres , op . cit . , p . 69 . - ١٣٣

١٣٤ - ابن صاحب الصلاة ص ٣٩٢ ؛ ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ميرانده ، ص ٨٣ ؛ عنان ، المرجع ، ج٢ ، ص ٤٠ - ٤١ .

Huici , Historia politica , p . 239 - 240 .

١٣٥ - ابن صاحب الصلاة ص ٣٩٢ ؛ ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص ٨٣ ؛ عنان ، المرجع ، ج٢ ، ص ٤٠ - ٤١ .

Huici , Historia politica , p . 240 .

١٣٦ - ابن صاحب الصلاة ص ٣٩٧ - ٣٩٨ ؛ ابن عذارى ، البيان ، القسم ، ميرانده ، ص ٨٤ .

Huici , Historia politica , p . 241 . ; Gonzalez , Regesta , p . 6 .

١٣٧ - ابن صاحب الصلاة ص ٣٩٩ ؛ ابن عذارى ، البيان ، القسم ، ميرانده ، ص ٨٥ ؛ السلاوى ، الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣٣ .

Huici , Historia politica , p . 241 ; Herculano , op . cit . , p . 136 ; Coelho , op . cit . , p . 281 .

عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٤ - ٤٥ .

١٣٨ - كان ابن وزير وابو العلا بن عزون قد قاما بالترجمة بين الموحدين والملك فرديناند الثانى وأيضا كان لهم الدور الكبير فى سياسة الموحدين آنذاك فى غرب الأندلس لخبرتهم وحنكتهم وهذا ماسوف يتضح في الحوادث التالية .

١٣٩ - ابن صاحب الصلاة ، ص ٤٠١ ، ابن عذارى ، القسم الثالث ، ص ٨٥ - ٨٦ ، السلاوى ، ج ٢ ، ص ١٣٣ ؛ عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٥ .

Huici , Historia politica , p . 241 ; Lopes , cid portugues , p . 97 ; Gonzalez , Regesta , p . 88 .

١٤٠ - نفس المصادر والمراجع السابقة ونفس الصفحات .

١٤١ - ابن صاحب الصلاة ، ص ٤٦٢ - ٤٦٣ ، عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٩ - ٧٠ .

Huici ,Los Almohades em portugal , Separta dos Anals II , Seire Vo1 . 5 , Academia portuguesa da hitoria , Lisboa , 1954 ; p . 18 ; Lopes . cid

porugues , p . 99 .

ولمزيد من التفاصيل أنظر سحر سالم ، ص ٥٥٠ - ٥٦٠ .

١٤٢ - ابن صاحب الصلاة ص ٤٩٢ - ٤٩٨ ؛ السلاوى الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣٤ - ١٣٥ ، ابن خلكان وفيات الأعيان ، ج ٧ ، ص ١٣٥ ؛ عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٧٤ .

Callaghan , op . cit . , p . 239 ; M . Antuño , p . M . , Campañas de los Almohades en España , El Escorial , 1935 , p . 7 .

١٤٣ - لمزيد من التفاصيل عن أحوال باجة راجع ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ميرانده ص ١٠١ - ١٠٢ ، عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٨٧ .

١٤٤ - ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص ١٠٠ - ١٠٣ ، عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٨٦ - ٨٧ .

ولمزيد من التفاصيل أنظر سحر سالم : ص ٥٥٢ - ٥٦٥ .

Huici , Los Almohades , pp . 18 - 19 ; Livermore , portugal , p . 266 .

١٤٥ - نفس المصادر العربية السابقة أنظر أيضا :

Huici , Historia politica , p . 261 ; Huici , Los Almohades , pp . 18 - 19 .

الواقع أن رواية حصار باجة فى سنة ١١٧٢ م تكاد تتشابه فى أحداثها مع أحداث حصارها فى عام ١١٦٢ م وعلى الرغم من أن الرواية الأولى ذكرها ابن عذارى والثانية ذكرها ابن صاحب الصلاة ومعه المدونات البرتغالية إلا أن الرواية الأولى (١١٧٢ م) ، مؤكدة ترتب عليها أحداث تاريخية تالية مرتبطة بها كل الارتباط من أحداث تعمير مدينة باجة وتغيير ولاتها ولمزيد من التفاصيل . انظر ابن عذارى نفس المصدر والجزء والصفحة .

١٤٦ - ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

Huici , Los Almohades , p . 23 .

١٤٧ - انظر ماسبق ، عن حملة المؤن الأولى .

١٤٨ - ابن صاحب الصلاة ، ص ٥٢٥ ، عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٨٩ .

M . Antuño , op . cit . , p . 59 .

١٤٩ - ابن صاحب الصلاة ، ص ٥٢٦ - ٥٢٧ ؛ عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٨٩ - ٩٠ ، راجع أيضا :

Huici Los Almohades , p . 22 ; M . Antuño , op . cit . , pp . 59 - 60 .

١٥٠ - ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ميرنده ، ص ١٠٣ .

١٥١ - يشير البيذق إلى خيرالدو بلقب كرندة .

١٥٢ - البيذق ، أخبار المهدى بن تومرت ، تحقيق ليفى برفنسال ، باريس ١٩٢٨ م ، ص ١٢٧ ؛ عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٩٠ .

١٥٣ - ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص ١٠٣ ، عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٩٠ . أنظر أيضا :

cronica Latina de los Reyes de castilla , p . 11 .

١٥٤ - Huici , Los Almohades , pp . 22 - 23 ; Lopes , cid portugues , p . 101 - 102 ; coelho , op . cit . , p . 289 - 290 ; Livermore , A new history of portugal , p . 64 .

ولمعرفة نشاطه بعد هذا التاريخ ، أنظر ماسبق .

١٥٥ - ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص ١٠٧ - ١٠٨ ؛ عنان المرجع السابق ج ٢ ، ص٩٧ - ٩٨ .

Huici , Los Almohades , pp . 23 - 24 .

١٥٦ - cronica dos Goos , p . 272 ; Chronicon Lusitano , p . 416 ; chron-icon conimricese , p . 334 .

١٥٧ - Duarte , op . cit . , pp . 82 - 90 ; Galvão , op . cit . , pp . 142 - 152. Silva , op . cit . , p . 107 ; Brandão , Mon .. Lus . , pp . 250 - 253 ; CF . also : Huici , Los Almohades , p . 25 ; Stephens , op . cit . , p . 57 ; Bal-lesteros , op . cit p . 386 ; Suarez , op . cit . p . 25 .

١٥٨ - كان لعجز ساق الملك الفونسو هنريكز بعد حصاره لبطليوس أن عمد ابنه سانشو كفارس فى ١٥ أغسطس سنة ١١٧٠ م / ذى الحجة سنة ٥٦٥ هـ وأصبح قائدا لجيوش البرتغال .

Herculano , op . cit . , T 3 , p . 141 .

١٥٩ - cronica dos Godos , p . 272 ; Chronicon Lusitano , p . 416 ; Brandão , Mon . Lus ... , p . 253 .

١٦٠ - cronica dos Godos , p . 272 ; Chronicon Lusitano , p . 416 ; Brandão , Mon . Lus ... , pp . 255 - 256 .

ويؤيد ابن عذارى تلك الحملات الموحدية بقوله " كثر طلب العدو ابن الرنك فى البر والبحر فدوخ بعض القرى فى الشرف "

ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص ١١٢ -١١٣ .

١٦١ - ابن صاحب الصلاة ، ص ٢١٣ - ٢١٤ ؛ ابن أبى زرع ، ج ٢ ، ص ١٦٤ - ١٦٥ .

١٦٢ - ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص ١١٣ ؛ السلاوى ، ج ٢ ، ص ١٣٦ ؛ ابن خلدون ، م٦ ، ص ٥٠١ أنظر أيضا عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٩٩ - ١٠١ .

Huici , Los Almohades , p . 25 - 26 ; Hrculano , op . cit . , p . 145 .

١٦٣ - يشير عبد الله عنان فى كتابه عن عصر المرابطين والموحدين ج ٢ ص ١٠١ أن هذه المعلومة بكاملها مأخوذة من ابن عذارى ولم يشر إلى أى مصدر أو مرجع آخر ولكن تضمن نص كلمات ابن عذارى على " وفى هذه السنة وهى ست وسبعون وخمسمائة أسر غانم بن مردنيش قائد الأسطول بسبتة وأخوة أبو العلى وجملة من أصحابه اسشهد باقى أخوانه وجماعة من المسلمين رحمهم الله تعالى واحتوى النصارى على كثير من الفظائع وعلى من كان فيها من المسلمين وانصرفوا إلى أشبونة وذلك فى منتصف المحرم " .

ابن عذارى ، البيان ، القسم الثانى ، ص ١١٦

١٦٤ - Duarte , op cit , p 91 , Galvão , op cit . , pp 155 - 156 ; Sliva , op . cit . , pp . 128 - 129 ; Brandão , op . cit . , p . 256 ; basto , op . cit . pp . 125 - 126 . CF . also : Huici Los Almohades , pp . 26 - 27 .

١٦٥ - وقع ابن عذارى فى تناقض تام فيما يتعلق بتاريخ إطلاق سراح غانم بن مردنيش فيشير فى إحدى رواياته أنه عندما أسر فى الحملة على قلعة بورتودى موسى سنة ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م كتب من سجنه إلى الخليفة يلتمس منه الغوث والتدخل لإطلاق سراحه ، فعهد الخليفة إلى أخيه هلال بن مردنيش بالنظر فى فداء أخيه فقام على الفور بجمع المال اللازم وبعث به إلى أشبيلية فحمل إلى البرتغال وأفرج عن غانم وأخيه وبقية أصحابه .

ابن عذارى البيان ، القسم الثالث ، ميراده ، ص ١١٦ .

بينما يشير فى رواية أخرى ضمن أحداث عام ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م أن الأسطول الموحدى بقيادة عبد الله ابن جامع قد انتصر على الأسطول البرتغالى عام ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م ، وعاد إلى المغرب يحمل عددا كبيرا من الأسرى والغنائم ، فأمر الخليفة بتخصيص بعض الأسرى لافتداء غانم بن مردنيش وأصحابه وأمر بعدام الباقين ، وهذا معناه أن غانم لم يطلق سراحه عام ١١٨٠ طبقا للرواية الأولى .

نفس المصدر السابق ص ١١٧ - ١١٨ .

ويرى الباحث أن الرواية الثانية هى الأدق لأنه لو كان قد أفرج عن غانم وأخيه كما ورد فى الرواية الأولى فمن المنطقى أن يخرج بالحملة فى العام التالى . ويبدو أن جمع المال فى الرواية الأولى قد حدثت له أمور عاقت توصيل المال لسلطات البرتغال وإطلاق سراح غانم وصحبه .

١٦٦ - Duarte , op . cit . , Loc . cit . , Galvão , op . cit . p . 157 . 159 ; Sil- va , op . cit . , Loc . cit ; Basto , op . cit . , p . 127 ; Brandão ; op . cit . , p . 258 .

١٦٧ - ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص ١١٧ - ١١٨ ؛ ابن خلدون ، م ٦ ، ص ٥٠٣ .

Galvão , op . cit . , p . 159 ; Silva , op . cit . , p . 129 ; Brandão , op . cit . p . 149 .

١٦٨ - ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص ١١٦ ، أنظر أيضا : عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٠١ .

١٦٩ - ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص ١١٧ ، ابن خلدون ، ٦ ، ص ٥٠٣ ، أنظر أيضا : عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٠١ . Huici , Los Almohades pp . 27 - 28 .

١٧٠ - ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص ١١٨ ، عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٠١ - ١٠٢ .

Huici , Los Almohades , p . 28 ; Suarez , op . cit . , p . 252 .

١٧١ - وهى بالأسبانية سان لوكار Sanlucar

١٧٢ - القصر ، مدينة بالأندلس بينها وبين شلب أربعة مراحل : وهى مدينة حسنة متوسطة على ضفة نهر كبير ، وهو نهر تصعد فيه السفن ، وبين القصر والبحر عشرون ميلا ، الحميرى ، ص ١٦١ .

١٧٣ - ابن عذارى ، البيان ، القسم لثالث ، ص ١١٨ ، عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .

Huici , Los Almhades , p . 28 .

١٧٤ - ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص ١٣٠ ، الحلل الموشية ، ص ١٣٢ ، عنان ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١١٤ - ١١٥ .

١٧٥ - ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص ١٣٢ - ١٣٣ ؛ المراكش ، المعجب ، ص ٣٣٠ ؛ ابن أبى زرع ، ج ٢ ص ١٩٠ - ١٩١ ؛ عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١١٦ - ١١٧ .

Huici , Los Almohades , pp . 29 - 30 .

١٧٦ - corinca Gabos , p . 272 , Chronicon Luistno , p . 416 .

١٧٧ - أشباخ ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٧٢ .

Huici , Los Almohades , pp . 29 - 30 .

١٧٨ - الحميرى ، المصدر السابق ، ص ١١٤ .

١٧٩ - corinca dos Godos , pp . 272 - 273 ; Chronicon Lusitano , pp . 416 - 417 ; Chronicon conimbricense p . 333 .

١٨٠ - Duarte , op . cit . , pp . 92 - 93 ; Galvão , op . cit . , pp . 160 - 161 ; Silva , op . cit . , pp . 132 - 133 ; Basto op . cit . , pp . 129 - 130 ; Brandão , op . cit . , pp . 261 - 262 .

١٨١ - ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص ١٣٣ ويضع ابن أبى زرع وصولهم إلى السابع من ربيع الأول أنظر ، ج ٢ ، ص ١٩١ ومعه السلاوى ، ج ٢ ص ١٣٨ ، وجدير بالذكر أن إحدى روايات المدونات المتأخرة قد اشارت إلى تفاصيل لحصار مدينة شنترين ووضعها فى حوادث عام ١١٧١ م / ٥٦٧ هـ ثم ذكرت نفس تفاصيل الحصار فى عام ١١٨٤ م / ٥٨٠ هـ ولكن الباحث يرفض التاريخ المدون لهذه الحادثة ى عام (١١٧١ م / ٥٦٧ هـ) لأن المصادر الإسلامية والمدونات الأولية لم تشر إليها ، من ناحية فضلا عن صعوبة حصار المسلمين لشنترين فى ذلك الوقت من ناحية أخرى ، أنظر حصار (١١٧١ م / ٥٦٧ هـ) لشنترين فى المؤلفات التالية :

Duarte , op . cit . , p . 87 ; Galvão , op . cit . pp . 136 - 137 ; Silva , op . cit . , pp . 99 - 100 ; Brandão , op . cit . p . 241 ; CF . also : Encylopedia Americana , pp . 548 ; Stephens . op . cit . , p . 57 ; Herculano , op . cit , p . 137 .

أشباخ ، المرجع السابق ، ج ٢ ص ٣٠ ، ٣١ ، ٦٩ .

١٨٢ - الحميرى ، ص ١١٤ .

١٨٣ - ابن أبى زرع ، ج ٢ ، ص ١٩١ ؛ عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٠ .

١٨٤ - ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ص ١٣٣ - ١٣٤ ، عنان ، المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة .

١٨٥ - أنظر ماسبق ، فى هذا البحث .

١٨٦ -; Duarte , op . cit . , pp . 92 - 93 ; Galvão , op . cit . , pp . 161 - 162

Silva , op . cit . , pp . 132 - 133 ; Brandão , op . cit . , pp . 262 - 263 .

١٨٧ - ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص ١٣٣ - ١٣٤ ،

عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٢ .

١٨٨ - Huici , Los Almohades , p . 32 ; Gonzalez , Regesta , p . 148 .

Duarte p . cit . , op . 93 ; Galvão , op . cit . Loc . cit . ; Silva op . cit Loc . cit . Brandão , op . cit . , pp . 262 - 263 .

أضيفت أخبار عديدة على تفاصيل هذه المعركة أخذت شكلا أسطوريا فهى تصور الملك الفونسو هنريكز أتى محمولا فى محفة من قلمرية على رأس الإمدادات ، مما مكن ابنه سانشو من اكتساب النصر كما أخذت تلصق به المعجزات .

Stephens , op . cit . , p . 58 .

١٨٩ - Huici , Los Almohades , pp . 36 - 37 .

١٩٠ - المراكش ، المعجب ، ص ٣٣٠ - ٣٣١ .

١٩١ - ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص ١٣٤ - ١٣٦ ، عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٢ - ١٢٣ . Huici , Los Almohades , pp . 32 - 33 .

١٩٢ - المراكش ، المعجب ص ٣٣١ - ٣٣٤ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٧ ، ص ١٣٥ - ١٣٦ ، عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .

Huici . Los Almohades , p . 34 .

١٩٣ - ويبدو أن سبب أمر الخليفة لابنه بالتوجه إلى لشبونة كان لمسائلة الأسطول الموحدى الذى هاجم مدينة لشبونة وحاصرها عشرين يوما دون جدوى لعدم وجود حصار برى على المدينة .

الحميرى ، المصدر السابق ، ص ١١٤ .

Huici . Los Almohades , p . 37 .

١٩٤ - ابن أبى زرع ، ج ٢ ، ص ١٩١ ؛ السلاوى ، ج ٢ ، ص ١٣٨ ،

عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٤ - ١٢٥

Huici . Los Almohades , pp . 34- 35 .

١٩٥ - Rodeigo , Historia de los hechos de España , p , 293 . , Primera Cronica general de España , p . 676 ; Duarte , op . cit . , p . 87 . CF . also : Gonzalez , Regesta , pp . 148 - 149 .

١٩٦ - ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص ١٣٨ - ١٣٩ ، عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٧ .

١٩٧ - المراكشى ، المعجب ، ص ٣٣٢ ، عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ - ص ١٢٧ - ١٢٨ ، وقد أضاف ابن أبى زرع تفاصيل كثيرة لمقتل الخليفة فى مجملها أن البرتغاليين عندما وجدوا خيمة أمير المؤمنين ورحيل جيشه صاحوا " الراى - الراى " وتعنى الملك واقتحموا خيمته وطعنوه ، وعندما رجع فلول الجيش وجدوه جريحا ومشرفا على الموت ، ومات فى يوم السبت الثانى من ربيع الآخر سنة ٥٨٠هـ/ ١٣ يوليو سنة ١١٨٤ م وذلك على مقربة من الجزيرة الخضراء في طريق جوازه إلى العدوة .

ابن أبى زرع ، ج ٢ ، ص ١٩٣ ؛ عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٨ .

وهناك رواية أخرى بأنه قد مرض وهو على حصار شنترين فحمل مريضا على فراشه وتوفى فى الطريق .

الحميرى ، ص ١١٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٩٥ ،

ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٧ ، ص ١٣١ - ١٣٢ .

النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٢٢ ، ص ٤٣٣ - ٤٣٤ .

ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٣٠٩ ؛ وكذلك الإحاطة ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ - ٣٥٦ ؛ عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٨

وقد جمع ابن خلدون بين الروايتين " وهلك في ذلك اليوم الخليفة ويقال من سهم أصابه فى حومة القتال وقيل من مرض طرقه " .

ابن خلدون ، م ٦ ، ص ٥٠٤ .

١٩٨ - عنان ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

١٩٩ - Rodrigo , Historia de Redus Hispaniae , p . 152 ; Chronicas Na-varras , pp . 42 - 43 ; CF . also : Lozoya op . cit . p . 434 .

٢٠٠ - Nowell , op . cit . , p . 8 ; Stephens , op . cit . , pp . 58 - 59 .

٢٠١ - Rodrigo , Historia de los hechos de Esaña , p . 273 .

٢٠٢ - أشباخ ، الرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٣ .



الخاتمة

أهم النتائج التى توصل إليها البحث

عرفنا من خلال الفصول السابقة أن البرتغال كانت إحدى الإمارات التى أخذت على عاتقها مسئولية استرداد الأراضى الإسلامية فى شبه الجزيرة الايبيرية وطرد المسلمين منها بصفة نهائية لأنه بطبيعية الحال كانت حركة الاسترداد والصراع المستمر بين المسلمين والمسيحيين جعلت من الصعوبة بمكان أن تكون هناك حكومة مركزية واحدة وإنما استلزم الأمر نشأة عدة مراكز وإمارات حربية تكون لها سرعة الرد والقرار وفى نفس الوقت يكون لها سرعة الرد والغزو وكانت كونتية البرتغال إحدى هذه المراكز حتى فترة حكم الفونسو هنريكز .

وقد ارتكزت سياسته الخارجية على ثلاث محاور رئيسية يأتى فى مقدمتها إنهاء سيطرة وتسلط مملكتى قشتالة وليون على كونتية البرتغال وانفصالها عنهما ثم توسيع رقعة حدود البرتغال علي حساب جيرانها المسلمين ، وأخيرا تويل كونتية البرتغال من إمارة إلى مملكة .

وكان الفونسو هنريكز فى سبيل إنهاء تبعية بلاده عن ممنلكة قشتالة - ليون بزعامة الإمبراطور الفونسو السابع يخوض حروبا عديدة كان لها دور كبير فى وضع أسس الاستقلال وتأسيس مملكة البرتغال أما بالنسبة لحروبه ضد فرديناند الثانى ملك ليون صاحب دعوى السيادة على البرتغال فكانت من أجل تحديد مناطق الاسترداد لكل منهما ، وقد اعتبر فرديناند - بناء على معاهدة ساهاجون عام ١١٥٨ م - أن المدن التى استولى عليها الملك البرتغالى انتهاكا لحقوقه .

أما بالنسبة لسياسته فى توسيع رقعة حدود البرتغال على حساب البلدان الإسلامية المجاورة ، فكانت شغله الشاغل ، وقد أكسبته حروبه الطويلة التى خاضها تحقيقا لهذا الهدف لقب أكبر محارب صليبى فى شبه الجزيرة الايبيرية لأنه اعتنق السياسة الصليبية بكل مظاهرها من خلال تشجيعه وتنميته لتلك الروح واستعانته بالصليبيين فى استرداد المدن والقلاع الإسلامية فنتج عن ذلك استعادته الكثير من المدن والقلاع مثل شنترين

ولشبونة وشنترة مما ساعده على اكتساب مكانة كبيرة في العالم المسيحى .آنذاك وأصبح لايقل أهمية عن أى ملك أوربى وقتئذ بل يفوقهم بقتاله وصراعه المستمر ضد المسلمين الأمر الذى دفع البابوية إلى الاعتراف به كملك وبالبرتغال كمملكة مستقلة بذاتها طبقا للمرسوم الصادرة فى سنة ١١٧٩ م .

وكانت المحصلة النهائية لسياسته الخارجية منصبة على تأسيس واستقلال مملكة البرتغال بفضل تفاعل مجموعة من العوامل السياسية والجغرافية معا فاستغلها الكونت هنرى البورجونى فى وضع بذور فكرة استقلال البرتغال واتبعته دونيا تريزا فى ذلك فضلا عن تشجيعها للروح والشعور القومى للبرتغاليين ، وعندما تولى الفونسو هنريكز حكم البلاد البرتغالية استثمر كل ذلك لحساب سياسته الخارجية الأمر الذى ساعده فى النهاية على استقلال البلاد عن أى مؤثرات أجنبية واعتبر بذلك المؤسس الحقيقى لمملكة البرتغال التى أصبحت من أهم الممالك الأوربية في العصور الوسطى .

ويمكن تلخيص أهم النتائج والاستنتاجات التى أمكن التوصل إليها فيما يلى :

أولا : -

يتضح من خلال أحداث العلاقات بين كل من الملك الفونسو هنريكز والامبراطور الفونسو السابع أنهما يستندا إلى بعض الحقائق فالأخير يرى ضرورة أخضاع حاكم البرتغال له كفصل اقطاعى معتمدا على أنه وريث مملكة جده الملك الفونسو السادس ، وبالتالى يجب أن تكون كونتية البرتغال خاضعة لسيطرته كاحدى أقاليم مملكة قشتالة مثلما كان الأمر من قبل حسب وصية جده ، ولكن الفونسو هنريكز كان يعتبر نفسه ندا للإمبراطور الفونسو السابع بما لديه من مقومات تساعده علي الأستقلال . وتأسيس مملكة جديدة وذلك من خلال تأييد كل البرتغاليين بجانب نسبه العريق فهو ينتمى إلى ملوك فرنسا وكان ابن خالته(الفونسو السابع) ينتسب إلى رينو دوق بورجونيا ولذا فهو أرفع مكانة منه دون النظر عن كون امه إبنة غير شرعية للملك الفونسو السادس من عدمه وفى نفس الوقت كان دائما لايغيب عن ذهنه ذلك الاتفاق القديم الذى تم بين ابيه وريموند

البورجونى والد الإمبراطور الفونسو السابع بشأن تقسيم مملكة الفونسو السادس وقد نجحت سياسة الفونسو هنريكز تجاه مملكة قشتالة - ليون فى تأكيد استقلال بلده نتيجة للمقومات السابقة بجانب جمعه بين المقدرة العسكرية الفائقة ومهارته السياسية العالية .

ثانيا : -

أما عن علاقة الملك الفونسو هنريكز بفرديناند الثانى ملك ليون فانها دخلت طورا جديدا من حيث النزاعات المستمرة بينهما حول مناطق الاسترداد وأصبحت دعوى السيادة الليونية على البرتغال فى طى النسيان وقد أثبت الملك الفونسو هنريكز من خلال تلك العلاقة حنكته ومهارته السياسية والحربية .

ثالثا : -

كان اعتراف البابوية باستقلال مملكة البرتغال ومنح الفونسو هنريكز لقب ملك يعبر عن واقع فعلى لامفر منه وأن الدافع الأساسى مناصرة البابوية له يعتمد أساسا على ماقدمه الملك الفونسو هنريكز للمسيحية من خدمات جليلة ناصر بها المسيحية من خلال حكمه الطويل .

رابعا : -

كانت سياسة الملك الفونسو هنريكز تجاه المرابطين هى سياسة دفاعية لانشغاله الدائم منذ توليه حكم البرتغال ١١٢٨ م / ٥٢٢ هـ بالحروب ضد ابن خالته الإمبراطور الفونسو السابع والتى لم تعطه الفرصة الكافية ليوجه نظره ضد المرابطين على حدوده الجنوبية بنفس القدر الذى يهتم به لتأمين هذه الحدود فكانت معركة أوريك نفسها ماهى إلا غزوة دفاعية صد بها تأمين حدوده لجنوبية وإظهار القوة وإرهاب المسلمين . ونجد أن حدود مملكته لم تتقدم إلى الجنوب ولم يضف شيئا إلى مملكته منذ توليه الحكم حتى بداية ثورة الأندلسيين ضد المرابطين .

خامسا : -

حقق الفونسو هنريكز أكبر الانجازات فى تاريخ البرتغال بصفة خاصة وفي شبه الجزيرة الايبيرية بصفة عامة وقتئذ باستيلائه على العديد من المدن والقلاع الإسلامية فى فترة

الشغور (الانتقال) بين دولتى المرابطين والموحدين .

سادسا :

كانت العلاقة بين الملك الفونسو هنريكز وأبى يعقوب يوسف تمثل فترة تعادل القوى بينهما ، إذ نجح من خلالها أبى يعقوب يوسف فى إنهاء تفوق مملكة البرتغال التى حققتها فى فترة الشغور (الانتقال) بين دولتى المرابطين والموحدين والتى أحرزت فيها مملكة البرتغال أكبر مكاسبها ، حقيقة أن مملكة البرتغال فى هذه الفترة مثلت تهديدا كبيرا للموحدين وكان لها نشاطها المكثف فى الأراضى الإسلامية ولكن معظمها كان بمثابة غارات مفاجئة ما تلبث أن تعود إلى أراضيها وإن كانت من خلال نشاط خيرالدو وسيبمافور (جرانده الجليقى) قد استولت على بعض المدن والحصون إلا أن الموحدين سرعان ما إستردوا معظمها مرة أخرى من الملك فرديناند الثانى الذى كان قد استولى عليها من خيرالدو عندما وقع مع مليكه الفونسو هنريكز فى أسره .

سابعا : -

تعتبر مملكة البرتغال - إلي حد ما - مملكة صليبية على اعتبار أن مؤسسها من عائلة صليبية أتت إلى شبه الجزيرة الايبيرية للبحث عن الثروة والمجد ونجحت فى تحقيقها من خلال تلك الروح الصليبية التى اعتنقها الملك الفونسو هنريكز ، وكان من أكبر المستفيدين منها وساعد علي ذلك استعانته المتكررة بالفرق الصليبية المتوجهة إلى الشام والتى تمر بسواحل البرتغال والتى حققت معها انجازات ضخمة فى الاستيلاء على عدد من المدن والحصون الإسلامية وإغراءه لبعض الصليبيين بالاستقرار فى المدن والحصون المنتشرة وقد تم الإنصهار الكامل بين البرتغاليين والصليبيين فى تلك الأراضى المستردة .

ثامنا : -

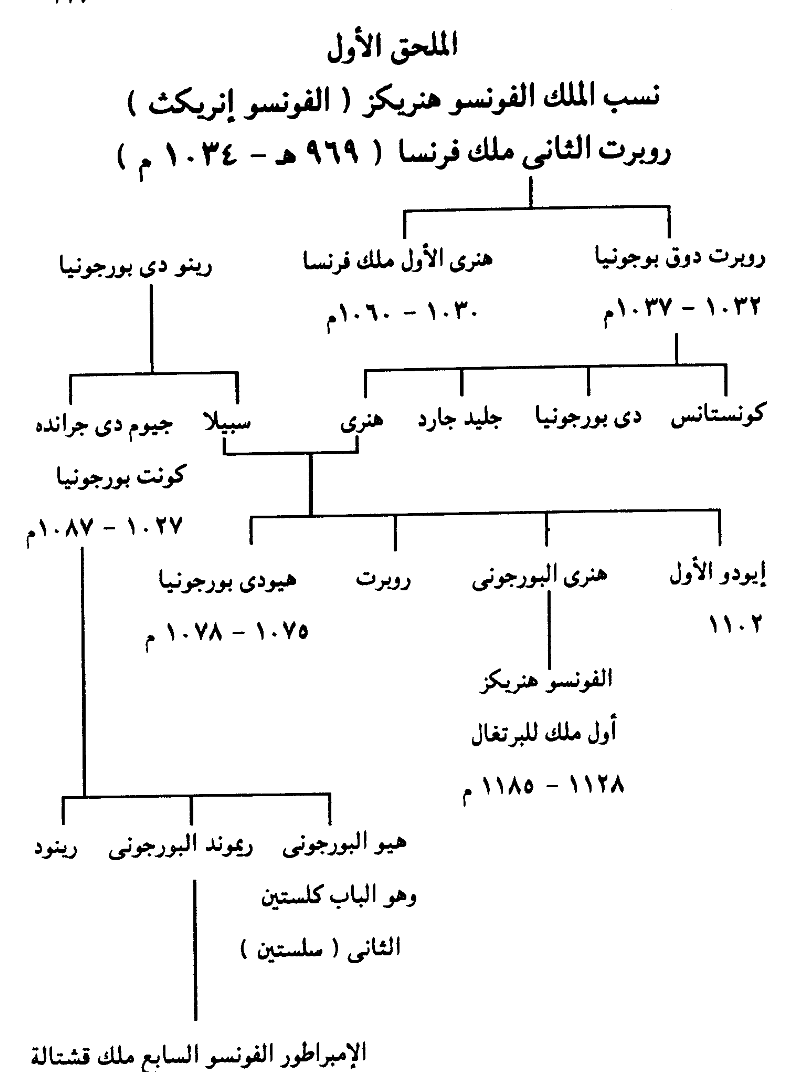
وخلاصة القول أثبتت الأحداث التاريخية أن الملك الفونسو هنريكز كان قائدا سياسيا محنكا ومن أعظم محاربى شبه الجزيرة الايبيرية وقد تأكد ذلك من خلال الحروب العديدة التى خاضها سواء ضد المسلمين حيث أضاف من خلالها مكاسب كبيرة تمثلت في استيلائه على العديد من القلاع والحصون والمدن الإسلامية على حدوده الجنوبية وتوسيع رقعة البرتغال جنوبا أو ضد مملكتى قشتالة لتأكيد وتأسيس مملكته واستقلالها .

الملاحق



الملحق الأول

نسب الملك الفونسو هنريكز (الفونسو إنريكث)



استعنت بعمل هذه الخريطة بلخص الآراء المنطقية للمصادر والمراجع وعلى رأسها
Defourneaux : op . cit . , pp . 136 - 137 .

13 DEZEMBRO 1143

Carta de el-rei D. Afonso Henriques, a prestar vassalagem ao papa Inocencio II na pessoa do cardeal Guido de Vicon Legado da Sé Apostolica, a colocar-se e ao reino sob a protecção de S. Pedro e da Santa Sé a comprometer-se, por si e sucessores, a pagar aquela o censo anual de quatro onças de ouro.

« Claues regni celorum beato Petro a Domino Nostro Ihesu Christo concessas easa cognoscens, ipsum patronum et aduocatum habere disposui, ut et in uita presenti opem illius et consilium in meis oportunitatibus sentiam et ad premia felicitatis eterne, ipsius suffragantibus meritis. ualeam peruenire.

Quocirca, ego Adefonsus, rex Portugalensis Dei gracia. per manum domini G [uidi], diaconi cardinalis, apostolice sedis legati, domino et patri meo pape Innocentio ominium feci terram quoque meam beato Petro et sancte romane ecclesie offero. sub censu annuo iiij unciarum auri, ea uidelicet conditione atque tenore ut omnes qui terram meam, post decessum meum, tenuerint, eundem censum, annuatim, beato Petro persoluant. Et ego, tanquam proprius miles beati Petri et romani pontificis, tam in me ipso quam in terra mea uel in his etiam que ad dignitatem et honorem mee terre attinent, defensionem et solacium apostolice sedis habeam et nullam potestatem alicuius ecclesiastici secularisue dominij, nisi tantum apostolice sedis uel a latere ipsius missi, unquam in terra mea recipiam.

Facta oblationis et firmitudinis carta jdus decembris era M.C. Lxxi. Ego, supradictus Adefonsus. Portugalensis rex, qui hanc cartam fieri issue libenti animo, coram idoneis testibus propria manu confirmo. Ego Johannes, Brcharensis archiepiscoups, confirmo. Ego Johannes, Colimbriensis episcopus, confirmo. Ego P (etrus), Portugalensis episcopus, confirmo(1). »

Documento N.1

Monumenta Henricina, Vol. 1, Coimbra 1960 .

١٣ ديسمبر سنة ١١٤٣ (١)

خطاب من الملك دون الفونسو هنريكز يتقدم بالخضوع الإقطاعى للبابا أنوسنت الثانى عن طريق الكاردينال هيو Guido de Vico المبعوث البابوى مع عرض مملكته تحت حماية القديس بطرس والكرسى المقدس ويتعهد مع خفائه بدفع جزية أربع أونسات من الذهب .

نص الوثيقة

" نعلم أن فاتيح المملكة قد سلمت من السموات عن طريق سيدنا المسيح إلى القديس بطرس بوصه حاميا وراعيا وأننى أطلب منه دائما النصيحة فى كل المناسبات وأعترف بأفضاله ورعايته لى . ولأجل هذا أنا الفونسو ملك البرتغال بفضل الله وعن طريق الكردينال الشماس دون هيو المبعوث البابوى أعرض مملكتى للقديس بطرس ولكنيسته المقدسة فى روما مع جزية سنوية أربعة أونس من الذهب ويسرى ذلك على جميع الذين يحكمون ملكتى من بعدى وأنهم عندئذ يدفعون نفس الجزية السنوية للقديس بطرس وأننى كجندى حقيقى للقديس بطرس والبابوية فى روما أتعهد بالدفاع عن الرسى الراعى ، وبالنسبة لمملكتى فاننى لن أقبل أى سلطة سواء كانت من كنائسى أو علمانى إلا إذا كانت من قبل الكرسى الراعى أو من أحد مبعوثيه " .

نفذ هذا الخطاب فى ١٣ ديسمبر سنة ١١٤٣ م وأنا الفونسو ملك البرتغال الذى أمر بتنفيذه وأوقع عليه أمام الشهود ، رئيس أساقفة براغا خوان ورئيس أساقفة قلمرية بدرو.

---

١ - Documento N1 , Monumenta ; Henricina , Vol . 1 Coimbra 1960 .

23 MAIO 1179

Bula Manifestis probatum est, de Alexandre III, dirigida ao rei D. Afonso Henriques c a scus sucessores ao trono, a lourar-Ihe cs grandes servicos prestados a Santa Igreja, pelas vitorias que alcancara contra os inimigos da fe catolica, a tomar o reino sob sua protecção assim como a conceder-Ihe as terras por ele libertas do jugo dos sarracenos e que não podem ser teclamadas pelos principes cristãos circunvizinhos e a aceitar o censo anual de dois marcos de ouro, oferecido pelo manarca, em seu nome e no de seus sucessores, ao pontifice, como preito de sujeição à Santa Sé, o qual sera entregue ao arcebispo de Braga.

((Alexander episcopus, seruus seruorum Dej.

Karissimo in Christo filio Alfonso, jllustri Portugalensium regj eiusque heredibus jn perpetuum.

Manifestis probatum est argumentis quod, per sudores bellicos et certamina militaria, inimicorum christiani nominis intrepidus extirpator et proparer diligens fidej christiane, sicut bonus filius et princeps eatboliaus, multimeda obsequia matri tue sacrosancte ecclesie impendistj dignum memoria nomen et exemplum imitabile posteris derelinquens. Equum est, autem ut quos, ad regimen e salutem populj, ab alto dispensatio celestis elegit apostolica sedes affectione sincera diligat et in iustis postulationibus studeat efficaciter exaudire.

Proinde, nos, attendentes personam taum, prudentia ornatam, iusticia preaitam atque ad populj regimen idoneam, eam sub beati Petri et nostra pretestione suscipimus et regnum Portugalense, cum integritate honoris regni et dignitate que ad reges pertinet neonon et mnia loca que, cum auxilio celestis gratie, de sarracenorum manibus eripueris, in quibus ius sibi non possunt christianj principes circumpositj uendicare, excellentie tue concedimus et auctoritate apostolica confirmamus (1).

Vt, autem, ad deuotionem et obsequium beatj petri, apostolorum principis, et sacrosancte romane ecclesie uehementjus accendaris, hec ipsa prefatis heredibus tuis duximus concedenda eosque super his que concessa sunt, Deo propitio, pro iniunctj nobis apostolatus officio, defendemus. Tua itaque intererit, filj karissime, ita circa honorem et obsequium matris tue sacrosancte romane ecclesie humilem et deuotum existere, et sic te ipsum in ejus oportunitatibus et dilatandis christiane fidej finibus exercere, ut de tam deuoto et glorioso filio sedes apostolica gratuletur et in eius amore quiescat.

Ad indicium, autem, quod prescriptum regnum beatj Petri iuris existat, pro amplioris reuerentie argumento, statuistj daus marcas auri, annis singulis, nobis nostrisque

Monumento Henricino, Documento N, Monumento Henricina.

successoribus persoluendas. Quem utique censum, ad utilitatem nostram et successorum nostrorum, Bracharensi archiepiscopo quj pro tempore fuerit, tu et successores tuj curabitis assignare.

Decernimus ergo, ut nullj omino hominum liceat personam tuam aut heredum tuorum uel etiam prefatum regnum temere perturbare aut ejus possessiones auferre uel ablatas retinere, minuere aut aliquibus uexationibus fatigare. Si qua, igitur, in futurum ecclesiastica secularisue persona hanc nostre constitutionis paginam, sciens, contra eam temere uenire temptauerit, secundo tertioue commonita, nisi reatum suum digna satisfactione correxert, potestatis honorisque suj dignitat e careat reamque se diuino iudicio existere de perpetrata iniquitate cognoscat et a sacratissimo corpore ac sanguine Dei et Domini Redemptoris Nostri Ihesu Christi aliena fiat atque, in extremo examine, districte ultionj subiaceat. Cunctis, autem, eidem regno et regi sua iura seruantibus, sit pax Dominj Ihesu Christi, quatinus et hic fructum bone actionis percipiat et apud districtum iudicem premia eterne pacis inueniat. Amen. Amen. Amen.

(Selo rodado). Ego Alexander, catholice ecclesie episcopus. SS. Benavalete.

1. Documento N 9 , Monumenta Henricina.

٢٣ مايو سنة ١١٧٩ م [١]

مرسوم من البابا أسكندر الثالث موجه إلى الملك الفونسو هنريكز وخلفائه ، نتيجة لخدماته الكثيرة التى قدمها إلى الكنيسة المقدسة وقتاله الأعداء وإخلاصه الدائم لكاثوليكية فان البابوية تفرض مايتها على مملكته مع توطيد سلطته على الأراضى التى يحرزها من العرب وإنه لايحق لأى من الأمراء المسيحيين المجاورين مطالبته بها ، وقبول دفعه الجزية السنوية المقدرة باثنين من الماركات الذهبية والتى ترى على خلفائه وتدفع لوسيطنا رئيس أساقفة براغا .

نص الوثيقة

" من الأسقف أسكندر خادم خدام الله إلى حبيبه فى المسيح الإبن الفونسو الملك السامى للبرتغاليين وخلفائه إلى الأبد وبرهانا على نشاطه الواضح فى الحرب والكفاح العسكرى من أجل ستئصاله الجسور لأعداء المسيح ونشاطه فى نشر المسيحية باخلاص معلنا بأعماله الكثيرة ، ابنا طيبا وأميرا كاثوليكيا يحترم الكنيسة الأم تاركا للأجيال القادمة مثلا مبجلا يحتذى به ، نتيجة لكل تلك المآثر والإعتراف بشخيتكم الحكيمة العادلة فاننا استقبناكم تحت حماية القديس بطرس وحمايتنا مع الحفاظ على شرف وعظمة المملكة وتمام الصفة الملوكية ، وإننا نمنحكم كل الأماكن التى نجحت فى إنتزاعها ، بفضل ساعدة السمء لك من أيدى المسلمين ملكا خالصا لك ، ولايحق للأمراء المسيحيين المجاورين المطالبة بأية حقوق فيها ، ونؤكد هذا بسلطتنا الحوارية ، ونتيجة لورعك وإخلاصك وخدمتك لقديس بطرس ولكنيسة روما المقدسة فان نفس الحماية تكون لورثتك بنفس المزايا السابقة . وعليك أن تستمر بوصفك ابنا بارا فى خدمة أملاك الكنيسة المقدسة الرومانية مع توسيع حدودها ، ونقرر لمملكتك المذكورة الخاضعة لحماية القديس بطرس بأنه عليك دفع أثنين مارك من الذهب كل عام لنا ولخلفائنا لوكلاء البابوية المخصصين فى ملكتك ذلك الذى يمثله فى تلك الآونة رئيس أساقفة براغا .

---

١ - Documento N1 , Monumenta ; Henricina , Vol . 1 Coimbra 1960 .

وأصدرنا أوامرنا بأنه لن يسمح لأى شخص باتهاك قراراتنا المذكورة بفرض الحماية علي المملكة المذكورة سواء كان سلبا أو حجزا أو أضرارا أو مضايقات أخرى وإن أى شخص كنائسى أو دنيوى سوف ينتهل هذا فعليه أن يصلح وإلا سيكون مذنبا من العدالة الإلهية نتيجة لإثمه المرتكب وبذلك سيكون محروما من حماية ورعاية سيدنا المنقذ المسيح ، وأن كل من يحافظ على أوامرنا وقراراتنا المذكور لملكة سيحظى بسلام السيد المسيح وستعود عليه الفائدة الجمة من عمله الطيب وسيجدون السلام الأبدى آمين .. آمين آمين ...

أنا أسكندر أسقف الكنيسة الكاثوليكية

ختم وتعدد إمضاءات الشهود من الكرادلة

قائمة المصادر والمراجع

بيان بالمختصرات الوارد ذكرها فى حواشى الرسالة

C . R . A . L . - Coenicas de los Reinos de Asturias y Leon .

A . P. - Annales Potugalenses .

C . L . R - Las Cornicas Latinas de la Reconquista .

R . P . H - Revista Portuguesa de Historia .

Cam . Med . Hist - Combridge Medieval Historiy .

E . S . - España Sagrada .

Mon . Lus - Monarquia Lusitana .

أولا : مجموعات الوثائق والمصادر : -

- Documentos Reales de la Edad Media.

Documento N 337

Documento N 368

Documento N 369

edited por Belda, Madrid, 1953.

- Documentos de Monumenta Henricina Vol. 1, Coimbra 1960.

Documento N 1, 13 Dezembro 1143.

Documento N 9, 23 Maio 1179.

- Documentos Medivais potrugueses Vol. 1. Lisbo 1945.

Documento Tabua 19.

- Los documento en el Libro " Tuy en la baja Edad Media, Siglos XII - XV por Galindo. R. R., Madrid 1950.

Documento N 1, 1095, privilego de Don Ramon y Doña Urraca Señalando El Coto de Tuy, p. v.

Documento N 3, 1137, Alfonso de portugal de a la Iglesia de Tuy La villa de Vinea, p.VII.

Documento N 6, 1169, Donaciones y confirmaciones otorgadas por Don Alfonso I, P. XI.

- Los documentos en el libro " Regesta de Fernando II, Madrid 1943.

Documto N 12, Tratado de Paz acordado con Fernando II, 23 Mayo 1158, Sahagun.

Documento 12 , p 256 .

- Dos documentos interesante para la historia de portugal .

Revista portuguesa de Historia , T 3 , Coimbra 1974 .

- Los documentos en el libro " El Reino de Castilla en la epoca de Alfonso VIII , Parte 2, Documentos 1145 - 1190 , por Gonzalez , Madrid 1969

Documento N , 44 .

- Alfonso de Torres .

" Cronica de la orden de la Alcantara "

Tomo 1 , Madrid 1763 .

- Annales portugalenses .

1 - Chronica Gothorum .

2 - Summa chronicorum .

3 - Recension breve continuee .

Revista portuguesa de Historia , Coimbra 1974 .

- Basto : A . M .

" Cronica de cinco Reis de portugal "

Vol . 1 , Porto , (N . D) .

- Brandão : Antonio :

1 - " Cronica do conde D . Henrique

D . Teresa E , Infante D . Alfonso " , porto , 1944 .

2 - " Monarquia Lusitana . "

parte 3 , Lisboa 1973 .

- Carlos : principe de viana :

" Cronica de los Reyes de Navarra " .

Pamplona 1843 .

- " Chronicon Conimbricense "

España Sagrada , Tomo 23 , preparar por Henrique Florez , Madrid , 1850 .

- " Chronicon Lusitano "

España Sagrada , Tomo 14 , preparar por Henrique Florez , Madrid , 1905 .

- " Conquista de Lisboa aos Mouros 1147 " . Lisboa 1936 .

- " Cronica Geral de Espanha de 1344 "

Edisão critica de Texto Portuguesa , por Luis Filipe Lindley , Volume II (N . D)

- " Cronica dos Godos "

A pendice Brandão , Cronica de conde D . Henrique , D . Teresa E Infante D . Alfonso , porto 1944 .

- " Cronica Najerense "

Edicion E indices por Antonio ubieto Arteta , Valencia 1966 .

- " Cronica de san juan de la paña "

Antonio Ubieto Arteta , Valencia 1961 .

- "Cronicas Anónimas de Sahagun "

Edicion Critica , Notas E indices por Antonio Ubieto Arteto , Zaragoza 1987 .

" Cronicas de los Reinos de Asturias y Loen " .

1 - " Cronica Alfonsina " .

2 - " Cronica de Sampiro " .

3 - " Nomina Leonesa "

4 - " Cornica del Obispo de Oviedo Don Pelayo "

Leon 1985 .

- " Cronicas Latina de los Reyes de Castilla " .

Traduccion Luis charlo Brea , Universidad de Cadiz 1984 .

- " Cronica de la corona de Aragon " .

Año 1919 .

- " Cronicas Navarras " .

Edicon e indices por Antonio Ubieto Arteta , Valencia 1964 .

- Duarte Nunes , de Leão :

Cronica dos Reis de portugal :

1 - " Cronica do conde D . Henrique " .

2 - Cronica del Rei D . Alfonso Henriquez " .

Porto 1975 .

- Florez , H .

" Memorias de las Reynas Catholicas "

T 1 , Madrid 1790 .

- Galvão , D .

" Chronica del Rei D . Alfonso Henriques "

Lisboa 1906 .

- Historia Compostelana "

España Sagrada , T 20 , preparar por Henrique Florez , Madrid

1765 .

- Las Cronicas Latinas de la Reconquista , Traduccion por Huici , A . m .

1 - " Cronicon Burgense "

2 - " Anales Comlutense " .

3 - " Cronicon Comlutense " .

4 - " Anales Compostelanos " .

5 - " Cronicon Compostelano " .

6 - " Cronicon Cerratense " .

7 - " Cronicon Albeldense " .

8 - " Cronicon de Sebastian " .

9 - " Cronicon de los Reyes Leoneses " .

10 - " Cronicon de Sampiro Obispo Asturian " .

11 - " Anales Toledanos " .

12 - " Cronicon de Cardeña " .

Tomo I , Valencia 1913 .

1 - " El cronicon del Moje Silense " .

2 - " La Cronica de Alfonso El Emperador "

Tomo 2 , Valencia 1913 .

- Lucas de Tuy (Lucae Tudensis) :

1 - " Chronicon Mundi "

Hispanise Tllustratae , Tomo 4 , Francafurti 1608 .

2 - " Cronica de España "

Madrid 1926 .

- Moret y Aleson :

" Annales del Reyno de Navarra "

Tomo II , Bilbao 1969 .

- Paez Viegas : a .

" Principios del Reyno de potugal "

Barcelona 1644 .

" Primera Cronica general de España "

Publicado por Ramon Menendez pidal , Madrid , 1955 .

- Radas y Andrado :

Cronicas de la tres Ordenes .

1 - " Cronica de Santiago "

2 - " Cronica de calatrava " .

3 - Cronica de Alcantra " .

Barcelona 1980 .

- Radrigo : Jimenez deRada

1 - " Historia de Rebus Hispaniae "

2 - " Historia de los hechos de España "

Madrid 1982 .

3 - " Historia Romanorum "

4 - " Historia ostrogthorum "

5 - " Historia Hunnorum , Vandalrum ,

Suevorum , Alanorum , et Silinguorum ".

Opéra , Rodrici Taletani , Valencia 1974 .

6 - " Historia Arabum " .

Universidad 1974 .

- Sandoval : F . P . :

" Historia de los Reyes de Castilla y de Leon "

Pampelona 1634 .

- Silva : G . T . :

" Cronicas dos sete primeiros Reis de portugal "

Vol . I . Lisboa 1952 .

- Tarapha : Francisco :

" Chronica de España "

Barcelona 1562 .

- Textos y Documenos de Historia Antigua , Media y Moderna "

Historia de España XI (N . D) .

- " William of Tyre : A history of deeds dons Beyond The Sea " , Vol . 1 , Now york 1949 .

- Zurita , J . :

" Anales de la corona de Aragon "

Tomo 1 , Zaragoza 1976 .

ثانيا : المصادر العربية

ابن الأبـــــــار : (ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى . " الحلة السيراء " .

جزآن تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة سنة ١٩٦٣ .

ابن أبـــــــى زرع : (ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م) أبو الحسن على بن عبد الله

" الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس " .

ج ٢ ، علق عليه محمد الهاشمى الفيلالى ، الرباط سنة ١٩٣٦ .

ابن الأثيـــــــر : (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) عز الدين أبو الحسن على بن محمد " الكامل فى التاريخ " .

١٢ جزءا ، بيروت سنة ١٩٧٩ .

ابن بســـــــام : (ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م) أبو الحسن على الشنترينى .

" الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة "

أربعة أقسام تحقيق حسا عبس ، بيروت ١٩٧٩ م .

ابن بلقيـــــــن : (ت ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ م) الأمير عبد الله الزيرى .

" مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيين "

نشر وتحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٥٥ .

ابن حوقـــــــل : (عاش فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى وغير محدد الوفاة) أبى القاسم .

" صورة الأرض "

ابن خاقـــــــــان : (ت ٥٣٥ هـ / ١١٤٠م) أبو نصر الفتح بن محمد عبد الله القيسى .

" قلائد العقيان "

مصر سنة ١٢٨٣ هـ .

بيروت ١٩٧٩ م .

ابـــــــن الخطيب : (٧٧٦ هـ / ١٣٧٤م) لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله

١ - " أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام "

تحقيق ليفى برفنسال ، الرباط سنة ١٩٣٤ م .

٢ - " الإحاطة فى أخبار غرناطة "

٤ أجزاء تحقيق محمد عبد الله عنان ، القاهرة سنة ١٩٧٣ م

ابن خلـــــــــدون : (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) عبد الرحمن بن محمد .

" العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر "

المجلدين الرابع والسادس ، بيروت سنة ١٩٦٨ م .

ابن خلكـــــــــان : (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٧ م) أبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر .

" وفيات الأعيان "

جزءى ٥ ، ٧ ، حققهما الدكتور احسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ م .

ابن صاحب الصـــلاة : (ت ٥٩٤ هـ / ١١٩٨ م) عبد الملك بن صاحب الصلاة .

" المن بالإمامة على المستضعفين فى الأرض "

تحقيق الدكتور عبد الهادى التازى ، بيروت سنة ١٩٦٤ م .

ابن عـــــــــذارى : (ت ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م) أبو عبد الله محمد المراكشى .

" البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب "

الجزء الثانى والثالث ، تحقيق ليفى بروفنسال ، بيروت ١٩٨٠ م .

الجزء الرابع ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٨٠ م .

القسم الثالث (تاريخ الموحدين) نشر ميرانده ، تطوان ١٩٦٠ م .

ابن غـــــــالب : (عاش فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى) محمد ابن أيوب بن غالب الغرناطى .

" قطعة من كتاب فرحة الأنفس فى تاريخ الأندلس "

تحقيق لطفى عبد البديع ، القاهرة سنة ١٩٥٦ .

ابن قـــــــسى : (ت ٥٤٦ هـ / ١١٥١ م) أبى القاسم أحمد بن قسى .

" خلع النعلين ، واقتباس الأنوار من موضع القدمين "

مخطوط مصور ميكروفيلم بالمعهد الأسبانى العربى برقم MF - 17

ابن القطـــــــان : (ت ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م) أبو على حسين .

" جزء من كتاب نظم الجمان "

تحقيق الدكتور محمود على مكى ، تطوان بدون تاريخ طبع .

ابن اكردويـــــــوس : (عاش فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى)

أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس .

" تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط "

تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادى ، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد سنة ١٩٧١ م

أبو الفـــــــدا : (ت ٧٣٠ هـ / ١٣٣١ م) الملك المؤيد عـماد الدين أبو الفـدا

إسماعيل .

" تقويم البلدان "

باريس ١٨٩٠ م .

أبى عبيد البكـــرى : (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) عبيد الله الأندلسى .

" جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك "

تحقيق الدكتور عبد الرحمن الحجى ، بيروت ١٩٦٨ م .

الإدريـــــــــسى : (ت ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢ م) الشريف محمد بن عبد العزيز

١ - " صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ووصف أفريقيا وأسبانيا " .

تحقيق دوزى ، امستردام ، ١٩٦٩ م .

٢ - " أنس المهج وروض الفرج "

مخطوط حكيم أوغلى ٦٨٨ هـ .

٣ - " أنس المهج وروض الفرج "

مخطوط حسن حسنى ١٢٨٩ م مكتبة السليمانية فى اسطانبول .

البيـــــــــــذق : (عاش فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى) أبو بكر بن على الصنهاجى .

" أخبار المهدى بن تومرت وابتداء دولة الموحدين "

تحقيق ليفى بروفنسال ، باريس ١٩٢٨ م .

الحميــــــــــرى : (عاش فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى) أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم .

" صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار "

تحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٣٧ م .

السـلاوى : (ت ١٣١٥ هـ / ١٨٩٠ م) أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى.

" الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى "

٩ أجزاء ، الدار البيضاء سنة ١٩٥٤ .

الاصطخـرى : (ت ٣٥٠ هـ / ٩٦٢ م) أبى اسحق إبراهيم بن محمد .

" المسالك والممالك "

تحقيق الدكتور محمد شفيق غربال وآخرون ، القاهرة ١٩٦١ .

الضبـى : (ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٣ م) أبو جعفرأحمد بن يحيى القرطبى .

" بغية المتلمس فى تاريخ أهل الأندلس "

مدريد ١٨٨٤ م .

عبد الواحد المراكشى : (ت ٦٦٩ هـ / ١٢٧١ م) محى الدين عبد الواحد بن على .

" المعجب فى تلخيص أخبار المغرب "

تحقيق الدكتور محمد سعيد العريان ، القاهرة ١٩٦٣ .

العـذرى : (ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م) أحمد بن عمر بن أنس العذرى المعروف بابن الدلائى .

" نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك "

تحقيق الدكتور عبد العزيز الأهوانى ، مديريد ١٩٥ م .

القـزوينى : (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) زكريا بن محمد بن محمود .

" آثار البلاد وأخبار العباد "

بيروت ١٩٧٩ م .

المسـعودى : (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٦ م) أبو الحسن على بن الحسين .

" مروج الذهب ومعادن الجوهر "

ج ١ ، القاهرة ١٩٦٦ م .

المقـــــــــــــرى : (ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م) شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن محمد التلمسانى .

" نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب "

٢٠ جزءا تحقيق أحمد فريد رفاعى ، القاهرة ١٩٣٦م .

مؤلف مجـــــــهول : " الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية "

تحقيق علوش الرباط ١٩٣٠ .

مؤلف مجـــــــهول : " أخبار مجموعة فى فتح الأندلس "

تحقيق إبراهيم الإبيارى ، بيروت ١٩٨١ م .

مؤلف مجـــــــهول : " مفاخر البربر "

تحقيق ليفى بروفنسال ، الرباط ١٩٣٤ م .

النبـــــــــــاهى : (٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقى الأندلسى .

" تاريخ قضاة الأندلس " بيروت ١٩٦٧ م .

النـــــــــــويرى : (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) أحمد بن عبد الوهاب .

" نهاية الأرب فى فنون الأدب "

ج ٢٢ ، تحقيق وتعليق الدكتور مصطفى أبو ضيف ، الدار البيضاء (بدون تاريخ طبع)

ياقوت الحمـــــوى : (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) شهاب الدين الرومى .

" معجم البلدان "

المجلد الأول ، بيروت ١٩٨٤ م .

ثالثا : المراجع الأوروبية :

- Alitamra , R .

  Spain 1031 - 1248 .

  Cambridge Medival History , Vol . 6 , Cambridge 1964 .

- Antuño , p .

  Campañas , de los Almohades en España .

  EL escorial , 1935 .

- Atkinson , W . C .

  1 - A History of Spain and portugal , London , 1960 .

  2 - Spain London 1934 .

- Azevedo : Ruy .

  1 - Data Critica do Convenio entre os condes Raimundo da Galisa e Henrique de portugal , Revista portuguesa de Historia Tomo 3 , Coimbra 1947 .

2 - Ainda Sobre adata em que Alfonso Henriques tomou Otiulo de rei .

  Revista portuguesa de Historia Coimbra 1940 , Tomo 1 .

- Ballesteros Y Beretta :

  Historia de España Y su influencia en la historia .

  Universal , Tomo 2 .

  Barcelona 1944 .

- Beirão : Caetano .

Historia breve de portugal , Lisboa (N . D) .

- Benevides : F . E .:

Rainhas de portugal . Tomo I Lisboa , 1878 .

- Bishko : C . J .

1 - Count Henrique of porugal cluny and the Antecedents of the pacto Sucessorio .

Revista portuguesa de Historia N 8 . Coimbra 1971 .

The Cluniac priories Galica and portugal Their Acquisition and Administration 1075 - 1230 , Studia Monastica , Abadia de Montserrat , 1965 .

- Bosch Vila : J .

Los Almoravides , Tutuan , 1956 .

- Brasão : Eduardo :

Opapado E portugal Desde a Conferencia de Zamora (1143) Ate Abula de Alexandre III 8 Centenario do Reconhecimentos de portugal Pela Santa Sé , Lisboa , 1979 .

- Callaghan : J . E .

A History of Medieval Spain , London , 1975 .

- Camara pina : L .

A Batalha de São Mamede , 850 Anaversario do Batalha de São Mamede , Lisboa , 1981 .

- Canovas del castillo : A .

Historia general de España , Madrid 1893 .

- Castro : Americo

La realidad histórica de España , Mexico 1987 .

- Cesar : V .

A Fundacão da Monarquia portuguesa , Batalha D Ourique Lisboa , 1927 .

- Chapman : C .

A History of Spain , New York , 1931 .

- Codera ; F

Decadencia Y desaparicion de los Almoravides en España Zaragoza 1899 .

- Coelho , A . B . ,

portugal Na Espanha Araba , Vol . III , Lisboa 1973 .

- Collins , R . ,

Early Medieval Spain Unity in diversity 400 - 1000 .

New York , 1983 .

- Contanine : philippe

La Guerra en la Edad Mdia

Traduccion de Frances A Español , Barcelono 1984 .

- Cruz : A . Asituacão politica em portugal em 1179 .

8 Centenario do recohecimento de portugal pela Santa Sé, Lisboa 1979 .

- Dailliez : Laurent ,

Lorde de Saint Jean de Jerusalem au portugal XI - XV Sieeles , paris , 1977 ,

- Daniel : N .

The Arabs and Medieval Europe , London , 1979 .

- David , p .

Etudes Historques sur la Galica et le portugal du VI au XII Siecle , paris , 1947 .

- Defourneaux , M .

Les Francais en Espagne aux XI et XII Siecles , paris , 1949 .

- Denis : F ,

Historia de portugal

Barcelona 1845 .

- Dominguez : J . ,

Invasão E Conquista da Lusitania por Muca Ben Nocair E Seu Filho A Bdalaziz . Madrid 1964 .

- Dominguez : M . L . B .

Historia de Zamora .

Zamora , 1983 .

- Dufourc Y Gautier

Historia Economica Y Social de La España Crisiana En La Edad Media , Barcelona , 1983 .

- Durand : Robert .

Les Compagnes potuguises entre Douro et Tago aux XII et XIII Siecles Centro Cultural potugues , paris 1982 .

- El Primer Emperador .

Anecdatas de la Historia de España Num 8 .

- Emilio , Saez ,

Ramiro II Rey de " portugal " de : 926 - 930 Revista portugues de Heistoria Tomo III Coimbra 1947 .

- Encyclopedia Americana , New York , 1980

- Eppstein : John ,

portugal queen Anne press , 1967 .

- Feigne p . Peter ,

Die Anfange des portugiesischen Kanigtums und seiner Landeskirche , Berlin , 1978 .

- Fernandez , L .

Manual de Historia , Univeresal Tomo III . Edad Media Madrid , 1972 .

- Filemon de la Cuesta ;

Reyes Leoneses , Leon , 1958 .

Galindo : p . B ;

Tuy en la Baja Edad Media

Siglos XIII - XV Madrid 1950 .

- Godin : O .

princes et princesses de la Famille Royale de portugal Lisbonne 1892 .

- Gomez Y Guevara ,

Luistania

" Santiago de Chile 1977 .

- Gonzales : Julio .

1 - Recnquista Y Repoblacion de Castilla , Leon , Extremadora Y Andalucia (Siglos X 1 A XIII , Repoblacion del pais , Zaragoza 1951 ,

2 - Regesta de Fernando II , Madrid 1943 .

El Reino de Castilla en la Epoca de Alfonso VIII Estudio 1 , Madrid 1960 .

- Goodrich : D . R .

A sufi Revolt in portugal Ibn qasi and his Kitah Khal al - na - Layn

Columbia University 1978

M . F . 17 .

- Herculano : A .

Historia de portugal .

Tomo III , Lisboa 1983 , Tomo 1 , Lisboa 1980 .

- Huici : A . M .

1 - Los Almohades em portugal , Separata dos Anals II seire Volume 5 , Academia portuguesa da Historia , Lisboa , 1954 .

2 -Historia politica del Imperio Almohade . Teluan , 1956 .

3 - Ali B . Yusuf Y sus Empresas en el Andalus .

Separata de Tamuda Año VII Semestres 1 - II , Tetuan 1959 .

- Inchbold , A . C .

Lisboa E Cintra , London 1907 .

- Jackson ; G .

The Making of Medieval Spain , California 1970 .

- Jan Read ;

The Moors in Spain and portugal , Totowd , New Jersy , 1974 .

- Lacarra ; J . M .

1 - Historia politica del reino de Navarra Vol . 3 Editorial Aranzadi , 1979 .

2 - La conquista de Zaragoza por Alfonso I , AL - Andalus , Vol . XII 1947 .

3 - Alfonso El Batallador ,

Zaragoza , 1978 .

4 - La Repoblacion del Camino de Santiago

" La Reconquista Española y la Repobacion del pais "

Zaragoza 1951 .

- Lafuente M

Historia general de España

Tomo I Barcelona 1879 .

- Livermore : H .

1 - The origins of Spania and portugal , London , 1971 .

2 - A new History of portugal , Cambridge , 1976 .

3 - portgal (A Short History) University press , 1973 .

- Lomax : D . W .

La Reconquista .

Barcelona 1984.

- Lopes : David

1 - Cid portugues , Geraldo Sempavor

Revista portuguesa de Historia , Tomo l , Coimbra , 1940 .

2 - Quem era O rei Esmr do Batalha de ouriqe .

Homenaje a D . Francisco codera

Zaragoza , 1904 .

- Lozoya : Marques

Historia de España

Tomo 2 , Barcelono , 1977 .

- Mackay : Angus ,

Spain in the Middle Ages , New york , 1977 .

- Manoel Ramos M ;

Historia de portugal , Barcelona 1929 .

- Manuel Risco :

Historia de Alfonso VII El Emperador , Madrid .

- Martin : J . L .

1 - La paninsula en la Edad Media , Barcelona 1978 .

2 - Origenes de la orden Militar de Santiago (1170 - 1195) , Barcelono 1974 .

- Martin Y Dolores ,

Historia de Extremadura

Tomo II Badajoz , 1985 .

- Martins : O . Historia de portugal , Vol , 1 . (N . D)

- Marques : o

History of portugal

Vol . 1 New york , 1972 .

- Mattoso ; A . G .

Historia de portugal

Vol . 1 Lisboa , 1939 .

- Mattoso ; J .

portugal Medieval

Coimbra 1984 .

- Merea : Paulo .

De " portucale " (Civitas)

Ao portugal de D . Henrique , porto 1944 .

- Navarrete : M . F .

Españoles en las Cruzadas , Madrid , 1986 .

- Nowell ; C . E .

1 - portugal , London 1973 .

2 - A History of portugal , london , 1952 .

- Oliveira : P . M .

Ourique em Espanha

Lisboa 1941 .

- Painter ; S .

History of the Middle Ages 284 - 1500 .

New york 1954 .

- Payne : S . G .

A history of Spain and portugal

Wiscosin press , 1943 .

- Peres : Damião

Como nasceu portugal

porto 1931 .

- Pidal ; R . M .

1 - El Imperio Hispanico y Los Cinco Reinos . Madrid , 1950 .

2 - El Conde Mozarabe Sisande Davidiz Y la politica de Alfonso VI Con Los Taifes , Al - Andalus , Vol XII 1947 .

3 - España del cid ,

Buenos Aires , 1939 .

- Recuero : A . M .

Alfonso VII , Emperador

Leon 1979 .

- Reilly : B . F .

1 - The Kingdom of Leon - Castilla Under King Alfonso VI - 1065 - 1109 . London (N . D) .

2 - The Kingdom of Leon - Castilla Under Queen Urraca 1109 - 1126 .

princeton University press , 1982 .

- Riu : M Riu

Edad Media 711 - 1500

Madrid 1989.

- Rivera Recio ; J. F.

Reconquista Y pobladores del antiguo reino de Toledo, Anales Toledanos Toledo, 1967.

- Rodriguez : J.

Ramiro II Rey de Leon

Madrid, 1972.

- Saraiva, J. H.

Historia de portugal.

Traductores pedro Manuel Madero Y otros. Madrid, 1989

- Scott : S. P.

History of the Morish Empire in Europe Vol. 2. London, 1904.

- Sergio : Antonio

Breve interpretacão da Historia de portugal Lisboa (N. D).

- Serrão : J. V.

Historia de portugal

Vol. 1 Lisboa, 1976.

- Saores T. S.

Significado politica de tratado de Tui de 1137.

Revista portuguesa de Historia, Tomo II, Coimbro 1943.

- Sousa : A. S.

Historia de portugal

Traducido del Orignal portugues por Juan Moneva Y puyol . Barcelona 1929 .

- Soures Saores : T .

Intervencão da Infgnta , Rainph D . Tresa no Genese do estado portugues .

850 Aniversario do Bataha de São Mamede . Lisboa . 1981 .

- Stephens : H . M .

Portugal

London 1891 .

- Suarez : Luix Fernandes ;

Historia de España , Edad Media Madrid , 1970 .

- Tout :

The Empire and the papacy 918 - 1273

London , 1924 .

- Trend , J . B .

portugal , London , 1957 .

- Ubieto : A . A .

Navarra - Aragon Y la idea Imperial de Alfonso VII de Castilla , Zaragoza , 1956 .

- Ubieto Y Regla Y Jover Y , Seco

Intraduccion a la historia de España , Barcelona , 1963 .

- Uebel : Justor Perez ,

Reconquista Y Repoblacion de Castilla Y Leon Durante Los Siglos

IXYX.

" La Reeconquista Española Y la Repoblacion del Pais "

Zaragoza 1951.

- Valdeavellano : L. G.

Historia de España de los Origenes a la baja Edad Media Segunda parte, Madrid, 1973.

- Valdeon, J.

El Reino de Castilla en la Edad Media, Bilbao, 1972.

- Vielva : R. P.

Ordenes Militares de Santiago, Alcantara, Calatrava Y Montesa, Madrid, 1927.

- Walter : M. B.

Alfonso I Von portugal, Zurich, 1966.

- La Separacion de portugal,

Coleccion Universo.

رابعا : المراجع العربية والمعربة

– أسامة زكى زيد (دكتور) : الصليبيون واسماعيلية الشام فى عصر الحروب الصليبية الأسكندرية ١٩٨٠ م .

– أشبـــــــــاخ : يوسف : تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين .
الجزء الأول ، القاهرة ١٩٤٠ م .
الجزء الثانى ، القاهرة ١٩٤١ م .

– أحمد مختار العبادى (دكتور) : تاريخ المغرب والأندلس ، الأسكندرية .

– بروفنســـــــــال : ليفى : الإسلام فى المغرب والأندلس
ترجمة السيد عبد العزيز سالم وآخرون ، القاهرة ١٩٥٦ م .

– جوزيف نسيم يوسف (دكتور) : العرب والروم واللاتين .
دار النهضة سنة ١٩٨١ .

– حسن أحمد محمود (دكتور) : قيام دولة المرابطين ، القاهرة ١٩٥٧ م .

– حسين مؤنس (دكتور) : تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس ، مدريد ١٩٦٧م .

– ـــــــــــــ : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، (بدون تاريخ طبع)

– ـــــــــــــ : فجر الأندلس ، القاهرة ١٩٥٩ .

– ـــــــــــــ : بلاى وميلاد اشتريس وقيام حركة المقاومة النصرانية فى شمال أسبانيا .
فصل من مجلة كلية الآداب ، المجلد الحادى عشر الجزء الأول ، مايو ١٩٤٩ .

– ديورانـــــــــت : قصة الحضارة ، ج ٤ ، م ٤ .
ترجمة محمد بدران ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة (بدون تاريخ طبع) .

– سحر السيد عبد العزيز سالم (دكتور) : التاريخ السياسى لمدينة بطليوس الإسلامية منذ تأسيسها فى سنة ٢٦١ هـ (٨٧٤ هـ) حتى سقوطها فى أيدى

الليونيين سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٣٠ م .
رسالة ماجستير ، آداب الأسكندرية سنة ١٩٨٤ م .
- سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) : الحركة الصليبية ، ج ١ ، القاهرة ١٩٧٨ م .
- ـــــــــــــــ : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، القاهرة ١٩٧٥ م .
- السيد عبد العزيز سالم (دكتور) : تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية ، الأسكندرية ١٩٨٤م .
- ـــــــــــــــ : تاريخ المسلمين ،وأثارهم فى الأندلس ، الأسكندرية ١٩٦١م
- عبد الرحمن الحجى (دكتور) : التاريخ الأندلسى ، القاهرة ١٩٨٣ م .
- عبد القادر اليوسف (دكتور) : علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادى عشر والخامس عشر ، بيروت ١٩٦٩ .
- عصمت عبد اللطيف دندش (دكتور) : الأندلس فى نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثانى ٥١٠ هـ - ٥٤٦ هـ / ١١١٦ - ١١٥١ م ، بيروت ١٩٨٨ م .
- على محمد حمودة : تاريخ الأندلس السياسى والعمرانى والإجتماعى ، القاهرة ١٩٥٧م
- على حبيبة (دكتور) : مع المسلمين فى الأندلس ، القاهرة ١٩٧٢ م .
- فشر ـــــــــــــــ : تاريخ أوربا العصور الوسطى ، القسم الثانى ، ترجمة دكتور محمد مصطفى زيادة وآخرون ، القاهرة ١٩٥٤ . حضارة الإسلام فى أسبانيا .
ترجمة وتعليق دكتور سليمان العطار ، القاهرة ١٩٨٣ م .
- محمد عبد الله عنان : دول الطوائف . الخانجى ، القاهرة ١٩٦٩ م .
- ـــــــــــــــ : عصر المرابطين والموحدين ، جزآن ، الخانجى ١٩٦٤ م .
- ـــــــــــــــ : الإعلام الجغرافية والتاريخية الأندلسية ، المعهد المصرى بمدريد ١٩٧٦ م .
- نبيلة إبراهيم مقامى (دكتور) : فرق الفرسان الرهبان فى بلاد الشام - رسالة ماجستير لم تنشر بعد بكلية الآداب - جامعة القاهرة .
- نور الدين حاطوم : تاريخ العصر الوسيط ، ج ١ القاهرة ١٩٦٧ م .

إهداء

إلى أستاذتى الشاعرة الأسبانية
الدكتورة
ماريادى لوس أنخلز سانز خويز

A Mi Profesora La Poeta
Española Doctora : Maria
de Los Angeles Sanz Juez

رقم الإيداع ٢٩٣٥ / ٩٥

I. S. B. N. : 977 - 5487 - 25 - 0

طبع بمطابع الهدايه ـ البراجيل ـ الجيزه

Fundaciõn de Reino de Portugal
La politica exterior de Alfonso Henriquez
Rey de Portugal (1128 - 1185)

Dr . Mohamed Mahmoud Ahmed El nshar

Historia de Eded Media

Facultad de Letras

Universidad de Tanta